سـيرة

الفاروق عمر ابن الخطاب

رضي الله عنه

الشيخ / بكر محمد ابراهيم

الناشر

مركز الراية للنشر والإعلام

الكتـــــاب : الفاروق عمر بن الخطاب

التـــــأليف : الشيخ/ بكر محمد إبراهيم

الطبعـــــة : الأولى سنة ٢٠٠٢

الناشـــــر : **مركز الراية للنشر والإعلام**

القاهرة - ٣٠ ميدان الحسين - مكتبة فكرى

تليفون : ٥٩٢٦٢١٩

رقم الإيـــداع : ٢٠٠٢/٢٩٤٨

الترقيم الدولى : ISBN: 977-5967-52-X



الحمد لله ولى الصالحين والصلاة والسلام على من أرسله رحمة للعالمين سيد الأولين والآخرين وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وبعـــــد ...

فسيرة الفاروق عمر بن الخطاب تعد نبراسا لكل من ينشد العدل من الحكام وقدوة حسنة لمن أراد الله والدار الآخرة فهو نموذج فذ للأبرار الأنقياء الأطهار والأبطال المغاوير والزهاد والعباد والعلماء العاملين .

وهو ثانى الخلفاء الراشدين وأول من تسمى بأمير المؤمنين واضع أسس الدولة الحديثة وبانى حجر دولة الإسلام وفاتح البلدان وقاهر الجبابرة ومذل القياصرة والأكاسرة .

ورغم شدته فى الحق وجرأته البالغة وقوته الهائلة كان متواضعا خاشعاً يحب الأتقياء ويعطف على الفقراء ولا يحابى أحداً من الناس كائنا من كان القوى عنده ضعيف حتى يأخذ الحق منه والضعف قوى حتى يأخذ الحق له فرضى الله عنه وأرضاه .

وهذا كتاب فى سيرة الفاروق أبى حفص لعله يكون زاداً للباحث عن الحق والعدل ولمن يتطلع إلى عودة العزة والمنعة لدولة الإسلام وهذه السيرة تبعث فى المسلمين العزة والفخار وتحثهم على الدأب والتشمير عن سواعد الجد لتعويض ما فات واللحوق بركب الحضارات والانتصارات والله من وراء القصد .

نسبه ومولده

عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى أمير المؤمنين ، أبو حفص ، القرشى ، العدوى الفاروق.

أسلم فى السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة ، كما قال الذهبى .

وقال النووى : ولد عمر بعد الفيل بثلاث عشرة سنة ، وكان من أشراف قريش ، وإليه كانت السفارة فى الجاهلية ، فكانت قريش إذا وقعت الحرب بينهم أى بينهم وبين غيرهم بعثوه سفيراً : أى رسولاً ، وإذا نافرهم منافر وفاخرهم مفاخر بعثته منافراً ومفاخراً ، وأسلم قديما بعد أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة ، وقيل : بعد تسعة وثلاثين رجلاً وثلاث وعشرين امرأة ، وقيل بعد خمسة وأربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة ، فما هو إلا أن أسلم فظهر الإسلام بمكة وخرج به المسلمون .

وهو أحد السابقين الأولين ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الخلفاء الراشدين ، ووالد السيده حفصة زوج[1] النبى ﷺ ، وأحد كبار علماء وزهادهم ، وهو الرجل العظيم الذى يعد من أقوى رجال التاريخ شكيمة وأشدهم بأساً وأشدهم رأياً وأبعدهم نظراً وأعظمهم نفسا وأطهرهم ذمة ، وأنقاهم ذيلاً ، فحياته (رضى الله عنه) مثال للعدل والشهادة والتقوى ، والسهر على الرعية ، والتقشف، لا يحابى أحداً مهما كان شأنه كبيراً أو صغيراً أو غنياً، ولا يستصغر فى شأن صغير أو فقير .

---

(١) كانت ابنته حفصة (رضى الله عنها) زوجة للرسول ﷺ وإحدى أمهات المؤمنين .

ترجمة عمر بن الخطاب

هو عمر بن الخطاب بن نفيل من بنى عدى بن كعب من بنى لؤى ، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة من بنى مخزوم بن يقظة بن مرة ، ولد لثلاث عشرة سنة من ميلاد رسول الله ﷺ . كان عمر ذا شهامة ونجدة وجرأة وشجاعة ، وكانت الشجاعة الأدبية أخص أوصافه لا يخاف فى الحق لومة لائم ، ولا يقر على كتمانه ولا يعطى هوادة فى باطل يعتقد بطلانه .

كان عمر فى صغره يرعى على أبيه غنمه ويضم إليهن غنيمات لخالات له. وقد روى ابن عساكر بسنده : أن عمر مر بصجنان (اسم مكان) فقال : كنت أرعى للخطاب بهذا المكان فكان فظاً غليظاً . فكنت أرعى أحياناً وأحطب أحياناً فأصبحت أضرب الناس ليس فوقى أحد إلا رب العالمين . ثم قال :

لا شئ مما ترى تبقى بشاشته يبقى الإله ويودى المال والولد

ولما كبر عمر اشتغل بالتجارة فى ماله وكان يذهب أحياناً إلى الشام متجراً ، وقد روى ابن عساكر : أن بطريقاً أسره بالشام واستعمله فى بعض عمله فتغفله عمر وقتله وخرج هارباً من الشام ، ولم يكن لعمر وفر من المال ، بل كان مقلا من ذلك وحرفته التجارة فى الجاهلية والإسلام إلى أن ولى الخلافة .

كان عمر عزيز الجانب فى قومه مشهوراً بالشدة ، وصدق العزيمة وقوة الشكيمة ، وكانت سنه حين البعثة سبعاً وعشرين سنة . ولم يكن قد أشرق نور الإيمان على قلبه فكان ينال المسلمين بالأذى .

كان رسول الله ﷺ فى مبدأ أمره يتمنى أن يكن له بين المسلمين رجل له عز وشرف وصدق عزيمة يكفكف عنهم المشركين ويكون للمسلمين ردءاً من الأذى : ويرى أن قريع هذه الصفات إنما هو عمر بن الخطاب ، وعمر بن

هشام ، فكان يدعو الله أن يعز الإسلام بأحدهما ، فاستجاب الله له فى عمر.

ذكر فى أسد الغابة بسنده قال : قال لنا عمر بن الخطاب : أتحبون أعلمكم كيف كان بدء إسلامى ؟ قلنا نعم . قال : كنت من أشد الناس على رسول الله ﷺ ،فبينا أنا يوماً فى يوم حار شديد الحر بالهاجرة فى بعض طريق مكة ، إذ لقينى رجل من قريش فقال : أين تذهب يا ابن الخطاب ؟ أنت تزعم أنك هكذا ، وقد دخل عليك هذا الأمر بيتك ، قلت : وما ذاك ؟ قال : أختك قد صبأت ، قال : فرجعت مغضباً ، وقد كان رسول الله يجمع ألرجل والرجلين إذا أسلمنا عند الرجل به قوة فيكونان معه ، ويصيبان من طعامه . وكان قد ضم إلى زوج أختى رجلين . قال : فجئت حتى قرعت الباب . فقيل : من هذا ؟ قلت : ابن الخطاب . قال : وكان القوم جلوساً يقرأون القرآن فى صحيفة معهم ، فلما سمعوا صوتى تبادروا واختفوا وتركوا أو نسوا الصحيفة من أيديهم ، فقامت المرأة ففتحت لى ، فقلت : يا عدوة نفسها ، قد بلغنى أنك صبأت . قال : فأرفع شيئاً فى يدى فأضربها به ، فسال الدم ، فلما رأت المرأة الدم بكت ، ثم قالت : يا بن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل ، فقد أسلمت . قال : فدخلت وأنا مغضب ، فجلست على السرير ، فنظرت فإذا بكتاب فى ناحية البيت ، فقلت : ما هذا الكتاب أعطينيه ، فقالت : لا أعطيك ، لست من أهله ، أنت لا تغتسل من الجنابة ولا تتطهر ، وهذا لا يمسه إلا المطهرون ؛ قال : فلم أزل بها حتى أعطتنيه ، فإذا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) ، فلما مررت بالرحمن الرحيم ، ذعرت ورميت بالصحيفة من يدى ، ثم رجعت إلى نفسى فإذا فيها ﴿ سبح لله ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ قال فكلما مررت باسم من أسماء الله عز وجل ذعرت ثم تراجعت إلى نفسى حتى إذا بلغت ﴿آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ حتى بلغت إلى قوله : ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ قال : فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ،

فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشاراً بما سمعوه منى ، وحمدوا الله عز وجل، ثم قالوا : يابن الخطاب ، أبشر فإن رسول الله دعا يوم الاثنين فقال : «اللهم أعز الإسلام بأحد الرجلين : إما عمرو بن هشام ، وإما عمر بن الخطاب، وإنا نرجو أن تكون دعوة رسول الله لك إلخ .

ولما أعلن عمر إسلامه فى قريش اشتد الأمر على القوم وكادوا يقتلونه لولا أن أجاره منهم العاص بن وائل السهمى ، وناله ما كان يناله المسلمون من الأذى غير أنهم لم يبلغوا به مبلغهم .

ولما كانت الهجرة كان الناس يخرجون متسللين لا يعلم بخروجهم أحد حتى لا تمنعهم قريش . أما عمر فأعلن أنه مهاجر وقال : «من أراد أن تثكله أمه وتأيم عروسه فليلقنى خلف هذا الوادى» ثم خرج مهاجراً فلم يتبعه أحد .

وقد شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها ، وكان موفق الرأى ، ملهماً بالصواب ، وكثيراً ما كان يشير على رسول الله ﷺ بالأمر ثم ينزل القرآن موافقاً لما أشار به ، وكان هو وأبو بكر بمنزلة وزيرين لرسول الله ﷺ ، وقد تزوج رسول الله ﷺ بابنته حفصة ، وله مقامات حسان فى الحدب على رسول الله ﷺ والذب عنه ، والشدة على من ناوأه ، وقد قال رسول الله ﷺ «لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يكن فى أمتى أحد فهو عمر» .

ومن مقاماته المحمودة فى الإسلام يوم السقيفة حين اختلفت الآراء وخشى أن يتفرق أمر المسلمين وتشب نار الفتن فأخمدها بالمبادرة إلى مبايعة أبى بكر ، فكان عمله هذا سبباً لنجاة المسلمين من أكبر كارثة كانت تحل بهم لولا يمن نقيبته وصحة نظره بعد معونة الله تعالى . وقد كان لأبى بكر بمنزلة الوزير الأول يؤازره ويعينه ويشير عليه ، وكان أبو بكر يحيل عليه النظر فيما يرفع إليه من القضايا بالمدينة ، فكان قاضياً له وإن لم يتسمَّ باسم قاض.

إسلامه (رضى الله عنه)

أخرج الترمذى عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال : اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك : بعمر بن الخطاب ، أو بأبى جهل بن هشام . وأخرجه الطبرانى من حديث ابن مسعود وأنس (رضى الله عنهم) .

وأخرج الحاكم عن ابن عباس ، أن النبى ﷺ قال : اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة وأخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى بكر الصديق وفى الكبير من حديث ثوبان .

وأخرج أحمد عن عمر قال : خرجت أتعرض رسول الله ﷺ ، فوجدته قد سبقنى إلى المسجد ، فقمت خلفه ، فاستفتح سورة الحاقة ، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن ، فقلت : والله هذا شاعر كما قالت قريش ، فقرأ ، ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [سورة الحاقة : الآية ٤١] فوقع فى قلبى الإسلام كل موقع .

وأخرج ابن أبى شيبة عن جابر قال : كان أول إسلام عمر أن عمر قال : ضرب أختى المخاض ليلاً ، فخرجت عن البيت ، فدخلت فى أستار الكعبة ، فجاء النبى ﷺ فدخل الحجر وعليه بتان (كساء من صوف غليظ) ، وصلى لله ماشاء ، ثم انصرف ، فسمعت شيئاً لم أسمع مثله ، فخرج فاتبعته ، فقال : من هذا ؟ فقلت : عمر ، فقال : يا عمر ما تدعنى لا ليلا ولا نهاراً ، فخشيت أن يدعو علىّ ، فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله أنك رسول الله ، فقال : يا عمر أسره، قلت : لا والذى بعثك بالحق لأعلننه كما أعلنت الشرك .

وأخرج ابن سعد وأبو يعلى والحاكم والبيهقى فى الدلائل عن أنس (رضى الله عنه) قال : خرج عمر متقلدا سيفه ، فلقيه رجل من بنى زهرة ، فقال : أين

تعمد يا عمر ؟ فقال : أريد أن أقتل محمداً ، قال : وكيف تأمن من بنى هاشم وبنى زهرة وقد قتلت محمداً ؟ فقال : ما أراك إلا قد صبأت ، قال : أفلا أدلك على العجب ، إن ختنك (تطلق على زوج الابنة وزوج الأخت) وأختك قد صبأ وتركا دينك، فمشى عمر ، فأتاهما وعندهما خباب ، فلما سمع بحس عمر توارى فى البيت ، فدخل ، فقال : ما هذه الهينمة ؟ (الصوت الخفى) ، وكانوا يقرؤن سورة طه ، وقالا : ما عدا حديثا تحدثناه بيننا قال : فلعلكما قد صبأتما، فقال له ختنة : يا عمر ، إن كان الحق فى غير دينك ، فوثب عليه عمر ، فوطئه وطأ شديداً ، فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها ، فدفعها دفعة بيده ، فدمى وجهها، فقالت وهى غضبى : وإن كان الحق فى غير دينك ، إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فقال عمر : أعطونى الكتاب الذى هو عندكم فاقرأه ـ وكان عمر يقرأ الكتاب ـ فقالت أخته : إنك رجس ، وأنه لا يمسه إلا المطهرون . فقم اغتسل أو توضأ فقام فتوضأ ثم أخذ الكتاب ، فقرأ طه انتهى إلى : ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ ﴾ .

فقال عمر : دلونى على محمد ، فلما سمع خباب قول عمر خرج ، فقال : أبشر يا عمر ، فإنى أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك ليلة الخميس ، اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب ، أو بعمرو بن هشام ، وكان رسول الله ﷺ فى أصل الدار فى أصل الصفا ، فانطلق عمر حتى أتى الدار وعلى بابها حمزة وطلحة وناس ، فقال حمزة : هذا عمر ، إن يرد الله به خيراً يسلم ، وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينا ، وقال : والنبى ﷺ داخل يوحى إليه ، فخرج حتى أتى عمر ، فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف ، فقال : ما أنت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزى والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة ، فقال عمر : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبد الله ورسوله .

وأخرج البزار والطبرانى وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الدلائل عن أسلم قال : قال لنا عمر : كنت أشد الناس على رسول الله ﷺ بينما أنا فى يوم حار بالهاجرة فى بعض طرق مكة إذ لقينى رجل فقال : عجباً لك يا ابن الخطاب ، إنك تزعم أنك وأنك ، وقد دخل عليك الأمر فى بيتك ، قلت : وماذاك ؟ قال : أختك أسلمت فرجعت مغضبا حتى قرعت الباب قيل : من هذا ؟ قلت : عمر . فتبادروا فاختفوا منى ، وقد كانوا يقرؤن صحيفة بين أيديهم تركوها ، ونسوها ، فقامت أختى بفتح الباب ، فقلت : يا عدوة نفسها أصبأت ؟ وضربتها بشئ كان فى يدى على رأسها ، فسأل الدم وبكت ، فقالت : يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد صبأت ، قال : ودخلت حتى جلست على السرير ، فنظرت إلى الصحيفة فقلت : ما هذا ؟ ناولنيها ، قالت : لست من أهلها إنك لا تطهر من الجنابة ، وهذا كتاب لا يمسه إلا المطهرون ، فمازلت بها حتى ناولتنيها ففتحها فإذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم ، فلما مررت باسم من أسماء الله تعالى ذعرت منه فألقيت الصحيفة ، ثم رجعت إلى نفسى فتناولتها فإذا فيها (سبح لله ما فى السموات والأرض) والحديد ، الحشر ، الصف) فذعرت فقرأت إلى (آمنوا بالله ورسوله) (النساء : ١٣٦) . فقلت أشهد أن لا إله إلا الله ، فخرجوا إلى مبادرين وكبروا وقالوا : أبشر فإن رسول الله ﷺ دعا يوم الاثنين فقال : اللهم أعز دينك بأحب الرجلين إليك : إما أبو جهل بن هشام، وإما عمر ، ودلونى على النبى عليه الصلاة والسلام فى بيت بأسفل الصفا ، فخرجت حتى قرعت الباب ، فقالوا : من ؟ قلت : ابن الخطاب ، وقد علموا شدتى على رسول الله ﷺ، فما جترأ أحد يفتح الباب حتى قال عليه الصلاة افتحوا له ، ففتحوا لى فأخذ رجلان بعضدى حتى أتيا بى النبى عليه الصلاة والسلام ، فقال : خلوا عنه، ثم أخذ بمجامع قميصى وجذبنى إليه ثم قال : أسلم يا ابن الخطاب ، اللهم

أهدد فتشهدت ، فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بفجاج مكة ، وكانوا مستخفين ، فلم أشأ أن أرى رجلا يضرب ويضرب إلا رأيته ، ولا يصيبنى من ذلك شئ فجئت إلى خالى أبى جهل بن هشام ، وكان شريفا ، فقرعت عليه الباب فقال : من هذا؟ فقلت : ابن الخطاب ، وقد صبأت[1] ، فقال : لا تفعل ، ثم دخل وأجاف الباب دونى، فقلت : ما هذا بشئ فذهبت إلى رجل من عظماء قريش فناديته فخرج إلى ، فقلت له مثل مقالتى لخالى وقال لى مثل ما قال خالى فدخل وأجاف الباب دونى ، فقلت : ماهذا بشئ إن المسلمين يضربون وأنا لا أضرب ، فقال لى رجل أتحب أن يعلم بإسلامك ؟ قلت : نعم ، قال : فإذا جلس الناس فى الحجر فات فلانا لرجل لم يكن يكتم السر ، فقل له فيما بينك وبينه : إنى قد صبأت ، فإنه قل ما يكتم السر ، فجئت وقد اجتمع الناس فى الحجر ، فقلت فيما بينى وبينه : أنى قد صبأت . قال : أو قد فعلت : قلت : نعم . فنادى بأعلى صوته : إن ابن الخطاب قد صبأ فبادروا إلىّ فمازلت أضربهم ويضربوننى ، واجتمع على الناس ، فقال خالى : ما هذه الجماعة ؟ قيل : عمر قد صبأ ، فقام على الحجر فأشار بكمه : ألا إنى قد أجرت ابن أختى ، فتكشفوا عنى ، فكنت لا أشاء أن أرى أحداً من المسلمين يُضرب ويضرب إلا رأيته ، فقلت : ما هذا بشئ قد يصيبنى ، فأتيت خالى ، فقلت : جوارك رد عليك فمازلت أضرب وأُضرب حتى أعز الله الإسلام .

وأخرج أبو نعيم فى الدلائل وابن عساكر عن ابن عباس (رضى الله عنه) قال : سألتُ عمر (رضى الله عنه) : لأى شئ سميت الفاروق ؟ فقال : أسلم حمزة قبلى بثلاثة أيام ، فخرجت إلى المسجد ، فأسرع أبو جهل إلى النبى عليه الصلاة والسلام يسبه ، فأخبر حمزة ، فأخذ قوسه وجاء إلى المسجد إلى حلقة

---

(١) صبأ : غير دينه .

قريش التى فيها أبو جهل ، فاتكأ على قوسه مقابل أبى جهل فنظر إليه ، فعرف أبو جهل الشر فى وجهه ، فقال : مالك يا أبا عمارة ؟ فرفع القوس ، فضرب بها أخدعه فقطعه ، فسالت الدماء ، فأصلحت ذلك قريش مخافة الشر ، قال : ورسول الله ﷺ مختفى فى دار الأرقم المخزومى فانطلق حمزة فأسلم ، فخرجت بعده بثلاثة أيام ، فإذا فلان بن فلان المخزومى ، فقلت له : أرغبت عن دين آبائك واتبعت دين محمد ؟ فقال : إن فعلت فقد فعله من هو أعظم عليك حقاً منى ، قلت : ومن هو ؟ قال : أختك وختنك ، فانطلقت فوجدت الباب مغلقا ، وسمعت همهمة (ففتح لى الباب ،، فدخلت ، فقلت : ما هذا الذى أسمع عندكم؟ قالوا : ما سمعت شيئاً ، فمازال الكلام بيننا حتى أخذت برأس ختنى ، فضربته ضربة فأدميته ، فقامت إلىّ أختى ، فأخذت برأسى ، وقالت : قد كان ذلك على رغم أنفك ، فاستحييت حين رأيت الدماء ، فجلست وقلت : أرونى هذا الكتاب ، فقالت أختى : أنه لا يمسه إلا المطهرون فإن كنت صادقا فقم واغتسل فقمت فاغتسلت وجئت فجلست ، فأخرجوا إلىّ صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم فقلت ، أسماء طيبة طاهرة ﴿ طه (١) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ (٢) ﴾ [سورة طه : الآية ١ - ٢] وقوله ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ (٨) ﴾ [سورة طه : الآية ٨] . إلى قوله ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) ﴾ [سورة الحشر : الآية ٢٤]

قال : فتعظمت فى صدرى ، وقلت : من هذا فرت قريش ، فأسلمت ، وقلت : أين رسول الله ﷺ ؟ قالت : فى دار الأرقم ، فأتيت الدار ، فضربت الباب ، فاستجمع القوم .

فقال لهم حمزة : ما لكم ؟ قالوا : عمر ، قال : وإن كان عمر ، افتحوا له الباب ، فإن أقبل قبلنا منه ، وإن أدبر قتلناه ، فسمع ذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فخرج فتشهد عمر ، فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل مكة ، قلت : يا رسول الله ألسنا على حق ؟ قال : بلى ، قلت : ففيم الإخفاء ، فخرجنا صفين أنا فى أحدهما وحمزة فى الآخرة حتى دخلنا المسجد ، فنظرت قريش إلىّ وإلى حمزة ، فأصابهم كآبة شديدة (لم يصيبهم مثلها ، فسمانى رسول الله عليه الصلاة والسلام الفاروق يومئذ لأنه أظهر الإسلام ، وفرق بين الحق والباطل .

وأخرج ابن سعد عن ذكوان قال : قلت لعائشة : من سمى عمر الفاروق ؟ قالت : النبى عليه الصلاة والسلام .

وأخرج ابن ماجة والحاكم عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال : لما أسلم عمر نزل جبريل، فقال : يا محمد، لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر.

وأخرج البزار والحاكم وصححه عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال : لما أسلم عمر قال المشركون : قد انتصف القوم اليوم منا ، فأنزل الله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٤) ﴾ [الأنفال : ٦٤]

أخرج ابن سعد والطبرانى عن ابن مسعود (رضى الله عنه) قال : كان إسلام عمر فتحا ، وكانت هجرته نصراً ، وكانت إمامته رحمة ، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلى إلى البيت حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركوه فصلينا .

وأخرج الطبرانى عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال : أول من جهر بالإسلام عمر ابن الخطاب ، (وإسناده صحيح) .

في صفته وهيئته

عن محمد بن سعد يرفعه إلى ابن عمر (رضى الله عنه) أنه وصف أباه فقال : كان رجلاً أبيض تعلوه حمرة طوال ، أصلع ، أشيب .

وقال عبيدة بن عميرة كان عمر رجلاً أيسر[1] ، وقال أيضاً : كان عمر يفوق الناس طولا[2] ، وعن ابن رجاء العطاردى قال : كان عمر بن الخطاب رجلاً طوالا جسيماً أصلع أبيض شديد حمرة العينين فى عارضيه خفة ، سبلته كبيرة الشعر فى أطرافها صهبية ، وكان قليل الضحك ، لا يمازح أحداً مقبلاً على شأنه[3] .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال : كان عمر يتختم فى اليسار ، وقال أنس بن مالك خضب عمر بالحناء والكتم ، وعن زر قال : كنت فى المدينة يوم عيد فإذا عمر ابن الخطاب ضخم ، أصلع ، أولم كأنه على دابة مشرف كل الناس أعسر أيسر.

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال : رأيت عمر يمسك أذن فرسه بإحدى يديه، ويمسك أذنه بيده الأخرى ، ثم يثب حتى يقعد عليه .

فى هجرته رضى الله عنه

أخرج ابن عساكر عن على قال : ما علمت أحداً هاجر إلا مختفياً إلا عمر ابن الخطاب ، فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه ، وانتضى

(١) أخرجه ابن سعد(٥/٤) والحاكم (٢٢٣/٣) عن ابن عباس ، قال الحاكم صحيح على شرط مسلم .

(٢) أخرجه بن سعد فى الطبقات (٢٤٧/٣) عن عبيد بن عمير .

(٣) أخرج ابن سعد عن طريق حزام ابن هشام عن أبيه قال : ما رأيت عمر مع قوم قط إلا رأيت أنه فوقهم .

(أخرجه من كنانته) فى يده سهما ، وأتى الكعبة وأشراف قريش قضائها ، فطاف سبعا ، ثم صلى ركعتين عند المقام ، ثم أتى خلفهم واحدة واحدة ، فقال : شاهت (قبحت) الوجوه ، من أراد أن تثكله أمه وييتم ولده ، وترمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى ، فما تبعه منهم أحد .

قال النووى : شهد عمر مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها ، وكان ممن ثبت معه يوم أحد .

انتخاب عمر للخلافة

لما اشتدَّ على أبى بكر مرضه ، وأحسَّ بدنو أجله ، خاف على المسلمين أن ينتشر أمرهم وتنحلَّ عقدة اجتماعهم بتنازعهم سبل الخلافة ، وقد رأى الناس يوم وفاة رسول الله ﷺ قد انقسموا فئتين كل منهما يجذب الخلافة إلى حيزه ـ فكان ذلك حاديا له على النظر للمسلمين والاحتياط لاجتماع كلمتهم ، ولم يشغله ما هو فيه عن النظر فى مصلحتهم من بعده وجمع كلمتهم ، ولو أن أبا بكر ترك مركز الخلافة شاغراً لكان للتصاول عليها مجال ، ولشغل المسلمون عن أعدائهم بأنفسهم، ولكان وجه التاريخ تغير عما هو عليه اليوم، ولكانت فتنة القوم بالخلافة أنكى وأشد من فتنة الردة ، ولعادت فتنة الردة جذعة واتسع الفتق على الراتق .

أدار أبو بكر عينه فى أصحابه يتخير منهم لهذا المنصب رجلا يكون شديداً فى غير عنف ، ليناً فى غير ضعف ، فوجد كثيراً من أصحاب رسول الله ﷺ على ما يجب ، غير أن عمر كان أفضلهم فى نفسه ، وأقربهم إلى الصفة التى يجب أن يكون عليها خليفة المسلمين ، وكذلك كان عمر فى نفوس من استشارهم أبو بكر فى أمر الخلافة ومن يليها .

يقول صاحب أشهر مشاهير الإسلام رحمه الله ، وممن توفرت فيهم هذه

الصفة من الصحابة الكرام عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب ، إلا أن الأول كان ربما يريد الأمر فيرى فى طريقه عقبة فيدور إليه ، والثانى يرى الاستقامة فلا يبالى بالعقبة تقوم بين يديه ، فهو إلى الشدة أميل منه إلى اللين .

عزم أبو بكر على اختيار عمر . وأحب أن يستوثق للأمر ويوطن أصحاب رسول الله ﷺ وأهل السابقة على هذا الأمر حتى لا يكون فى نفس أحد منهم حفيظة ، ولئلا يكون قد استخلف عليهم من لا يرضونه . فسأل عبد الرحمن بن عوف فقال : أخبرنى عن عمر بن الخطاب . فقال : ما تسألنى عن أمر إلا وأنت أعلم به منى . فقال : وإن . فقال عبد الرحمن : هو أفضل من رأيك فيه من رجل ، ولكن فيه غلظة . قال أبو بكر : ذلك لأنه يرانى رقيقاً ، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً مما هو فيه . ثم دعا عثمان بن عفان فقال : أخبرنى عن عمر ، فقال أنت أخبرنا به . فقال : على ذلك يا أبا عبد الله ، أخبرنى عن عمر . فقال : اللهم علمى به أن سريرته خير من علانيته ، وأنه ليس فينا مثله . فقال أبو بكر : رحمك الله أبا عبد الله ، لا تذكر مما ذكرت لك شيئا . قال : أفعل . فقال له أبو بكر : لو تركته ما عدوتك وما أدرى لعله تاركه ، والخيرة له إلا يلى من أموركم شيئاً ، ولوددت أنى كنت خلوا من أموركم وأنى كنت فيمن مضى من سلفكم . وسأل أسيد بن حضير فقال أسيد : اللهم أعلمه الخير بعدك ، يرضى للرضى ويسخط للسخط ، الذى يسر خير من الذى يعلن ولن يلى هذا الأمر أحد أقوى عليه منه . واستشار غير هؤلاء سعيد بن زيد وجماعة من المهاجرين والأنصار فكلهم قال خيراً واثنى عليه .

ولما تهيأ لأبى بكر ما أراد دعا عثمان بن عفان فأملى عليه :

«بسم الله الرحمن الرحيم * هذا ما عهد أبو بكر بن أبى قحافة إلى المسلمين أما بعد» ثم أغمى عليه فكتب : «فإنى استخلفت عليكم عمر بن

الخطاب ولم آلكم خيراً» ثم أفاق أبو بكر فقال : «اقرأ على . فقرأ عليه فكبر أبو بكر وقال : أراك خفت أن يختلف الناس إن افتلت فى غشيتى . قال : نعم . قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله . وأقرها أبو بكر من هذا الوضع.

قال الطبرانى : ثم أشرف على الناس وزوجه أسماء بنت عميس ممسكته. فقال لهم : أترضون بمن أستخلف عليكم ؟ فإنى والله ما ألوت من جهد الرأى ولا وليت ذا قرابة وإنّى قد وليت عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا . فقالوا : سمعنا وأطعنا .

ثم دعا أبو بكر بعمر خالياً فقال: إنى مستخلفك من بعدى وموصيك بتقوى الله، إن لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار، وعملا بالنهار لا يقبله بالليل، وإنه لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة فإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم. وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا. وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً. إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا ذكرتهم قلت: إنى أخاف أن لا أكون من هؤلاء. وذكرت أهل النار فذكرهم بأسأ حالهم ولم يذكر حسناتهم ، فإذا ذكرتهم قلت: إنى لأرجو أن لا أكون من هؤلاء. وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغباً راهباً ولا يتمنى على الله غير الحق ولا يلقى بيده إلى التهلكة. فإذا حفظت وصيتى فلا يكن غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك، وإن ضيعت وصيتى فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت ولست بمعجزة .

ولما خرج عمر من عنده رفع يديه وقال : اللهم إنى لم أرد بذلك إلا صلاحهم وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما أنت أعلم به . واجتهدت لهم رأيا فوليت عليهم خيرهم ، وأقواهم عليهم ، وأحرصهم على ما أرشدهم ، وقد

حضرنى من أمرك ما حضر ، فأخلفنى فيهم عبادك ونواصيهم بيدك ، أصلح اللهم لهم ولاتهم واجعله من خلفائك الراشدين وأصلح له رعيته .

وكان بدء خلافة عمر بن الخطاب يوم الثلاثاء ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٣ هجرية (٢٣ أغسطس سنة ٦٣٤ ميلادية) .

أول خطبة لعمر

بعد أن بويع عمر بالخلافة بعد وفاة أبى بكر صعد المنبر فقال كلمة قصيرة اشتملت على سياسته التى اعتزم أن يسوس بها الناس فقال بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله : «إنما مثل العرب كمثل جمل آنف اتبع قائده فلينظر قائده أين يقوده ، أما أنا فورب الكعبة لأحملنكم على الطريق»

والجمل الآنف : هو الجمل الذلول المواتى الذى يأنف من الزجر والضرب ويعطى ما عنده من السير عفواً سهلاً ، وهذا تشخيص حسن للأمة الإسلامية لعهده فإنها كانت سامعة مطواعة إذا أمرت ائتمرت ، وإذا نهيت انتهت ويتبع ذلك المسئولية الكبرى على قائدها فإنه يجب عليه أن يرتاد لها ويبصر فى شأنها بعقل ، ويورد بتمييز حتى لا يورطها فى خطر ، ولا يقحمها فى مهلكة ، ولا يهمل شأنها إهمالاً يكون من ورائه البطر ، وقد أراد بالطريق : الطريق الأقوم الذى لا عوج فيه . وقد برَّ بما أقسم به .

الأحاديث الواردة فى فضله

أخرج الشيخان عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال : قال النبى عليه الصلاة والسلام : «بينا أنا نائمٌ رأيتنى فى الجنة ، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قَصْرٍ ، قلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا : لعمر ، فذكرت غيرتَك ، فوليت مدبراً» فبكى عمر ، قال : أعليك أغار يا رسول الله ؟

وأخرج الشيخان عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : «بينا أنا نائم شربت - يعنى اللبن - حتى أنظر الرى يجرى فى أظافرى ، ثم ناولته عمر ، قالوا : فما أوَّلته يا رسول الله ؟ قال : العلم» .

وأخرج الشيخان عن أبى سعيد الخدري رضى الله عنه قال : سمعت النبى ﷺ يقول : «بينا أنا نائم رأيت الناس عُرِضوا عَلَىَّ وعليهم قُمُصٌ فمنها ما يبلغ الثدىَّ ، ومنها ما يبلغ دون ذلك ، وعرض عَلَىَّ عمر وعليه قميص يجرُّهُ ، قالوا : فما أولته يا رسول الله ؟ قال : الدين ».

وأخرج الشيخان عن سعد بن أبى وقَّاص ، قال : قال النبى ﷺ : «يا ابن الخطاب ، والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكا فَجًّا قط إلا سلك فجًّا غير فَجِّكَ».

وأخرج البخارى عن أبى هريرة قال : قال النبى ﷺ : «لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس مُحَدَّثون، فإن يكن فى أمتى أحدٌ فإنه عمر» - أى مُلْهَمُونَ.

وأخرج الترمذى عن ابن عمر أن عليه الصلاة والسلام قال : «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه» ، قال ابن عمر : «وما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال ، إلا نزل القرآن على نحو ما قال عمر».

وأخرج الترمذى والحاكم وصححه عن عُقْبة بن عامر قال : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : «لو كان بعدى نبىٌّ لكان عمر بن الخطاب» ، وأخرجه الطبرانى عن أبى سعيد الخدرى ، وعصمة بن مالك . وأخرجه ابن عساكر من حديث ابن عمر .

وأخرج الترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال النبى عليه الصلاة السلام : «إنى لأنظر إلى شياطين الجنِّ والإنس قد فرُّوا من عمر».

وأخرج ابن ماجة والحاكم عن أبيٍّ بن كعب قال : قال النبى عليه الصلاة والسلام : « أول من يصافحه الحقُّ عمر ، وأول من يسلم عليه ، وأول من يأخذ بيده فيدخل الجنة» .

وأخرج ابن ماجة والحاكم عن أبى ذرّ قال : سمعت النبى عليه الصلاة والسلام يقول :« إن الله وضع الحقّ على لسان عمر وقلبه».

وأخرج أحمد والبزار عن أبى هريرة قال: قال النبى عليه الصلاة والسلام: «إنَّ الله جعل الحقَّ على لسان عمر وقلبه» ، وأخرجه الطبرانى من حديث عمر بن الخطاب ، وبلال ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وعائشة ـ رضى الله عنهم ـ وأخرجه ابن عساكر من حديث عمر .

وأخرج ابن منيع فى مسنده عن علىّ رضى الله عنه قال : كنا أصحاب محمدٍ لا نشكُّ أن السكينة تنطق على لسان عمر .

وأخرج البزار عن ابن عمر قال : قال النبى ﷺ : «عمرِ سراَجُ أهل الجنة» ، وأخرجه ابن عساكر من حديث أبى هريرة ، والصَّعْب ابن جثَّامة.

وأخرج البزار عن قُدامة بن مظعون ، عن عمه عثمان بن مظعون ، قال : قال النبى ﷺ : «هذا غَلَق الفتنة، وأشار بيده إلى عمر ، لا يزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغلق ما عاش هذا بين أظهركم».

وأخرج لطبراتى فى الأوسط عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : «جاء جبريل إلى النبى عليه الصلاة والسلام ، فقال : أَقْرِىءِ عمرَ السلامَ، وأخبره أن غَضَبَه عِزٌّ وَرِضاه حكم».

وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضى الله عنها أن النبى عليه الصلاة والسلام قال : «إن الشيطان يَفْرَقُ من عمر».

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال النبى عليه الصلاة والسلام : «ما فى السموات مَلكٌ إلا وهو يوقّر عمر ، ولا فى الأرض شيطان إلا وهو يَفْرَقُ [1] من عمر».

وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى عليه الصلاة والسلام : «إن الله باهى بأهل عرفة عامة [2] ، وباهى بعمر خاصة وأخرج فى الكبير مثله من حديث ابن عباس رضى الله عنهما .

وأخرج الطبرانى والدَّيْلَمى عن الفضل بن عباس قال : قال النبى عليه الصلاة والسلام : «الحق بعدى مع عمر حيث كان» .

وأخرج الشيخان عن ابن عمر ، وأبى هريرة رضى الله عنه ، قالا : قال النبى عليه الصلاة والسلام : «بينا أنا نائم رأيتنى على قَلِيب [3] عليها دَلْوٌ فنزعت منها إلى ما شاء الله ، ثم أخذ أبو بكر فنزع ذَنُوباً أو ذَنُوبَيْن [4] ، وفى نزعه ضعيف ، والله يغفر له ، ثم جاء عمر (بن الخطاب) فاستقى فاستحالت فى يده غرباً [5]، فلم أر عبقرياً من الناس يفرى فَرْيه [6] حتى رَوِى الناس ، وضربوا بعطن».

قال النووى فى تهذيبه : قال العلماء : هذا إشارة إلى خلافة أبى بكر وعمر ، وكثرة الفتوح ، وظهور الإسلام فى زمن عمر.

---

(١) فرق يفرق فرقاً ـ بوزن فرح ـ أى خاف .

(٢) باهى : فاخر .

(٣) القليب : البئر .

(٤) الذنوب : الدلو.

(٥) الغرب ـ بالفتح ـ الدلو العظيمة .

(٦) يفرى فريه : يعمل مثل ما يعمل .

وأخرج الطبرانى عن سديسة قالت : قال النبى عليه الصلاة والسلام : «إن الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم إلا خَرَّ لوجهه» ، وأخرجه الدارقطنى فى الأفراد من طريق سديسة عن حفصة .

وأخرج الطبرانى عن أبىٍّ بن كعب قال : قال النبى عليه الصلاة والسلام : «قال لى جبريل : ليبك الإسلام على موت عمر».

وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن أبى سعيد الخدرى قال : قال النبى ﷺ: «من أبغض عمر فقد أبغضنى، ومن أحب عمر فقد أحبنى ، وإن الله باهى بالناس عشية عرفة عامة ، وباهى بعمر خاصة ، وإنه لم يبعث الله نبيًا إلا كان فى أمته مُحَدَّث ، وإن يكن فى أمتى منهم أحدٌ فهو عمر ، قالوا : يا نبى الله ، كيف محدث ؟ قال ، تتكلم الملائكة على لسانه» إسناد حسن.

فى أقوال الصحابة والسلف فيه

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : ما على ظهر الأرض رجل أحبُّ إلىَّ من عمر ، أخرجه ابن عساكر.

وقيل لأبى بكر فى مرضه : ماذا تقول لربك وقد ولَّيتَ عمر ؟ قال : أقول له وليت عليهم خيرهم . أخرجه ابن سعد.

وقال علىّ رضى الله عنه : إذا ذكر الصالحون فَحيْهلا بعمر ، ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر . أخرجه الطبرانى فى الأوسط .

وقال ابن عمر رضى الله عنه : ما رأيت أحداً قط بعد النبى ﷺ من حين قُبض أحدَّ ولا أجود من عمر . أخرجه ابن سعد .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : لو أن علم عمر وضع فى كفة ميزان

ووضع علم أحياء الأرض فى كفة لرجح علم عمر بعلمهم ، ولقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم . أخرجه الطبرانى فى الكبير ، والحاكم .

وقال حذيفة رضى الله عنه: كأن علم الناس كان مدسوساً فى حِجْر عمر.

وقال حذيفة : والله ما أعرف رجلاً لا تأخذه فى الله لومة لائم إلا عمر.

وقالت عائشة رضى الله عنها : وذكرت عمر - كان والله أحْوَذِيًا نسيج وحده .

وقال معاوية رضى الله عنه : أما أبوبكر فلم يرد الدنيا ولم ترده ، وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يردها ، وأما نحن فتمرّغنا فيها ظهراً لبطن . أخرجه الزبير بن بكار فى الموفقيات .

وقال جبير رضى الله عنه : دخل علىٌّ على عمر - وهو مُسَجّى - فقال : رحمة الله عليك ! ما مِنْ أحد أحبُّ إلىَّ أن ألْقى الله بما فى صحيفته بعد صحبه النبى عليه الصلاة والسلام من هذا المُسجّى . أخرجه الحاكم .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : إذا ذكر الصالحون فحيّهلاً بعمر ، إن عمر كان أعلمنا بكتاب الله، وأفقهنا فى دين الله تعالى. أخرجه الطبرانى والحاكم.

وسئل ابن عباس عن أبى بكر ، فقال : كان كالخير كله ؛ وسئل عن عمر ، فقال : كأن كالطير الحَذِر الذى يرى أن له بكل طريق شركاً يأخذه ، وسئل عن علىّ فقال : ملئ عزماً وعلماً ونجدة . أخرجه فى الطيوريات .

وأخرج الطبرانى عن عمير بن ربيعة أن عمر بن الخطاب قال لكعب الأحبار : كيف تجد نعتى ؟ قال : أجد نعتك قرناً من حديد ، قال : وما قرن من

حديد ؟ قال : أمير شديد لا تأخذه فى الله لومة لائم قال : ثم مَهْ ؟ قال : ثم يكون من بعدك خليفة تقتله فئة ظالمة ، قال : ثم مَهْ ؟ قال : ثم يكون البلاء .

وأخرج أحمد والبزار والطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : فضل عمر بن الخطاب الناس بأربع : بذكر الأسرى يوم بدر ، أمر بقتلهم فأنزل الله ﴿ لَوْلا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨) ﴾ [سورة الأنفال : الآية ٦٨] ، وبذكر الحجاب ، أمر نساء النبى ﷺ أن يحتجبن ، فقالت له زينب : وإنك علينا يا ابن الخطاب والوحى ينزل علينا فى بيوتنا فأنزل الله :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣) ﴾ [سورة الأحزاب : الآية ٥٣] ، وبدعوة النبى ﷺ : «اللهم أيِّد الإسلام بعمر» وبرأيه فى أبى بكر كان أول من بايعه .

أخرج ابن عساكر عن مجاهد قال : كنا نحدث أن الشياطين كانت مصفّدة فى إمارة عمر ، فلما أصيب بُثّتْ

وأخرج عن سالم بن عبد الله قال : أبطأ خبر عمر على أبى موسى فأتى امرأة فى بطنها شيطان ، فسألها عنه ، فقالت : حتى يجيئنى شيطانى ، فجاء ، فسألته عنه ، فقال : تركته مؤتزراً بكساء يهنأ إبل الصدقة ، وذاك رجل لا يراه شيطان إلا خرّ لمنخريه ، الملكُ بين عينيه ، وروح القُدس ينطق بلسانه.

قال سفيان الثورى : من زعم أن علياً كان أحقّ بالولاية من أبى بكر وعمر فقد أخطأ ، وخطأ أبا بكر وعمر ، والمهاجرين والأنصار.

وقال شريك : ليس يقدم علياً على أبى بكر وعمر أحد فيه خير .

وقال أبو أسامة : أتدرون من أبو بكر، وعمر ؟ هما أبو الإسلام وأمُّهُ .

وقال جعفر الصادق : أنا برئ ممن ذكر أبا بكر وعمر إلا بخير .

ذكر أولاده

كان له من الولد عبد الله ، وعبد الرحمن ، وحفصة : أمهم زينب بنت مظعون وزيد الأكبر ، ورقية . أمهما أم كلثوم بنت على . وزيد الأصغر ، وعبيد الله . أمهما أم كلثوم بنت جرول . وعاصم : أمه جميلة . وعبد الرحمن الأوسط. أمه لهية أم ولد . وعبد الرحمن الأصغر : أمه أم ولد . وفاطمة : أمها أم حكيم بنت الحارث . وعياض أمه عاتكه بنت زيد . وزينب ، أمها فكيهة ، أم ولد .

فى موافقات عمر رضى الله عنه

قد أوصلها بعضهم إلى أكثر من عشرين .

أخرج ابن مردوية عن مجاهد قال : كان عمر يرى الرأى فينزل به القرآن.

وأخرج ابن عساكر عن علىّ قال : إن فى القرآن لرأيًا من رأى عمر .

وأخرج عن ابن عمر مرفوعاً : ما قال الناس فى شئ وقال فيه عمر إلا جاء القرآن بنحو ما يقول عمر .

وأخرج الشيخان عن عمر قال : وافقت ربى فى ثلاث ، قلت : يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلًّى ، فنزلت ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ

وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥) ﴾ [سورة البقرة : الآية ١٢٥] ، وقلت : يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر ، فلو أمرتهن أن يحتجبن ، فنزلت آية الحجاب ، واجتمع نساء النبى عليه الصلاة والسلام فى الغيرة ، فقلت : عسى ربه إن طلقكن أن يُبْدِلَهُ أزواجاً خيراً منكن ، فنزلت كذلك .

وأخرج مسلم عن عمر قال : وافقت ربى فى ثلاث : فى الحجاب ، وفى أسارى بدر ، وفى مقام إبراهيم ، ففى هذا الحديث خصلة رابعة(١) .

وفى التهذيب للنووى : نزل القرآن بموافقته فى أسرى بدر ، وفى الحجاب، وفى مقام إبراهيم ، وفى تحريم الخمر ؛ فزاد خصلة خامسة ، وحديثها فى السنن ومستدرك الحاكم أنه قال : اللهم بيِّن لنا فى الخمر بياناً شافياً ، فأنزل الله تحريمها .

وأخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أنس ، قال : قال عمر : وافقت ربى فى أربع ، نزلت هذه الآية : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ﴾ [سورة المؤمنين : الآية ١٢] ،

فلما نزلت قلت أنا : فتبارك الله أحسن الخالقين فنزلت : ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ﴾ [سورة المؤمنين : الآية ١٤] ، فزاد فى هذا الحديث خصلة سادسة ، وللحديث طريق آخر عن ابن عباس أوردته فى التفسير المسند .

---

(١) اتفق مع ما قبله فى الحجاب ، وفى مقام إبراهيم وانفرد هذا بأسارى بدر وانفرد السابق بقصة الغيرة ، فكان من مجموعهما أربع . فهذا هو المراد وكذلك فيما بعده.

وزاد سابعاً قصة عبد الله بن أبيٍّ ، قلت : حديثهما في الصحيح عنه ، قال : لما توفى عبد الله بن أبيٍّ دُعي رسول الله ﷺ عليه ، فقام إليه ، فقمت حتى وقفت في صدره ، فقلت : يا رسول الله ، أو على عدو الله بن أبيٍّ القائل يوم كذا وكذا ؟ فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [سورة التوبة : الآية ٨٤]

وثامناً : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [سورة البقرة : الآية ٢١٩]

وتاسعاً : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [سورة النساء : الآية ٤٣] .

وعاشراً : لما أكثر رسول الله عليه الصلاة والسلام من الاستغفار لقوم قال عمر : سواء عليهم ، فأنزل الله ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [سورة المنافقون : الآية ٦] ، أخرجه الطبراني عن ابن عباس .

الحادي عشر : لما استشار عليه الصلاة والسلام الصحابة في الخروج إلى بدر أشار عمر بالخروج ، فنزلت : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [سورة الأنفال : الآية ٥]

الثانى عشر : لما استشار عليه الصلاة والسلام الصحابة فى قصة الإفك، قال عمر : مَنْ زوجكها يا رسول الله ؟ قال : الله . قال : أفتظن أن ربك دلّس عليك فيها ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم ! فنزلت كذلك

الثالث عشر : قصته فى الصيام لما جامع زوجته بعد الانتباه ، وكان ذلك مُحرَّماً فى أول الإسلام ، فنزل ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧) ﴾ [سورة البقرة : الآية ١٨٧] ، أخرجه أحمد فى مسنده .

الرابع عشر : قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) ﴾ [سورة البقرة : الآية ٩٧] ، أخرجه ابن جرير وغيره من طرق عديدة وأقربها للموافقة ما أخرجه ابن أبى حاتم عن عبد الرحمن بن أبى ليلى أن يهودياً لقى عمر ، فقال : إن جبريل الذى يذكره صاحبكم عدو لنا ، فقال له عمر : من كان عدو الله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ، فنزلت على لسان عمر.

الخامس عشر : قوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥) ﴾ [سورة النساء : الآية ٦٥] ، أخرج قصتها ابن أبى حاتم وابن

مردويه عن أبى الأسود ، قال : اختصم رجلان إلى النبى صلى الله عليه وسلم وآله وسلم ، فقضى بينهما ، فقال الذى قضى عليه : رُدَّنا إلى عمر بن الخطاب ، فأتيا إليه ، فقال الرجل : قضى لى رسول الله عليه الصلاة والسلام على هذا ، فقال : رُدَّنا إلى عمر ، فقال : أكذاك ؟ قال : نعم ، فقال عمر : مكانكما حتى أخرج إليكما فخرج إليهما مشتملاً على سيفه فضرب الذى قال : «رُدَّنا إلى عمر» فقتله ، وأدبر الآخر ، فقال : يا رسول الله ، قتل عمر - والله - صاحبى ، فقال : ما كنت أظن أن يجترئ عمر على قتل مؤمن ، فأنزل الله : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [سورة النساء : الآية ٦٥] ، فأهدر دم الرجل وبرئ عمر من قتله ، وله شاهد موصول .

السادس عشر : الاستئذان فى الدخول ، وذلك أنه دخل عليه غلامه ، وكان نائماً ، فقال : اللهم حرِّم الدخول ، فنزلت آية الاستئذان .

السابع عشر : قوله فى اليهود : إنهم قوم بُهتُ .

الثامن عشر : قوله تعالى : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ ، ﴿ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة الواقعة : الآيتان ١٣ ، ٤٠] ، أخرج قصتها ابن عساكر فى تاريخه عن جابر بن عبد الله ، وهى فى أسباب النزول.

التاسع عشر : رفع تلاوة (الشيخ والشيخة إذا زنيا).

العشرون : قوله يوم أحد لما قال أبو سفيان : أفى القوم فلان ؟ «لا نجيبنه» فوافقه النبى عليه الصلاة والسلام ، أخرج قصته أحمد فى مسنده.

قال : ويضم إلى هذا ما أخرجه عثمان بن سعيد الدرامى فى كتاب «الرد على الجهمية» من طريق ابن شهاب عن سالم بن عبد الله أن كعب الأحبار قال:

ويل لملك الأرض من ملك السماء فقال عمر : إلا من حاسب نفسه ، فقال كعب : والذى نفسى بيده إنها فى التوراة لتابعتها ، فخرج عمر ساجداً .

عن عمر أن بلالاً كان يقول - إذا أذَّنَ - أشهد أن لا إله إلا الله ، حى على الصلاة ، فقال له عمر : قل فى أثرها : أشهد أن محمداً رسول الله ، فقال النبى عليه الصلاة والسلام : قل كما قال عمر .

فى كراماته رضى الله عنه

أخرج البيهقى وأبو نعيم ، كلاهما فى دلائل النبوة ، واللالكائى فى شرح السنة والدير عاقولى فى فوائده ، وابن الأعرابى فى كرامات الأولياء ، والخطيب فى رواة مالك عن نافع عن ابن عمر ، قال : وجه عمر جيشاً ، ورأس عليهم رجلاً يدعى سارية ، فبينما عمر يخطب جعل ينادى : يا سارية الجبل ، ثلاثا ، ثم قدم رسول الجيش ، فسأله عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين هُزمنا ، فبينا نحن كذلك إذ سمعنا صوتاينادى : يا سارية الجبل ، ثلاثا ، فأسندنا ظهورنا إلى الجبل ، فهزمهم الله ، قال : قيل لعمر : إنك كنت تصيح بذلك ، وذلك الجبل الذى كان سارية عنده بنهاوند من أرض العجم ، قال ابن حجر فى الإصابة إسناده حسن.

وأخرج ابن مردويه من طريق ميمون بن مهران عن ابن عمر ، قال : كان عمر يخطب يوم الجمعة ، فعرض فى خطبته أن قال : يا سارية الجبل ، من استرعى الذئب ظلم ، فالتفت الناس بعضهم لبعض ، فقال لهم على : ليخرجن مما قال ، فلما فرغ سألوه ، فقال : وقع فى خلدى أن المشركين هزموا إخواننا وأنهم يمرون بجبل ، فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجه واحد ، وإن جاوزوا هلكوا ، فخرج منى ما تزعمون أنكم سمعتموه ، قال : فجاء البشير بعد شهر ، فذكر

أنهم سمعوا صوت عمر فى ذلك اليوم ، قال : فعدلنا إلى الجبل ففتح الله علينا

وأخرج أبو نعيم فى الدلائل عن عمرو بن الحارث قال : بينما عمر [بن الخطاب] على المنبر يخطب يوم الجمعة إذ ترك الخطبة فقال : يا سارية الجبل ، مرتين أو ثلاثاً ثم أقبل على خطبته ، فقال بعض الحاضرين : لقد جُنّ ، إنه لمجنون ، فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف وكان يطمئن إليه ، فقال : «لشدّ ما ألومك عليك» إنك لتجعل لهم على نفسك مقالاً ، بينا أنت تخطب إذ أنت تصيح : يا سارية الجبل ، أى شئ هذا ! قال : إنى والله ما ملكت ذلك ، رأيتهم يقاتلون عند جبل يؤتون من بين أيديهم ومن خلفهم ؛ فلم أملك أن قلت «يا سارية الجبل» ليلحقوا بالجبل ، فلبثوا إلى أن جاء رسول سارية بكتابه . إن القوم لقونا يوم الجمعة ، فقاتلناهم حتى إذا حضرت الجمعة [ودار حاجب الشمس] سمعنا مناديا ينادى : يا سارية الجبل مرتين ، فلحقنا بالجبل ، فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله وقتلهم ، فقال أولئك الذين طعنوا عليه : دعوا هذا الرجل فإنه مصنوع له .

وأخرج أبو القاسم بن بشران فى فوائده من طريق موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال : قال عمر بن الخطاب لرجل : ما اسمك ؟ قال : جمرة، قال : ابن من ؟ قال : ابن شهاب ، قال ممن ! قال من الحرقة، قال : أين مسكنك ؟ قال : الحرة ، قال : بأيها ؟ قال : بذات لظى ، فقال عمر : أدرك أهلك فقد احترقوا ، فرجع الرجل فوجد أهله قد احترقوا .

وأخرج مالك فى الموطأ عن يحيى بن سعيد نحوه وأخرجه ابن دريد فى الأخبار المنثورة ، وابن الكلبى فى الجامع ، وغيرهم .

وقال أبو الشيخ فى كتاب العظمة : حدثنا أبو الطيب ، حدثنا على ابن داود ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة ، عن قيس بن الحجاج ، عمن

حدثه ، قال : لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو ابن العاص حين دخل يوم من أشهر العجم فقالوا : يا أيها الأمير إن لنيلنا هذا سُنّة لا يجرى إلا بها ، قال : وما ذاك ؟ قالوا : إذا كان إحدى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الثياب والحلى والحلى أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها فى هذا النيل ، فقال لهم عمرو : إن هذا لا يكون أبداً فى الإسلام ، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله ، فأقاموا والنيل لا يجرى قليلا ولا كثيراً ، حتى همُّوا بالجلاء ، فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب له أن قد أصبت بالذى قلت ، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وبعث بطاقة فى داخل كتابه ، وكتب إلى عمرو : إنى قد بعثت إليك ببطاقة فى داخل كتابى فألقها فى النيل ، فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو بن العاص أخذ البطاقة ففتحها ، فإذا فيها : من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أما بعد فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر ، وإن كان الله يجريك فأسأل الواحد القهار أن يجريك ، فألقى البطاقة فى النيل قبل الصليب بيوم ، فأصبحوا وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعاً فى ليلة واحدة ، فقطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم .

وأخرج ابن عساكر عن طارق بن شهاب ، قال : إن كان الرجل ليحدث عمر بالحديث فيكذبه الكذبة فيقول : احبس هذه ، ثم يحدثه بالحديث فيقول : احبس هذه ، فيقول له : كل ما حدثتك حق إلا ما أمرتنى أن أحبسه .

وأخرج عن الحسن قال : إن كان أحد يعرف الكذب إذا حدث به فهو عمر بن الخطاب .

وأخرج البيهقى فى الدلائل عن أبى هدبة الحمصى قال : أخبر عمر بأن

أهل العراق قد حصبوا أميرهم[1] فخرج غضبان، فصلى فسها في صلاته ، فلما سلم قال : اللهم إنهم قد لبسوا عليّ فالبس عليهم ، وعجل عليهم بالغلام الثقفي يحكم فيهم بحكم الجاهلية : لا يقبل من محسنهم ، ولا يتجاوز عن مسيئهم ، قلت : أشار به إلى الحجاج ، قال ابن لهيعة : وما ولد الحجاج يومئذ.

في نبذ من سيرته

أخرج ابن سعد عن الأحنف بن قيس قال : كنا جلوسا بباب عمر ، فمرت جارية، فقالوا سُرِّيَّةُ أمير المؤمنين ، فقال : ما هي لأمير المؤمنين بسرية[2] ، ولا تحل له ، إنها من مال الله ، فقلنا : فماذا يحل له من مال الله تعالى ؟ قال : إنه لا يحل لعمر من مال الله إلا حلّتين : حلة للشتاء ، وحلة للصيف ، وما أحج به وأعتمر ، وقوتي وقوت أهلي كرجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم ، ثم أنا بعد رجل من المسلمين .

وقال خزيمة بن ثابت : كان عمر إذا استعمل عاملاً كتب له ، واشترط عليه أن لا يركب بِرْذَوْناً، ولا يأكل نقياً ، ولا يلبس رقيقاً ، ولا يغلق بابه دون ذوي الحاجات ، فإن فقد حلت عليه العقوبة .

وقال عكرمة بن خالد وغيره : إن حفصة وعبد الله وغيرهما كلموا عمر ، فقالوا : لو أكلت طعاماً طيباً كان أقوى لك على الحق ، قال : أكلكم على هذا الرأي ؟ قالوا : نعم ، قال قد علمت نصحكم ، ولكني تركت صاحبيّ على جادّة[3]، فإن تركت جادتهما لم أدركهما في المنزل .

---

(١) حصبوه : رموه بالحصباء ، وهي صغار الحجارة.

(١) السرية : الجارية المملوكة .

(٢) الجادة : الطريق .

قال : وأصاب الناس سنة[1] ، فما أكل عامئذ سمناً ، ولا سمينا .

وقال ابن مليكة : كلم عتبةبن فرقد عمر فى طعامه ، فقال : ويحك ، أكل طيباتى فى حياتى الدنيا وأستمتع بها ؟

وقال الحسن : دخل عمر على ابنه عاصم وهو يأكل لحماً ، فقال :ما هذا؟ قال : قرمنا إليه[2] ، قال أو كلما قرمت إلى شئ أكلته ؟ كفى بالمرء سرفاً أن يأكل كل ما اشتهى .

وقال أسلم : قال عمر : لقد خطر على قلبى شهوة السمك الطرى ، قال : فرحل يرفا[3] راحلته، وسار أربعاً مقبلاً مدبراً، واشترى مكتلاً ، فجاء به ، وعمد إلى الراحلة فغسلها ، فأتى عمر ، فقال : انطلق حتى أنظر إلى الراحلة ، أنسيت أن تغسل هذا العرق الذى تحت أذنيها عذبت بهيمة فى شهوة عمر ؟! لا والله لا يذوق عمر مكتلك .

وقال قتادة : كان عمر يلبس - وهو خليفة - جبة من صوف مرقوعة بعضها بأدم ، ويطوف فى الأسواق على عاتقه الدرة يؤدب بها الناس ويمر بالنكث[4] والنوى فيلتقطه ويلقيه فى منازل الناس ينتفعون به .

وقال أنس : رأيت بين كتفى عمر أربع رقاع فى قميصه وقال أبو عثمان النهدى : رأيت على عمر إزاراً مرقوعا بأدم ، وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة : على الشجرة ويستظل تحته ، وقال عبد الله بن عيسى : كان فى وجه عمر بن

---

(١) السنة : المجاعة

(٢) القرم - بالتحريك - شدة الشهوة إلى اللحم .

(٣) يرفا : اسم غلام كان لعمر .

(٤) النكث - بالكسر - الغزل المنقوض .

الخطاب خطان أسودان من البكاء ، قال الحسن : كان عمر يمر بالآية من ورده فيسقط حتى يعاد[1] منها أياماً ، وقال أنس : دخلت حائطاً[2] فسمعت عمر يقول ، وبيني وبينه جدار : عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، بَخْ بَخْ ، والله لتتقين الله يا ابن الخطاب أو ليعذبنك الله ، وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة : رأيت عمر أخذ تبنة من الأرض فقال : ليتني كنت هذه التبنة يا ليتني لم أك شيئا ، ليت أمي لم تلدني . وقال عبد الله بن عمر بن حفص : حمل عمر بن الخطاب قِرْبَة على عنقه فقيل له في ذلك ، فقال : إن نفسي أعجبتني فأردت أن أذلها ، وقال محمد بن سيرين : قدم صهرٌ لعمر عليه ، فطلب أن يعطيه من بيت المال ، فانتهره عمر ، وقال : أردت أن ألقى الله ملكا خائنا ؟ ثم أعطاه من صلب ماله عشرة آلاف درهم ، وقال النخعي : كان عمر يتجر وهو خليفة ، وقال أنس : تقرقر بطن عمر من أكل الزيت عام الرمادة[3] وكان قد حرم على نفسه السمن فنقر بطنه بأصبعه وقال : إنه ليس عندنا غيره حتى يحيا الناس وقال سفيان بن عيينة: قال عمر بن الخطاب : أحب الناس إليَّ من رفع إليَّ عيوبي ، وقال أسلم: رأيت عمر بن الخطاب يأخذ بأذن الفرس ، ويأخذ بيده الأخرى أذنه ، ثم ينزل على متن الفرس ، وقال ابن عمر : ما رأيت عمر غضب قط فذكر الله عنده أو خوف أو قرأ عنده إنسان آية من القرآن إلا وقف عما كان يريد ، وقال بلال لأسلم : كيف تجدون عمر ؟ فقال : خير الناس ؛ إلا أنه إذا غضب فهو أمر عظيم ، فقال بلال : لو كنت عنده إذا غضب قرأت عليه القرآن حتى يذهب غضبه ، وقال الأحوص بن حكيم عن أبيه : أتى عمر بلحم فيه سمن فأبى أن يأكلهما ، قال : كل واحد منهما أدم ، أخرج هذه الآثار كلها ابن سعد .

(١) يعاد : من العيادة ، وهي زيارة المريض .

(٢) الحائط : البستان .

(٣) هو عام أصاب الناس فيه مجاعة ، وذلك في سنة ١٧ من الهجرة .

وأخرج ابن سعد عن الحسن قال : قال عمر : هان شئ أصلح به قوما أن أبدلهم أميراً مكان أمير .

فى وصفه رضى الله عنه

أخرج ابن سعد والحاكم عن زر قال : خرجت مع أهل المدينة فى يوم عيد فرأيت عمر يمشى حافياً شيخاً أصلع آدَمَ أعسر طوالا مشرفاً على الناس كأنه على دابة ، قال الواقدى : لا يعرف عندنا أن عمر كان آدَمَ ، إلا أن يكون رآه عام الرّمادة ، فإنه كان تغير لونه حين أكل الزيت .

أخرج ابن سعد عن ابن عمر أنه وصف عمر فقال : رجل أبيض تعلوه حمرة طُوال أصْلع أشيب.

وأخرج عن عبيد بن عمير قال : كان عمر يفوق الناس طوالاً.

وأخرج عن سلمة بن الأكوع قال : كان عمر رجلاً أعْسر [يَسَرَ] يعنى يعتمل بيديه جميعاً .

وأخرج ابن عساكر عن أبى رجاء العطاردى قال : كان عمر رجلاً طويلاً جسيماً أصلع شديد الصلع أبيض شديد الحمرة ، فى عارضيه خفة ، سبلته كبيرة ، وفى أطرافها صُهْبة(١).

وفى تاريخ ابن عساكر من طرق أن أم عمر بن الخطاب : حنتمه بنت هشام بن المغيرة أخت أبى جهل بن هشام ؛ فكان أبو جهل خاله .

---

(١) السبلة ـ بالتحريك ـ طرف الشارب ، والصهبة : سواد فى حمرة .

فى خلافته رضى الله

ولى الخلافة بعهد من أبى بكر فى جماد الآخرة سنة ثلاث عشرة .

قال الزهرى : استخلف عمر يوم توفى أبو بكر وهو يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة ، أخرجه الحاكم ، فقام بالأمر أتم قيام ، وكثرت الفتوح فى أيامه .

ففى سنة أربع عشرة فتحت دمشق ما بين صلح وعنوة ، وحمص ، وبعلبك صلحا ، والبصرة والأبلة ، كلاهما عنوة .

وفيها جمع عمر الناس على صلاة التراويح ، قاله العسكرى فى الأوائل.

وفى سنة خمس عشرة فتحت الأردن كلها عنوة إلا طبرية ، فإنها فتحت صلحاً ، وفيها كانت وقعة اليرموك ، والقادسية .

قال ابن جرير : وفيها مصَّر سعد الكوفة ، وفيها فرض عمر الفروض ، ودوَّن الدواوين ، وأعطى العطاء على السابقة .

وفى سنة ست عشرة فتحت الأهواز والمدائن وأقام بها سعد الجمعة فى إيوان كسرى ، وهى أول جمعة بالعراق ، وذلك فى صفر ، وفيها كانت وقعة جلولاء وهزم فيها يزدجرد بن كسرى وتقهقر إلى الرى ، وفيها فتحت تكريت ، وفيها سار عمر ففتح بيت المقدس وخطب بالجابية خطبته المشهورة ، وفيها فتحت قنسرين عنوة وحلب، وأنطاكية، ومنبج صلحاً ، وسروج عنوة، وفيها فتحت قرقيسياء صلحا وفى ربيع الأول كتب التاريخ من الهجرة بمشورة علىّ .

وفى سنة سبع عشرة زاد عمر فى المسجد النبوى ، وفيها كان القحط بالحجاز ، وسمى عام الرّمادة ، واستسقى عمر للناس بالعباس.

أخرج ابن سعد عن نيار الأسلمي أن عمر لما خرج يستسقى خرج وعليه برد رسول الله ﷺ .

وأخرج عن ابن عون قال : أخذ عمر بيد العباس ثم رفعها ، وقال : اللهم إنا نتوسل إليك بعم نبيك أن تذهب عنا المحل(1)، وأن تسقينا الغيث ، فلم يبرحوا حتى سقوا ، فأطبقت السماءُ عليهم أياما ، وفيها فتحت الأهواز صلحاً .

وفي سنة ثمان عشرة فتحت جند يسابور صلحا ، وحلوان عنوة ، وفيها كان طاعون عمواس ، وفيها فتحت الرها ، وسميسط عنوة ، وحران ، ونصيبين، وطائفة من الجزيرة عنوة - وقيل : صلحا - والموصل ونواحيها عنوة .

وفي سنة تسع عشرة فتحت قيسارية عنوة .

وفي سنة عشرين فتحت مصر عنوة ، وقيل : مصر كلها صلحا إلا الإسكندرية فعنوة ، وقال علي بن رباح : المغرب كله عنوة ، وفيها فتحت تستر ، وفيها هلك قيصر عظيم الروم ، وفيها أجلى عمر اليهود عن خيبر وعن نجران ، وقسم خيبر ووادي القرى .

وفي سنة إحدى وعشرين فتحت الإسكندرية عنوة ، ونهاوند ، ولم يكن للأعاجم بعدها جماعة ، وبرقة وغيرها .

وفي سنة اثنتين وعشرين فتحت أذربيجان عنوة ، وقيل : صلحاً ، والدينور عنوة وماسبذان عنوة وهمذان عنوة ، وطرابلس المغرب ، والري ، وعسكر وقومس .

وفي سنة ثلاث وعشرين كان فتح كرمان ، وسجستان ، ومكران من بلاد الجبل ، وأصبهان ونواحيها .

(1) المحل - بالفتح - القحط والجدب بسبب احتباس المطر .

وفى آخرها كانت وفاة سيدنا عمر رضى الله عنه بعد صدوره من الحج شهيداً قال سعيد بن المسيب : لما نفر عمر من منى أناخ بالأبطح ، ثم استقلى ورفع يديه إلى السماء وقال : اللهم كبرت سنى ، وضعفت قوتى ، وانتشرت رعيتى ، فاقبضنى إليك غير مضيع ولا مفرط ، فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل ، أخرجه الحاكم .

وقال أبو صالح السمان : قال كعب الأحبار لعمر : أجدك فى التوراة تقتل شهيداً ، قال : وأنى لى بالشهادة وأنا بجزيرة العرب ؟

وقال أسلم : قال عمر : اللهم أرزقنى شهادة فى سبيلك ، واجعل موتى فى بلد رسولك ، أخرجه البخارى .

وقال معدان بن أبى طلحة : خطب عمر فقال : رأيت كأن ديكاً نقرنى نقرة أو نقرتين وإنى لا أراه إلا حضور أجلى ، وإن قوماً يأمروننى أن أستخلف وإن الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته فإن عجل بى أمر فالخلافة شُورى بين هؤلاء الستة الذين توفى رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو راض عنهم ، أخرجه الحاكم .

قال الزهرى : كان عمر رضى الله عنه لا يأذن لمن احتلم فى دخول المدينة حتى كتب إليه المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاماً عنده جملة صنائع ، ويستأذنه يدخل المدينة ويقول : إن عنده أعمالاً كثيرة فيها منافع للناس، إنه حداد نقاش نجار ، فأذن له أن يرسله إلى المدينة ، وضرب عليه المغيرة مائة درهم فى الشهر ، فجاء إلى عمر يشتكى شدة الخراج ، فقال : ما خراجك بكثير ، فانصرف ساخطاً يتذمر ، فلبث عمر ليالى ثم دعاه، فقال : ألم أخبر أنك تقل : لو شاء لصنعت رحى تطحن بالريح ؟ فالتفت إلى عمر عابساً ،

وقال : لأصنعن لك رحى يتحدث الناس بها ، فلما ولّى قال عمر لأصحابه : أوعدنى العبد آنفاً ، ثم اشتمل أبو لؤلؤة على خنجر ذى رأسين ، نصابه فى وسطه ، فكمن بزاوية من زواية المسجد فى الغلس ، فلم يزل هناك حتى خرج عمر يُوقظ الناس للصلاة ، فلما دنا طَعَنَه ثلاث ، أخرجه ابن سعد .

وقال عمرو بن ميُمون الأنصارى : إن أبا لؤلؤة عبدَ المغيرة طعن عمر بخنجر له رأسان ، وطعن معه أثنى عشر رجلا مات منهم ستة ، فألقى عليه رجل من أهل العراق ثوباً ، فلما اغتم فيه قتل نفسه .

وقال أبو رافع : كان أبو لؤلؤة عبد المغيرة يصنع الأرْحاء ، وكان المغيرة يستغله[1] كل يوم أربعة دراهم ، فلقى عمر فقال : يا أمير المؤمنين ، إن المغيرة قد أثقل علىّ فكلّمه فقال : أحسن إلى مولاك - ومن نيّة عمر أن يكلم المغيرة فيه - فغضب ، وقال : يسع الناس كلهم عدله غيرى ، وأضمر قتله ، واتخذ حجرا وشحذه وسمه ، وكان عمر يقول «أقيموا صفوفكم» ، قبل أن يكبر ، فجاء فقام حذاءه فى الصف وضربه فى كتفه وفى خاصرته ، فسقط عمر ، وطعن ثلاثة عشر رجلاً معه فمات منهم ستة ، وحمل عمر إلى أهله ، وكادت الشمس تطلع، فصلى عبد الرحمن بن عوف بالناس بأقصر سورتين وأتى عمر بنبيذ فشربه فخرج من جرحه[2] فلم يتبين ، فسقوه لبناً فخرج من جرحه ، فقالوا : لا بأس عليك ، فقال : إن يكن بالقتل بأس فقد قتلت ، فجعل الناس يثنون عليه ويقولون : كنت وكنت ، فقال : أما والله لوددت أننى خرجت منها كفافاً لا علىّ ، ولا لى ، وأن صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلمت لى ، وأثنى عليه ابن عباس فقال : لو أن لى طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من هول المطلع ، وقد

---

(١) يستغله : يأخذ منه غلة وذلك نظير إذنه له فى مزاولة الصناعة والاتجار .

(٢) فى تاريخ الذهبى «فخرج من جوفه» .

جعلتها شورى فى عثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد ، وأمر صهيبا أن يصلى بالناس ، وأجل الستة ثلاثا ، أخرجه الحاكم .

وقال ابن عباس : كان أبو لؤلؤة مجوسياً .

وقال عمرو بن ميمون : قال عمر : الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل يدعى الإسلام ، ثم قال لابنه : يا عبد الله انظر ما علىَّ من الدين ، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين[1] ألفا أو نحوها ، فقال : إن وَفَى مال آل عمر فأده من أموالهم ، وإلا فاسأل فى بنى عدى ، فإن لم تف أموالهم فاسأل فى قريش اذهب إلى أم المؤمنين عائشة فقل : يستأذن عمر أن يدفن مع صاحبيه ، فذهب إليها فقالت : كنت أريده - تعنى المكان - لنفسى ولأوثرنّه اليوم على نفسى، فأتى عبد الله فقال : قد أذنت فحمد الله ، وقيل له : أوْصِ يا أمير المؤمنين واستخلف ، قال : ما أرى أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى النبى ﷺ وهو عنهم راض ، فسمى الستة وقال : يشهد عبد الله بن عمر معهم وليس له فى الأمر شئ ، فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذاك ، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر ، فإنى لم أعزله من عجز ولا خيانة ، ثم قال : أوصى الخليفة من بعدى بتقوى الله ، وأوصيه بالمهاجرين والأنصار ، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً ، فى مثل ذلك من الوصية ، فلما توفى خرجنا به نمشى ، فسلم عبد الله بن عمر وقال : عمر يستأذن ، فقالت عائشة : أدخلوه ، فأدخل فوضع مع صاحبيه .

فلما فرغوا من دفنه ورجعوا اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن بن عوف : اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم ، فقال الزبير : قد جعلت أمرى إلى علىّ ، وقال سعد : قد جعلت أمرى إلى عبد الرحمن ، وقال طلحة : قد جعلت أمرى

(١) فى تاريخ الذهبى «ستة وثلاثين ألفا أو نحوها» .

إلى عثمان ، قال : فخلا هؤلاء الثلاثة ، فقال عبد الرحمن : أنا لا أريدها فأيكما يبرأ من هذا الأمر ونجعله إليه ؟ والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم فى نفسه وليحرص على صلاح الأمة ، فسكت الشيخان على وعثمان ، فقال عبد الرحمن: اجعلوه إلىّ والله علىّ لا آلوكم عن أفضلكم ، قالا : نعم : فخلا بعلى وقال : لك من القدم فى الإسلام والقرابة من النبى عليه الصلاة والسلام ما قد علمت ، الله عليك لئن أمرتك لتعدلن ، ولئن أمرت عليك لتسمعن ولتطيعن ؟ قال : نعم ، ثم خلا بالآخر فقال له كذلك ، فلما أخذ ميثاقهما بايع عثمان وبايعه على .

وفى مسند أحمد عن عمر أنه قال : إن أدركنى أجلى وأبو عبيدة بن الجراح حى استخلفته فإن سألنى ربى قلت : سمعت النبى ﷺ يقول : «إن لكل نبى أميناً أمينى أبو عبيدة بن الجراح» فإن أدركنى أجلى - وقد توفى أبو عبيدة - استخلفت معاذ بن جبل ، فإن سألنى ربى : لم استخلفته ؟ قلت : سمعت النبى ﷺ يقول : «إنه يحشر يوم القيامة بين يدى العلماء نبذة» وقد ماتا فى خلافته .

وفى المسند أيضاً عن أبى رافع أنه قيل لعمر عند موته فى الاستخلاف ، فقال : قد رأيت من أصحابى حرصاً سيئاً ، ولو أدركنى أحد رجلين ثم جعلت هذا الأمر إليه لوثقت به : سالم مولى أبى حذيفة ، وأبو عبيدة بن الجراح .

أصيب عمر يوم الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة ، ودفن يوم الأحد مستهل المحرم الحرام ، وله ثلاث وستون سنة ، وقيل : ست وستون سنة ، وقيل: إحدى وستون ، وقيل : ستون ، ورجحه الواقدى ، وقيل : تسع وخمسون ، وقيل : خمس أو أربع وخمسون ، وصلى عليه صهيب فى المسجد.

وفى تهذيب المزنى : كان نقش خاتم عمر : «كفى بالموت واعظاً يا عمر».

وأخرج الطبرانى عن طارق بن شهاب قال : قالت أم أيمن يوم قتل عمر

اليوم وهى الإسلام»[1].

وأخرج عبد الرحمن بن يسار قال : شهدت موت عمر بن الخطاب فانكسفت الشمس يومئذ ، رجاله ثقات .

فى أوليات عمر رضى الله عنه

قال العسكرى : هو أول من سمى أمير المؤمنين ، وأول من كتب التاريخ من الهجرة ، وأول من اتخذ بيت المال ، وأول من سَنَّ قيام شهر رمضان وأول من عَسَّ بالليل[2] ، وأول من عاقب على الهجاء ، وأول من ضرب فى الخمر ثمانين ، وأول من حرم المتعة ، وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد ، وأول من جمع الناس فى صلاة الجنائز على أربع تكبيرات ، وأول من اتخذ الديوان ، وأول من فتح الفتوح ومسح السواد ، وأول من حمل الطعام من مصر فى بحر أيلة إلى المدينة ، وأول من احتبس صدقة فى الإسلام[3]، وأول من أعال الفرائض[4]، وأول من أخذ زكاة الخيل ، وأول من قال : أطال الله بقاءك ! قاله لعلى ، وأول من قال : أيدك الله ! قاله لعلى ، هذا آخر ما ذكره العسكرى .

وقال النووى فى تهذيبه : هو أول من اتخذ الدرة ، وكذا ذكره ابن سعد فى الطبقات ، قال : ولقد قيل بعده : لَدِرَّةُ عمر أهْيَبُ من سيفكم ، قال : وهو أول من استقضى فى الأمصار ، وأول من مصَّر الأمصار : الكوفة والبصرة والجزيرة ، والشام ، ومصر ، والموصل .

---

(١) وهى : ضعف .

(٢) عس : طاف يتفقد أحوال الناس .

(٣) يريد أول من وقف شيئا يتصدق بغلته .

(٤) الفرائض : المواريث ، وعولها : زيادة مجموع الفرائض على التركة ، فينقص سهم كل ذى سهم بنسبته من الواحد الصحيح .

وأخرج ابن عساكر عن إسماعيل بن زياد قال : مر عليٌّ بن أبى طالب على المساجد فى رمضان وفيها القناديل فقال: نور الله على عمر فى قبره كما نور علينا فى مساجدنا !.

قال ابن سعد : اتخذ عمر دار الدقيق ، فجعل فيها الدقيق ، والسَّويق والتمر ، والزبيب ، وما يحتاج إليه : يعين به المنقطع ، ووضع فيما بين مكة والمدينة بالطريق ما يصلح من ينقطع به ، وهدم المسجد النبوى ، وزاد فيه ووسعة وفرشه بالحصباء ، وهو الذى أخرج اليهود من الحجاز إلى الشام وأخرج أهل نجران إلى الكوفة، وهو الذى أخر مقام إبراهيم إلى موضعه اليوم، وكان ملصقا بالبيت .

فى نبذ من أخباره وقضاياه

أخرج العسكرى فى الأوائل ، والطبرانى فى الكبير ، والحاكم ، من طريق ابن شهاب ، أن عمر بن عبد العزيز سأل أبا بكر بن سليمان بن أبى حثْمة لأى شئ كان يكتب «من خليفة رسول الله عليه الصلاة والسلام» فى عهد أبى بكر ؟ ثم كان عمر كتب أولاً «من خليفة أبى بكر» فمن أول من كتب «من أمير المؤمنين» ؟ فقال : حدثتنى الشفاء - وكانت من المهاجرات - أن أبا بكر كان يكتب «من خليفة رسول الله» وكان عمر يكتب «من خليفة رسول الله» حتى كتب عمر إلى عامل العراق أن يبعث إليه رجلين جلدين يسألهما عن العراق وأهله ، فبعث إليه لبيد بن ربيعة ، وعدى بن حاتم ، فقدما المدينة ، ودخلا المسجد ، فوجدا عمرو بن العاص ، فقالا : استأذن لنا على أمير المؤمنين ، فقال عمرو : أنتما والله أصبتما اسمه ، فدخل عليه عمرو ، فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال : ما بدا لك فى هذا الاسم ؟ لتخرجن مما قلت ، فأخبره ، وقال: أنت الأمير ونحن المؤمنون ، فجرى الكتاب بذلك من يومئذ .

وقال النووى فى تهذيبه : سماه بهذا الاسم عدى بن حاتم ولبيد بن ربيعة حين وفدا عليه من العراق ، وقيل : سماه به المغيرة بن شعبة ، وقيل : إن عمر قال للناس : أنتم المؤمنون ، وأنا أميركم ، فسمى أمير المؤمنين ، وكان قبل ذلك يقال له : خليفة خليفة رسول الله ، فعدلوا عن تلك العبارة لطولها . قال للناس : أنتم المؤمنون ، وأنا أميركم ، فسمى أمير المؤمنين ، وكان قبل ذلك يقال له : خليفة خليفة رسول الله ، فعدلوا عن تلك العبارة لطولها .

وأخرج ابن عساكر عن معاوية بن قرة قال : كان يكتب من أبى بكر خليفة رسول الله ، فلما كان عمر بن الخطاب أرادوا أن يقولوا : خليفة خليفة رسول الله ، قال عمر : هذا يطول ، قالوا : لا ، ولكنا أمرناك علينا ، فأنت أميرنا ، قال: نعم ، أنتم المؤمنون ، وأنا أميركم ، فكتب «أمير المؤمنين» .

وأخرج البخارى فى تاريخ ، عن ابن المسيب قال : أول من كتب التاريخ عمر بن الخطاب لسنتين ونصف من خلافته فكتب لست عشرة من الهجرة بمشورة علىّ .

وأخرج السلفى فى الطيورات بسند صحيح ، عن ابن عمر ، عن عمر أنه أراد أن يكتب السنن ، فاستخار الله شهراً ، فأصبح وقد عزم له ، ثم قال : إنى ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتابا، فأقبلوا عليه وتركوا كتاب الله .

وأخرج ابن سعد عن شداد قال : كان أول كلام تكلم به عمر حين صعد المنبر أن قال: اللهم إنى شديد فلينى، وإنى ضعيف فقونى، وإنى بخيل فسخنى.

وأخرج ابن سعد وسعيد بن منصور وغيرهما من طرق، عن عمر أنه قال: إنى أنزلت نفسى من مال الله منزلة ولى اليتيم من ماله : إن أيسرت استعففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف[1] ، فإن أيسرت قضيت .

(١) أخذ من قوله تعالى فى واجب ولى اليتيم : (فمن كان غنيا فليستعفف ، ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف).

وأخرج ابن سعد عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب كان إذا احتاج أتى صاحب بيت المال ، فاستقرضه ، فربما أعسر فيأتيه صاحب بيت المال يتقاضاه فيلزمه ، فيحتال له عمر ، وربما خرج عطاؤه ، فقضاه.

وأخرج ابن سعد عن البراء بن معرور أن عمر خرج يوما حتى أتى المنبر وكان قد اشتكى شكوى ، فنعت له العسل ، وفى بيت المال عُكة[1] . فقال : إن أذنتم لى فيها أخذتها ، وإلا فهى علىَّ حرام ، فأذنوا له .

وأخرج عن سالم بن عبد الله أن عمر كان يُدخل يده فى دبرة البعير ، ويقول : إنى لخائف أن أسأل عما بك .

وأخرج عن ابن عمر قال : كان عمر إذا أراد أن ينهى الناس عن شئ تقدم إلى أهله فقال : لا أعلمن أحدا وقع فى شئ مما نهيت عنه إلا أضعفت عليه العقوبة .

وروى من غير وجه أن عمر بن الخطاب خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة وكان يفعل ذلك كثيرا إذ مرّ بامرأة من نساء العرب مغلقاً عليها بابها، وهى تقول:

تطاول هذا الليل تسرى كواكبه ... وأرقنى أن لا ضجيع ألاعبه

فوالله لولا الله تخشى عواقبه ... لزحزح من هذا السرير جوانبه

ولكننى أخشى رقيباً موكلا ... بأنفسنا ، لا يفتر الدهر كاتبه

مخافة ربى ، والحياء يصدنى ... وأكرم بعلى أن تنال مراتبه

فكتب إلى عماله بالغزو أن لا يغيب أحد أكثر من أربعة أشهر .

(١) نعت : وصف ، والعكة : القدر .

وأخرج ابن سعد عن زاذان عن سلمان أن عمر قال له : أملك أنا أم خليفة ؟ فقال له سلمان : إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهما أو أقل ، أو أكثر ، ثم وضعته فى غير حقهُ فأنت ملك غير خليفة ، فاستعبر[1] عمر.

وأخرج عن سفيان بن أبى العرجاء قال : قال عمر بن الخطاب ، والله ما أدرى أخليفة أنا أم أملك ؟ فإن كنت ملكا فهذا أمر عظيم ، فقال : قائل : يا أمير المؤمنين إن بينهما فرقاً ، قال : ما هو ؟ قال : الخليفة لا يأخذ إلا حقاً ولا يضعه إلا فى حق، أنت بحمد الله كذلك؛ والملك يعسف الناس[2]، فيأخذ من هذا ويعطى هذا ، فسكت عمر .

وأخرج عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ! ـ قال : ركب عمر فرساً ، فانكشف ثوبه عن فخذه ، فرأى أهل نجران بفخذه شامة سوداء ، فقالوا : هذا الذى نجد فى كتابنا أنه يخرجنا من أرضنا .

وأخرج عن سعد الحارى أن كعب الأحبار قال لعمر : إنا لنجدك فى كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها ، فإذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة .

وأخرج عن أبى معشر قال : حدثنا أشياخنا أن عمر قال : إن هذا الأمر لا يصلح إلا بالشدة التى لا جبرية فيها ، وباللين الذى لا وهن فيه .

وأخرج ابن أبى شيبة فى المصنف عن حكيم بن عمير قال : كتب عمر ابن الخطاب : ألا لا يجلدن أمير جيش ولا سرية أحداً الح حتى يطلع الدرب ؛ لئلا تحمله حمية الشيطان أن يلحق بالكفار .

---

(١) فاستعبر : بكى .

(٢) يعسف الناس : يظلمهم ويقسو عليهم .

وأخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره عن الشعبى قال : كتب قيصر إلى عمر بن الخطاب : إن رسلى أتتنى من قبلك فزعمت أن قبلكم شجرة ليست بخليفة شئ من الشجر ، تخرج مثل آذان الحمير ، ثم تنشق عن مثل اللؤلؤ، ثم يخضر، فيكون كالزمرد الأخضر ، ثم يحمر فيكون كالياقوت الأحمر ، ثم يينع فينضج فيكون كأطيب فالوذج أكل ، ثم ييبس فيكون عصمة للمقيم وزاداً للمسافر ؟ فإن تكن رسلى صدقتنى فلا أدرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنة ، فكتب إليه عمر : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم ، إن رسلك قد صدقوك ، هذه الشجرة عندنا هى الشجرة التى أنبتها الله على مريم حين نفست بعيسى ابنها ، فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلها من دون الله ،

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ [سورة آل عمران : الآية ٥٩]

وأخرج ابن سعد عن ابن عمر أن عمر أمر عماله فكتبوا أموالهم ، منهم سعد بن أبى وقاص، فشاطرهم عمر فى أموالهم ، فأخذ نصفاً وأعطاهم نصفاً.

وأخرج عن الشعبى أن عمر كان إذا استعمل عاملاً كتب ماله .

وأخرج عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف قال : مكث عمر زماناً لا يأكل من مال بيت المال شيئاً ، حتى دخلت عليه فى ذلك خصاصة ، فأرسل إلى أصحاب النبى ﷺ ، فاستشارهم ، فقال : قد شغلت نفسى فى هذا الأمر ، فما يصلح لى منه ؟ فقال علىّ : غداء وعشاء ، فأخذ بذلك عمر .

وأخرج عن ابن عمر أن عمر حج سنة ثلاث وعشرين فأنفق فى حجته ستة عشر ديناراً ، فقال : يا عبد الله ، أسرفنا فى هذا المال .

وأخرج عبد الرزاق فى مصنفه عن قتادة والشعبى قالا : جاءت عمر امرأة

فقالت : زوجي يقوم الليل ويصوم النهار ، فقال عمر : لقد أحسنت الثناء على زوجك ، فقال كعب بن سوار : لقد شكت ، فقال عمر : كيف ؟ قال : تزعم أنه ليس لها من زواجها نصيب ، قال : فإذ قد فهمت ذلك فاقض بينهما ، فقال : يا أمير المؤمنين أحل الله له من النساء أربعاً ؛ فلها من كل أربعة أيام يوم ، ومن كل أربع ليال ليلة .

وأخرج عن ابن جريج قال : أخبرني من أصدقه أن عمر بينما هو يطوف سمع امرأة تقول :

تطاول هذا الليل واسود جانبه وأرقني أن لا خليل ألاعبه

فلولا حذار الله لا شئ مثله لزحزح من هذا السرير جوانبه

فقال عمر : ما لك ؟ قالت : أغزيت زوجي منذ أشهر ، وقد اشتقت إليه ، فقال : أردت سوءا ؟ قالت : معاذ الله ؟ فاملكي عليك نفسك ، فإنما هو البريد إليه ، فبعث إليه ، ثم دخل على حفصة فقال : إني سائلك عن أمر قد أهمني فافرجيه عني ؟ كم تشتاق المرأة إلى زوجها ؟ فخفضت رأسها واستحيت ، قال : فإن الله لا يستحي من الحق ، فأشارت بيدها ثلاثة أشهر ، وإلا فأربعة أشهر ، فكتب عمر أن لا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر .

وأخرج عن جابر بن عبد الله أنه جاء إلى عمر يشكو إليه ما يلقى من النساء ، فقال عمر : إنا لنجد ذلك، حتى إني لأريد الحاجة فتقول لي: أما تذهب إلا إلى فتيات بني فلان تنظر إليهن ، فقال له عبد الله بن مسعود : أما بلغك أن إبراهيم عليه السلام شكا إلى الله خلق سارة ، فقيل له : إنها خلقت من ضلع ، فالبسها على ما كان فيها ما لم تر عليها خربة في دينها ؟

وأخرج عن عكرمة بن خالد قال : دخل ابن لعمر بن الخطاب عليه وقد

ترجل ولبس ثياباً حسانا ، فضربه عمر بالدرة حتى أبكاه ، فقالت له حفصة : لم ضربته ؟ قال : رأيته قد أعجبته نفسه ، فأحببت أن أصغرها إليه .

وأخرج عن معمر عن ليث بن أبى سليم أن عمر بن الخطاب قال : لا تسموا الحكم ولا أبا الحكم ؟ فإن الله هو الحكم ، ولا تسموا الطريق السكة.

وأخرج البيهقى فى شعب الإيمان عن الضحاك قال : قال أبو بكر : والله لوددت أنى كنت شجرة إلى جنب الطريق ، فمر علىَّ بعير فأخذنى فأدخلنى فاه فلاكنى ثم ازدردنى ثم أخرجنى بعراً ، ولم أكن بشراً ؛ فقال عمر : يا ليتنى كنت كبش أهلى سمنونى ما بدا لهم حتى إذا كنت كأسمن ما يكون زارهم من يحبون ، فذبحونى لهم ، فجعلوا بعضى شواء وبعضى قديداً ، ثم أكلونى ، ولم أكن بشراً.

وأخرج ابن عساكر عن أبى البخترى قال : كان عمر بن الخطاب يخطب على المنبر ، فقام إليه الحسين بن على رضى الله عنه ، فقال : انزل عن منبر أبى ، فقال عمر : منبر أبيك لا منبر أبى ، من أمرك بهذا ؟ فقام علىّ فقال : والله ما أمره بهذا أحد ، فقال عمر : منبر أبيك ، أما لأوجعنك يا غدر ، فقال : لا توجع ابن أخى ، فقد صدق ، منبر أبيه ، إسناده صحيح .

وأخرج الخطيب فى أدب الراوى عن مالك من طريقه عن ابن شهاب عن أبى سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان كانا يتنازعان فى المسألة بينهما حتى يقول الناظر : إنهما لا يجتمعان أبداً، فما يفترقان إلا على أحسنه وأجمله .

وأخرج ابن سعد عن الحسن قال : أول خطبة خطبها عمر حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فقد ابتليت بكم وابتليتم بى ، وخلفت فيكم بعد صاحبى ؛

فمن كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا ، ومن غاب عنا وليناه أهل القوة والأمانة ، ومن يحسن نزده حسنا ، ومن يسئ نعاقبه ، ويغفر الله لنا ولكم.

وأخرج عن جبير بن الحويرث أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استشار المسلمين فى تدوين الديوان، فقال له علىّ : تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من مال، ولاتمسك منه شيئاً، وقال عثمان: أرى مالاً كثيراً يسع الناس وإن لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن يلتبس الأمر ، فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة : يا أمير المؤمنين قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديواناً ، وجندوا جنودا ، فدون ديواناً وجند جنوداً ، فأخذ بقوله، فدعا عقيل بن أبى طالب ، ومخرمة بن نوفل ، وجبير بن مطعم - وكانوا من نساب قريش - فقال : اكتبوا الناس على منازلهم ، فكتبوا فبدءوا ببنى هاشم ، ثم اتبعوهم أبا بكر وقومه ، ثم عمر وقومه على الخلافة ، فلما نظر فيه عمر قال: ابدءوا بقرابة النبى عليه الصلاة والسلام الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله .

وأخرج عن سعيد بن المسيب قال : دون عمر الديوان فى المحرم سنة عشرين.

وأخرج عن الحسن قال : كتب عمر إلى حذيفة : أن أعط الناس أعطياتهم وأرزاقهم ، فكتب إليه : إنا فعلنا وبقى شئ كثير ، فكتب إليه عمر : إنه فيؤهم الذى أفاء الله عليهم ، ليس هو لعمر ولا لآل عمر ، اقسمه بينهم .

وأخرج ابن سعد عن جبير بن مطعم قال : بينما عمر واقف على جبل عرفة سمع رجلا يصرخ ويقول : يا خليفة الله ، فسمعه رجل آخر وهم يعتافون[1] ، فقال : ما لك فك الله لهوتك ؟ فأقبلت على الرجل فصحت عليه ،

---

(١) يعتافون : من العيافة ، وهى زجر الطير ، وهى من معارف العرب فى جاهليتهم.

فقال جبير : فإني الغد واقف مع عمر على العقبة يرميها إذ جاءت حصاة عائرة[1]، ففتقت رأس عمر ، فقصدت فسمعت رجلاً من الجبل يقول : أشعرت ورب الكعبة ، لا يقف عمر هذا الموقف بعد العام أبداً ، قال جبير : فإذا هو الذى صرخ فينا بالأمس ، فإشتد ذلك عليّ .

وأخرج عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : لما كان آخر حجة حجها عمر بأمهات المؤمنين إذ صدرنا عن عرفة مررت بالمحصب فسمعت رجلا على راحلته يقول : أين كان عمر أمير المؤمنين ! فسمعت رجلا آخر يقول : ههنا كان أمير المؤمنين ، فأناخ راحلته ثم رفع عقيرته فقال :

عليك سلام من إمام ، وباركت يد الله فى ذاك الأديم الممزق

فمن يسع أو يركب جناحى نعامة ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق

قضيت أموراً ثم غادرت بعدها بوائق فى أكمامها لم تفتق

فلم يتحرك ذلك الراكب ولم يدر من هو ، فكنا نتحدث أنه من الجن ، فقدم عمر من تلك الحجة فطعن بالخنجر ، فمات .

وأخرج عن عبد الرحمن بن أبزى عن عمر أنه قال : هذا الأمر[2] فى أهل بدر ما بقى منهم أحد ، ثم فى أهل أحد ما بقى منهم أحد ، وفى كذا وكذا، وليس فيها لطليق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شئ .

وأخرج عن النخعى أن رجلاً قال لعمر : ألا تستخلف عبد الله بن عمر ؟ فقال : قاتلك الله ! والله ما أردت الله بهذا ، استخلف رجلاً لم يحسن أن يطلق امرأته ؟

---

(١) عائرة : لا يدرى من رماها .

(٢) هذا الأمر : يريد به الخلافة .

وأخرج عن شداد بن أوس عن كعب قال : كان فى بنى إسرائيل ملك إذا ذكرناه ذكرنا عمر ، وإذا ذكرنا عمر ذكرناه، وكان إلى جنبه نبى يوحى إليه ، فأوحى الله إلى النبى ﷺ أن يقول له : اعهد عهدك ، واكتب إلىّ وصيتك ؛ فإنك ميت إلى ثلاثة أيام ، فأخبره النبى بذلك ، فلما كان اليوم الثالث وقع بين الجدار والسرير، ثم جاء إلى ربه ، فقال : اللهم إن كنت تعلم أنى كنت أعدل فى الحكم، وإذا اختلفت الأمور اتبعت هداك وكنت وكنت ، فزد فى عمرى حتى يكبر طفلى وتربو أمتى ، فأوحى الله إلى النبى أنه قد قال كذا وكذا - وقد صدق - وقد زدته فى عمره خمس عشرة سنة ، ففى ذلك ما يكبر طفله وتربو أمته ، فلما طعن عمر قال كعب : لئن سأل عمر ربه ليبقيه الله ، فأخبر بذلك عمر ، فقال : اللهم اقبضنى إليك غير عاجز ولا ملوم .

وأخرج عن سليمان بن يسار أن الجن ناحت على عمر .

وأخرج الحاكم عن مالك بن دينار قال : سمع صوت بجبل تبالة حين قتل عمر رضى الله عنه :

لبيك على الإســلام من كان باكيـا   فقد أوشكوا صرعى وما قدم العهد(١)

وأدبرت الدنيـا وأدبـر خيــرهــا   وقد ملهـا من كان يوقن بالوعــد

وأخرج ابن أبى الدنيا عن يحيى بن أبى راشد البصرى قال : قال عمر لابنه : اقتصدوا فى كفنى ؛ إن كان لى عند الله خير أبدلنى ماهو خير منه ، وإن كنت على غير ذلك سلبنى فأسرع سلبى ، واقتصدوا فى حفرتى ؛ فإنه إن كان لى عند الله خير أوسع لى فيها مد بصرى ، وإن كنت على غير ذلك ضيقها

---

(١) فى هذين البيتين الإقواء ، وهو اختلاف حركة الروى ، وغير عجيب ذلك ؛ لأنه من شعر الجن!! .

عليّ حتى تختلف اضلاعى ، ولا تخرج معى امرأة ، ولا تزكونى بما ليس فىّ ؛ فإن الله هو أعلم بى ، فإذا خرجتم فأسرعوا فى المشى ؛ فإنه إن كان لى عند الله خير قدمتمونى إلى ما هو خير لى ، وإن كنت على غير ذلك ألقيتم عن رقابكم شراً تحملونه.

أخرج ابن عساكر عن ابن عباس ، أن العباس قال : سألت الله حولاً بعد ما مات عمر أن يرينه فى المنام ، فرأيته بعد حول - وهو يسلت العرق عن جبينه - فقلت : بأبى أنت وأمى يا أمير المؤمنين ! ما شأنك ؟ فقال : هذا أوان فرغت ، وإن كاد عرش عمر ليهدّ لولا أنى لقيت رءوفاً رحيماً .

وأخرج أيضاً عن زيد بن أسلم ، أن عبد الله بن عمرو بن العاص رأى عمر فى المنام ، فقال : كيف صنعت ؟ قال : متى فارقتكم ؟ قال : منذ اثنتى عشرة سنة ، قال : إنما انفلتُّ الآن من الحساب .

وأخرج ابن سعد عن سالم بن عبد الله بن عمر قال : سمعت رجلا من الأنصار يقول : دعوت الله أن يرينى عمر فى المنام ، فرأيته بعد عشر سنين ، وهو يمسح العرق عن جبينه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ما فعلت ؟ قال : الآن فرغت ، ولولا رحمة ربى لهلكت.

وأخرج الحاكم عن الشعبى ، قال : رثت عاتكة بنت زيد عمرو بن نفيل عمر ، فقالت :

عيـن جـودى بعبـــرة ونحـيت ... لا تمـلى على الإمــام الصلّيـب[1]

فجعتنى المنـون بالفـارس المعـ ... ـــلم يـوم الهيـــاج والتأنيـــب[2]

---

(١) فى الطبرى «الإمام النجيب».

(٢) وفيه «الهياج والتلبيب».

عصمة الدين والمعين على الدهـــــر وغيث الملهـوف والكــروب[1]

قل لأهل الضراء والبؤس : موتوا إذ سقينا المنون كأس شعـــوب[2]

فيمن مات من الصحابة

ـ رضى الله عنهم ـ فى أيامه

مات فى أيامه عمر رضى الله عنه من الأعلام عتبة بن غزوان ، والعلاء بن الحضرمى ، وقيس بن السكن ، وأبو قحافة والد الصديق رضى الله عنه ، وسعد ابن عبادة ، وسهيل بن عمرو ، وابن أم مكتوم المؤذن ، وعياش بن أبى ربيعة ، وعبد الرحمن أخو الزبير بن العوام ، وقيس بن أبى صعصعة ، أحد من جمع القرآن ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وأخوه أبو سفيان ، ومارية أم السيد إبراهيم ، وأبو عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، ويزيد بن أبى سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، والفضل بن العباس ، وأبو جندل بن سهيل ، وأبو مالك الأشعرى ، وصفوان بن المعطل ، وأبى بن كعب ، وبلال المؤذن ، وأسيد بن الحضير ، والبراء بن مالك أخو أنس ، وزينب بنت جحش ، وعياض بن غنم ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وخالد بن الوليد ، والجارود سيد بنى عبد القيس ، والنعمان ابن مقرن ، وقتادة بن النعمان، والأقرع بن حابس ، وسودة بنت زمعة، وعويم بن ساعدة، وغيلان الثقفى ، وأبو محجن الثقفى ، وخلائق آخرون من الصحابة رضى الله عنهم أجميعن .

---

(١) وفيه «المنتاب والمحروب».

(٢) وفيه «أهل السراء والبؤس»

فى ذكر هجرته إلى المدينة

قال ابن عمر رضى الله عنه لما أذن رسول الله ﷺ للناس فى الخروج إلى المدينة جعل المسلمون يخرجون أرسالا يصطحب الرجال فيخرجون قال عمر ـ رضى الله عنه ـ فخرجت أنا وعياش بن أبى ربيعة(١) .

عن البراء قال : كان أول من قدم المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ ورضوان الله عليهم أجمعين مصعب بن عمير ، وابن أم مكتوم ثم قد بلال ، وسعد ، وعماره بن ياسر ، ثم قدم عمر بن الخطاب فى عشرين من أصحاب رسول الله ﷺ (٢).

عن عقبة بن حريث قال: سمعت ابن عمر قال له رجل أنت هاجرت قبل أو عمر؟ قال: فغضب قال: لا بل هو هاجر قبلى وهو خير منى فى الدنيا والآخرة .

فى ذكر منزل عمر بالمدينة

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : منزل عمر بالمدينة حظه من رسول الله ﷺ(٣).

فى ذكر من آخى النبى ﷺ بينه وبين عمر

عن محمد بن إبراهيم ، قال : آخى النبى ﷺ بين أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضوان الله عليهما(٤) وقال سعد بن إبراهيم : آخى بين عمر

---

(١) أخرجه ابن سعد (٢٠٥/٣) واسناده رجاله ثقات .

(٢) أخرجه البخارى (٢٠٨/٧) فتح .

(٣) أخرجه ابن سعد (٢٠٦/٣) واسناده ضعيف .

(٤) أخرجه ابن سعد (٢٠٦/٣) وفيه انقطاع ، ووصله الحاكم (١٤/٣) وفيه جميع بن عمير قال الذهبى : متهم .

وبين ساعدة[1] وقال عبد الواحد بن أبى عون : آخى بين عمر وعتبان ابن مالك قال الواقدى : ويقال بين عمر وبين معاذ بن عفراء[2].

فى قول النبى ﷺ فى فضل عمر

سياق أن عمر من المحدثين

عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال : (كان فى الأمم مُحدثون فإن يكن فى أُمتى فعمر)[3] عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (إنه كان فيمن مضى قبلكم من الأمم محدثون وإنه إن كان فى أمتى هذه منهم أحد فإنه عمر ابن الخطاب)[4] قال الشيخ الإمام أبو الفرج : أخرجاه فى الصحيحين وفى بعض ألفاظ الصحيح (قد كان قبلكم من بنى إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن فى أمتى أحد فعمر)[5].

الشيطان يفر من عمر

عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال: استأذن عمر على رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش يكلمنه فأذن له رسول الله ﷺ فدخل ورسول الله ﷺ يضحك فقال عمر : أضحك الله سنك يا رسول الله قال : (عجبت من هؤلاء اللاتى كن عندى لما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب) فقال عمر : فأنت

---

(١) أخرجه ابن سعد (٣/٢٠٦) وفيه : آخى بين عمر وبين عويم بن ساعدة .

(٢) أخرجه ابن سعد (٣/٢٠٦) واسناده ضعيف .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٣٩٨) والترمذى (٣٦٩٢) وابن أبى عاصم فى «السنة» (١٢٦٢) واللالكائى فى «شرح الاعتقاد» (٢٤٨٦) وأحمد (٥٥١٦) والحميدى (٢٥٣) .

(٤) صحيح البخارى (٧/٣٩) فتح ، والترمذى (٣٨٧٣) وابن أبى عاصم (١٢٦١).

(٥) صحيح : أخرجه البخارى (٧/٤٠) فتح .

كنت أحق أن يهبن ثم قال عمر أى عدوات أنفسهن أتهبننى ولا تهبن رسول الله ﷺ قلن : نعم أنت أغلظ وأفظ من رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : «والذى نفسى بيده مالقيك الشيطان قط سالكاً فجا إلا سلك فجاً غير فجك»[1].

عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ جالساً فسمعنا لغطاً وصوت صبيان فقام رسول الله ﷺ وإذا حبشية تزفن والصبيان حولها فقال: ياعائشة تعالى وانظرى فجئت فوضعت لحى على منكب رسول الله ﷺ فجعلت أنظر إليهم ما بين المنكب إلى رأسه فقال لى: أما شبعت؟ قالت : فجعلت أقول لا لأنظر منزلتى عنده إذ طلع عمر فارفضّ الناس عنها قالت : فقال رسول الله ﷺ: «إنى لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر» قالت: فرجعت[2]

رسول الله ﷺ يقول أنه فى الجنة

عن سعيد بن زيد عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «أبو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة وعثمان فى الجنة وعلى فى الجنة وسعد بن مالك فى الجنة وعبد الرحمن فى الجنة وطلحة فى الجنة والزبير فى الجنة وتاسع المسلمين لو شئت سميته فخرج الناس وناشدوه فقال : «لولا أنكم ناشدتمونى ما أخبرتكم أنا تاسع المسلمين ورسول الله ﷺ يتم العاشر ثم قال لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ يغبر فيه وجهه خير من عمل أحدكم ولو عُمِّر عمر نوح عليه السلام[3].

(١) صحيح : أخرجه البخارى (٣٦/٧) فتح ، ومسلم (٢٣٩٦) وأحمد (١٨٢/١).

(٢) صحيح : رواه الترمذى (٣٦٩١) والنسائى فى «الكبرى» (٧١) وابن شاهين (٨٩) وابن عدى (٥١/٣) وهو فى «صحيح الترمذى» و«المشكاة» (٦٠٣٩) .

(٣) صحيح : رواه أحمد (١٨٧/١) ورواه (١٩٣/١) عن عبد الرحمن بن عوف وانظر «صحيح الجامع» (٥٠) .

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه ذات يوم: «من شهد منكم جنازة؟ قال عمر أنا! من عاد مريضا؟ قال عمر: أنا! قال: من تصدق؟ قال عمر: أنا ! قال : من أصبح صائما ؟ قال عمر : أنا ! قال : وجبت وجبت[1] .

بشرة النبى ﷺ عمر بالجنة

عن أبى موسى رضى الله عنه قال : خرج النبى ﷺ يوماً إلى حائط من حوائط المدينة لحاجته وخرجت فى أثره فلما دخل الحائط جلست على بابه وقلت لأكونن اليوم بواب رسول الله ﷺ ولم يأمرنى فذهب النبى ﷺ وقضى حاجته وجلس على قف البئر فكشف عن ساقه فدلاهما فى البئر فجاء أبو بكر يستأذن فقلت له كما أنت حتى أستأذن لك فوقف فجئت إلى النبى ﷺ فقلت : يانبى الله أبو بكر فقال إئذان له وبشره بالجنة فجاء عمر فقال النبى ﷺ أئذن له وبشره بالجنة[2] .

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «يطلُعُ من تحت هذا الصور رجل من أهل الجنة، فطلع عمر فهنيناه بما قالَ رسول الله ﷺ ثم قال : «يطلع من تحت هذا الصور رجل من أهل الجنة ثم قال اللهم إن شئت جعلته علياً» فطلع على رضوان الله عليه [3].

---

(١) رواه أحمد (١١٨/٣) وفيه سلمة بن وردان وهو ضعيف .

(٢) صحيح : أخرجه عبد الرازق فى «مصنفه» (٢ - ٤ - ٢) وأحمد (٣٩٣/٤ و ٤٠٦ و ٤٠٧) والبخارى (٢٨/٧) فتح ومسلم (٢٤٠٣) والترمذى (٣٧١١) والبغوى (٣٩٠٢).

(٣) إسناده صحيح : أخرجه أحمد (٣٥٦/٣) وله طريقاً أخرى (٣٨٠/٣) وله شاهد عند الترمذى (٣٦٩٤) والحاكم (٧٣/٣) عن ابن مسعود.

قول النبى ﷺ يا أخى لعمر

عن عبد الله بن عمر ، عن عمر ، عن النبى ﷺ أنه استأذنه فى العمرة فأذن له وقال له : «يا أخى لاتنسنا من دعائك» وقال بعد فى المدينة : «يا أخى أشركنا فى دعائك» قال عمر رضى الله عنه ما أحب أن لى بها ما طلعت عليه الشمس لقوله يا أخى(١).

عن سالم عن ابن عمر قال استأذن عمر رضى الله عنه النبى ﷺ فى العمرة فقال يا أخى أشركنا فى صالح دعائك ولا تنسنا(٢).

قول النبى ﷺ إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه

عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى ﷺ «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه يقول به» (٣).

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه»(٤).

---

(١) أخرجه ابن سعد (٣/٢٠٧) وأحمد (١/٢٩) وأبو داود (١٤٩٨) والترمذى (٣٥٥٧) وابن ماجة (٨٩٤) وضعفه الشيخ الألبانى فى «ضعيف الجامع» (٦٢٩٢ و ٦٣٧٧).

(٢) ضعيف وانظر ما سبق .

(٣) صحيح : أخرجه أحمد (٥/١٤٥ و ١٦٥ و ١٧٧) وأبو داود (٢٩٦٢) وابن ماجه (١٠٨) والحاكم (٢/٨٦ و ٨٧) وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح ابن ماجه (٨٨) .

(٤) صحيح : أخرجه أحمد (٢/٤٠١) ابن حبان (٢١٨٤) موارد ، وأبو نعيم فى «الحلية» ١/٤٢) والبزار وقال الهيثمى (٩/٦٦) رجال البزار رجال الصحيح غير الجهم بن أبى الجهم وهو ثقة ويتقوى بما قبله.

وعن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه»[1].

شهادة رسول الله ﷺ
لعمر أنه لا يحب الباطل

عن الأسود بن سريع قال : أتيت النبى ﷺ فقلت : قد حمدت ربى بمحامد ومدح وإياك فقال : «إن ربك يُحب الحمد»:

فجعلت أنشده فاستأذن رجل طوال أصلع فقال لى رسول الله ﷺ : «اسكت» فدخل فتكلم ساعة ثم خرج ففعل ذلك مرتين أو ثلاثا فقلت : يا رسول الله من هذا الذى أسكتنى له فقال : «هذا عمر هذا رجل لا يحب الباطل»[2].

عن عبد الرحمن بن أبى بكر عن الأسود التيمى قال : قدمت على رسول الله ﷺ فجعلت أنشده فدخل رجل طوال أقنى فقال لى رسول الله ﷺ أمسك فلما خرج قال : هات فقلت من هذا يا نبى الله الذى إذا جاء امسك وإذا خرج قلت هات ؟ قال : «هذا عمر بن الخطاب وليس من الباطل فى شئ» [3].

عن الحسن عن الأسود بن سريع قال كنت أنشده يعنى النبى ﷺ ولا أعرف أصحابه حتى جاء رجل بعيد ما بين المنكبين أصلع فقيل : اسكت، فقلت:

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (٢/٥٣ و ٩٥) والترمذى (٣٦٨٢) وابن حبان (٢١٨٥) واللالكائى (٢٤٨٥) والبغوى (٣٨٧٥) وصححه الشيخ الألبانى فى «صحيح الترمذى » (٢٩٠٨).

(٢) أخرجه البخارى فى «الأدب المفرد» (٣٤٢) وأحمد (٣/٤٣٥) وأبو نعيم فى «الحلية» (١/٤٩) وقال الشيخ الألبانى فى «ضعيف الأدب» (٥٥) ضعيف بهذا التمام وقد صح مختصراً.

(٣) أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» (١/٤٦) واسناده ضعيف.

واثكلاه من هذا الذى أسكت له عند النبى ﷺ ؟ عمر بن «الخطاب» فعرفت أنه بعد والله يهون عليه لو سمعنى أن لا يكلمنى حتى يأخذ برجلى فيخرجنى إلى البقيع[1]. فإن قال قائل : كيف يسمى ما يسمعه رسول الله ﷺ باطلا وهو محاشى عن الباطل ؟ فالجواب أنه لما كان الشعراء كما قال الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ ﴾ ويجئ منهم ما يصلح وقال هذا الشاعر للنبى ﷺ إنى قد حمدت ربى بمحامد سمع منه فلو قد ذكر فى قصيدته مالا يصلح لانكرة عليه برفق كما أنكر على نساء قلن :

وفينا نبى يعلم ما فى غد فقال النبى ﷺ : «لا تقلن هذا» فخاف أن يسمع من ذلك عمر ليقابله بأفحش الانكار وكان رسول الله ﷺ أرفق منه فى باب الإنكار باللطف.

قول رسول ﷺ
أشد أمتى فى أمر الله عمر

عن أبى قلابة عن أنس بن مالك قال : قال النبى ﷺ «أشد أمتى فى أمر الله عمر»[2].

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» (٤٧/١) وإسناده ضعيف .

(٢) صحيح أخرجه عبد الرازق فى مصنفه» (٢٠٢٨٧) مرسلاً ، ووصله ابن سعد (٢٢٠/٣) وأحمد (١٨٤/٣ ـ ٢٨١) والترمذى (٣٧٩٠ و ٣٧٩١) وابن ماجه (١٥٤) وصححه الشيخ الألبانى فى «صحيح الترمذى» (٢٩٨١) .

شهادة رسول الله ﷺ لعمر أنه يكون بعد الموت على ماكان عليه فى الحياة من الإيمان

عن أبى شهر عن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال : قال لى رسول الله ﷺ كيف أنت إذا كنت فى أربعة فى ذراعين ورأيت منكراً ونكيراً ؟ قال قلت : يارسول الله وما منكر ونكير ؟ قال : فتانا القبر يبحثان التراب بأنيابهما ويطآن فى أشعارهما أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف معهما مزربة لو اجتمع عليها أهل الأرض لم يطيقوا رفعها هى أيسر عليهما من عصاى هذه قال قلت : يا رسول الله وأنا على حالتى هذه ؟ قال : نعم قال : قلت: إذن اكفيكما[1].

قوله ﷺ لو كان بعد نبى لكان عمر

عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لو كان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب»[2].

---

(١) أخرجه ابن داود فى «البعث» (٧) والبيهقى فى «الاعتقاد» (٢٢٢) وفى عذاب القبر (١٠٦) وفيه أبو شهر قال الذهبى فى «الميزان» (٤/٥٢٧) : أبو شهر عن عمر بن أبى خالد يخبر منكر فى منكر ونكير ، ورواه البيهقى فى عذاب القبر (١٠٤) عن ابن عباس قال : ومن وجه آخر صحيح عن عطاء بن يسار مرسلاً ، ورواه أبو نعيم والآجرى فى «الشريعة» والبيهقى فى العذاب عن عطاء موصولا . وأخرجه نحوه أحمد (٢/١٧٢) وابن حبان (٧٧٨) موارد ، والآجرى (٣٦٧) وابن عدى (٢/٨٥٥) واسناد أحمد صحيح عن عبد الله بن عمرو .

(٢) أخرجه أحمد (٤/١٥٤) والترمذى (٣٦٨٦) والحاكم (٣/٨٥) وابن شاهين (١٤٠) واللالكائى (٢٤٩١) وصححه الألبانى فى «الصحيحة» (٣٢٧).

دعاء الرسول ﷺ لعمر

عن سالم عن أبيه قال : رأى النبى ﷺ على عمر ثوباً وفى رواية قميصا أبيض فقال أجديد ثوبك هذا أم غسيل فقال بل غسيل فقال إلبس جديداً وعش حميداً ومت شهيداً (1).

فى ذكر مـا رآه النبى ﷺ فى المنـــام مما يـدل عـلى فضائل عمر رضوان الله عليه

عن سالم بن عبد الله عن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : رأيت الناس مجتمعين فى صعيد واحد فقام أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين وفى بعض نزعة ضعف والله يغفر له ثم أخذها عمر فاستحالت فى يده غربا فلم أر عبقرياً فى الناس يفرى فريّه حتى ضرب الناس بعطن(2).

وعن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : أريتنى الليلة وأبا بكر على قليب فنزعت منه ذنوباً أو ذنوبين ثم جئت يا أبا بكر فنزعت ذنوباً أو ذنوبين ثم جاء عمر فنزع منها حتى استحالت غرباً فضرب بعطن فعبرها يا أبا بكر قال : إلىَّ

---

(1) حسن : أخرجه عبد الرزاق (٢٠٣٨٢) وأحمد (٨٩/٢) وابن سعد (٢٥٠/٣) وابن السنى (٢٦٨) وابن حبان (٢١٨٣) وحسنه الشيخ الألبانى فى «صحيح الجامع» (١٢٣٤).

(2) صحيح : أخرجه البخارى (٣٦٢٣) و (٣٦٧٦) و (٣٦٨٢) و (٧٠١٩) و (٧٠٢٠) ومسلم (٢٣٩٣) والترمذى (٢٢٨٩) وأحمد (٢٧/٢ و ٣٩ و ١٠٤ و ١٠٧) وابن أبى شيبة (٢١/١٢)، وأخرجه البخارى (٣٦٦٤) و (٧٠٢١) و (٧٠٢٢) و (٧٤٧٥) ومسلم (٢٣٩٢) وأحمد (٣٦٨/٢/٤٥٠) وابن أبى شيبة (٢١/١٢) والبغوى (٢٨٨١) و (٣٨٨٢) و (٣٨٨٣) والبيهقى (دلائل) (٢٤٤/٦) عن أبى هريرة .

الأمر بعدك ثم يليه عمر ؟ قال بذلك عبرها الملك(١).

عن ابن سيرين عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «رأيت كأنى أنزع على غنم سود إذ خالطها غنم عفر(٢) إذا جاء أبو بكر فنزع ذنوبين وفيهما ضعف ويغفر الله له إذا جاء عمر فأخذ الدلو فاستحالت غرباً فأروى الناس وصدر الشاء فلم أرَ عبقرياً يفرى فَرى عمر ، فقال رسول الله ﷺ : «فأوَّلتُ أن الغنم السود العرب وأن العفر إخوانهم من هذه الأعاجم»(٣).

عن الزهرى عن سالم عن أبيه قال كان النبى ﷺ يحدث قال : «بينا أنا نائم رأيتنى أتيت بقدح فشربت منه حتى إنى أرى الرِّىَّ يخرج من أظافرى ثم أعطيت فضلى عمر فقالوا : فما أوَّلت ذلك يا رسول الله ؟ : «العلم»(٤).

عن أبى أمامة [بن سهل] أنه سمع أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ يقول : «بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون علىَّ وعليهم قُمصٌ منها ما يبلغ الثُّدىَّ ومنها مادون ذلك وعرض علىَّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره ، قالوا : فما أوَّلت ذلك يارسول الله ؟ قال : «الدِّين»(٥).

---

(١) متفق عليه وقد سبق راجع الفتح (٢١/٧). القليب : البئر ، الغرب : الدلو العظيمة ، العبقرى : الرجل القوى الشديد.

(٢) عفر : البياض ليس بالناصع .

(٣) أخرجه البخارى فى «التعبير» ومسلم (٢٣٩٢).

(٤) أخرجه البخارى (٣٦/٧) فى «فضائل أصحاب النبى» باب «مناقب عمر» ، وفى «العلم» باب «فضل العلم» ، وفى «التعبير» باب «اللبن» ومسلم (٢٣٩٠) والترمذى (٢٢٨٥).

(٥) أخرجه البخارى (٦٩/١) فى الإيمان ، باب فضل أهل الإيمان فى الأعمال ، حديث رقم (٢٣) وهو برقم (٣٦٩١ و ٧٠٠٨ ، ٧٠٠٩) ومسلم (٢٣٩٠) والترمذى (٢٢٨٧) والنسائى (١١٣/٨).

عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : «بينا أنا نائم رأيتنى فى الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر قلت : لمنْ هذا القصر؟ قالوا لعمر فذكرت غيرته فوليت مدبرا» فبكى عمر وقال : «أو عليك أغار يارسول الله»(١) .

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ «دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا لشاب من قريش ، فقلت : لمن ؟ قالوا : لعمر بن الخطاب ، قال فلولا ما علمت من غيرتك لدخلته ، فقال عمر : «عليك يارسول الله أغار»(٢) .

عن محمد بن النكدر قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال رسول الله ﷺ أدخلت الجنة فرأيت فيها داراً أ قصراً فسمعت فيه ضوضاء أو صوتاً فقلت : لمن هذا ؟ فقيل لابن الخطاب فأردت أن أدخله فذكرت غيرتك ، فبكى عمر ، وقال : يا رسول الله أو يغار عليك! (٣).

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ دخلت الجنة فرأيت فيها قصراً من ذهب فقلت : لمن هذا ؟ فقيل : لشاب من قريش فظننت أنى أنا هو

---

(١) أخرجه البخارى (٣٥/٧) فى فضائل أصحاب النبى باب مناقب عمر وفى بدء الخلق باب «ماجاء فى صفة الجنة» ، وفى النكاح باب الغيرة ، وفى التعبير باب «القصر فى المنام»ومسلم (٢٣٩٥) وابن ماجه (١٠٧).

(٢) صحيح أخرجه الترمذى (٣٦٨٨) وأحمد (١٧٩/٣) وابن حبان (٢١٨٨) موارد وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٦٤).

(٣) أخرجه البخارى (٢٦٧٩ و٥٢٢٦ و ٧٠٢٤) ومسلم (٢٣٩٤) ورواه البخارى بلفظ «دخلت الجنة، أو أتيت الجنة فأبصرت قصراً ، فقلت : لمن هذا ؟ قالوا لعمر بن الخطاب ، فأردت أن أدخله فلم يمنعنى إلا علمى بغيرتك» .

فقالوا : لعمر بن الخطاب ، فقال النبى ﷺ : لولا ما علمت من غيرتك لدخلته فبكى عمر وقال : عليك أغار يا رسول الله [١].

عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «دخلت الجنة فسمعت فيها خشفة بين يدى فقلت ما هذا ؟ قال : بلال فمضيت فإذا أكثر أهل الجنة فقراء المهاجرين وذرارى المسلمين ولم أر فيها أحد أقل من الأغنياء والنساء - قيل أما الأغنياء فهم ههنا بالباب يحاسبون ويحصون ، وأما النساء فألهاهن الأحمران الذهب والحرير ثم خرجنا من أحد أبواب الجنة الثمانية فلما كنت عند الباب أتيت بكفة فوضعت فيها ووضعت أمتى فى كفة فرجحت بها ثم أتى بأبى بكر فوضع فى كفة وجئ بجميع أمتى فوضعوا فرجح أبو بكر ثم أتى بعمر فوضع فى كفة وجئ بجميع أمتى فوضعوا فرجح عمر[٢].

فضل عمر وفضل أبى بكر

رضى الله عنهما

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أن أهل الدرجات ليراهم من تحتهم كما يُرى الكوكب الطالع فى أفق السماء وأن أبا بكر وعمر منهم وأنعما[٣].

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (١٩١/٣) وصححه الألبانى كما سبق .

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٩/٥) واسناده ضعيف .

(٣) صحيح أخرجه أحمد (٢٢/٣ ، ٧٢ ، ٩٣ ، ٩٨) وأبو داود (٣٩٨٧) والترمذى (٣٦٥٨) وابن ماجة (٩٦) وابن حبان واللالكائى (٢٥١٤) والخلال فى «السنة» (٣٧٦) والبغوى (٣٨٩٢) وصححه الألبانى فى «صحيح الجامع» (٢٠٣٠) و «صحيح ابن ماجه» (٧٩).

وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : إن أهل الجنة ليرون أهل عليين كما ترون الكوكب الدرى فى أفق السماء وأن أبا بكر وعمر منهم وأنعما[1].

وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ : أن أهل عليين ينظر إليهم من أسفل منهم كما ينظر الكوكب الدرى فى جو السماء وأنا أبا بكر وعمر منهم وأنعما[2].

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : صلى بنا النبى ﷺ صلاة ثم أقبل علينا بوجهه فقال : كان رجل يسوق بقرة فركبها فقالت إنا لم نخلق لهذا إنا خلقنا للحرث فقال الناس سبحان الله بقرة تتكلم فقال النبى ﷺ : بقرة تتكلم فإنى أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم قال : بينا رجل فى غنمه إذ عدا عليها الذئب فأخذ شاة منها فطلبه فأدركه فاستنقذها منه فقال هذا : استنقذتها منى فمن لها يوم السبع ؟ يوم لا راعى لها غيرى فقال الناس سبحان الله ذئب يتكلم فقال النبى ﷺ «أنا أومن بهذا وأبو بكر وعمر وماهما ثمّ»[3].

عن على رضى الله عنه قال بينا رسول الله ﷺ وأنا معه فى المسجد ليس معنا ثالث إذ أقبل أبو بكر وعمر كل واحد منهما آخذ بيد صاحبه فقال : يا

(١ ، ٢) صحيح أخرجه أحمد (٢٣/٣ ، ٧٢ ، ٩٣ ، ٩٨) وأبو داود (٣٩٨٧) والترمذى (٣٦٥٨) وابن ماجة (٩٦) وابن حبان واللالكائى (٢٥١٤) والخلال فى «السنة» (٣٧٦) والبغوى (٣٨٩٢) وصححه الألبانى فى «صحيح الجامع» (٢٠٣٠) و «صحيح ابن ماجه» (٧٩).

(٣) أخرجه البخارى (١٨/٦ ، ٤٠ ، ٢٧) فتح ، ومسلم (٢٣٨٨) والترمذى (٣٦٧٧) والبغوى (٣٨٨٩) يوم السبع : قال ابن الأعرابى : السبع : بسكون الباء الموضع الذى يحبس الناس فيه يوم القيامة .

على هذان سيداكهول أهل الجنة ممن مضى من الأولين والآخرين ماخلا النبيين والمرسلين ، يا على لا تخبرهما بذلك فيما أخبرتهما حتى ماتا ولو كانا حيين ما أخبرت بهذا الحديث أحداً(1).

وعن على رضوان الله عليه قال : كنت إلى جانب رسول الله ﷺ قال : فمر أبو بكر وعمر فقال : ادنُ يا على فدنوت منه فقال : أترى هذين هذان سيداكهول أهل الجنة ممن مضى من الأولين والآخرين ماخلا النبيين والمرسلين لا تخبرهما يا على .

قال ثعلب : إنما قال ﷺ لاتخبرهما إشفاقاً عليهما من القيام بأعباء التشكر كما كان النبى ﷺ يقف شاكراً حتى ورمت قدماه(2).

عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ «أبو بكر وعمر سيداكهول أهل الجنة»(3).

عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : اقتدوا باللذين من بعدى أبو بكر وعمر(4).

(١ ، ٢) صحيح : أخرجه الترمذى (٣٦٦٥ ، ٣٦٦٦) وعبد الله بن أحمد فى زوائد المسند (٨٠/١) ، وقال الشيخ أحمد شاكر (٦٠٢) اسناده صحيح . وله شاهد من حديث أبى جحيفة رواه ابن ماجة (١٠٠) وشاهد من حديث أبى هريرة الخطيب فى «التاريخ» (٢١٧/١٤) ، وله شاهد ثالث من حديث أنس الآتى.

(٣) رواه الطبرانى فى «الصغير» والبغوى (٣٨٩٧) وصححه الشيخ الألبانى فى «الصحيحة» (٨٢٤) و«المشكاة» (٦٠٥٠) .

(٤) رواه الترمذى (٣٦٦٢ ، ٣٨٠٧) والحاكم (٧٥١٢) والبغوى (٣٨٩٦) عن ابن مسعود وهو فى صحيح «الجامع» (١١٤٤) .

عن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إقتدوا بالذين من بعدى - يعنى أبا بكر وعمر - اهتدوا بهدى عمار وتمسكوا بعهد ابن أم «عبد»[1].

وعن حذيفة قال : كنا جلوساً عند النبى ﷺ فقال : «إنى لست أدرى ما بقائى فيكم فاقتدوا بالذين من بعدى وأشار إلى بكر وعمر واهتدوا بهدى عمار وماحدثكم ابن مسعود فصدقوه»[2]. وعن عمار بن ياسر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ سألت جبريل عليه السلام فقلت : أخبرنى عن فضائل عمر فقال : لو كنت معك ما لبث نوح فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ما نفدت فضائل عمر وإنما عمر حسنة من حسنات أبى بكر.

عن عبد الله بن حنطب قال : كنت جالساً عند النبى ﷺ إذ طلع أبو بكر وعمر فقال : «هذان السمع والبصر»[3].

وعن أنس أن النبى ﷺ كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم وفيهم أبو بكر وعمر رضوان الله عليهما ولا يرفع أحد بصره إلا أبو بكر وعمر فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويبتسمان إليه ويبتسم إليهما[4] .

(١ ، ٢) أخرجه أحمد (٥/٣٨٢ ، ٣٨٥ ، ٣٩٩) والترمذى (٣٦٦٢ ، ٣٦٦٣) وابن ماجة (٩٧) والحاكم (٣/٧٥) وابن حبان (٢١٩٣) واللالكائى (٢٤٩٦) وابن عبد البر (ص٥٥٠) والخطيب فى «التاريخ» (٤/٣٤٧ ، ٧/٤٠٣) وفى «الفقيه» (١/١٧٧) وهو صحيح - انظر «صحيح الجامع (١١٤٢ ، ١١٤٣) وفى الأصل أم معبد والصواب ما أثبتناه .

(٣) صحيح : أخرجه الترمذى (٣٦٧١) وابن حاتم فى «العلل» (٢/٣٨٥ رقم ٢٦٦٧) وله شاهد من حديث جابر ، ورواه اللالكائى (٢٥٠٧) والخطيب فى «التاريخ» (٨/٤٦٠) وصححه الشيخ الألبانى فى «الصحيحة» (٨١٤) وفى صحيح الجامع (٧٠٠٤)

(٤) ضعيف : أخرجه الترمذى (٣٦٦٨) واللالكائى (٢٥٠٦) وأحمد (١/٢٢ - ١٨٢) والبغوى وضعفه الشيخ الألبانى فى «المشكاة» (٦٠٥٢).

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : لى وزيران من أهل السماء جبريل وميكائيل ووزيران من أهل الأرض أبو بكر وعمر(1).

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : «وزيران من أهل السماء جبريل وميكائيل ووزيران من أهل الأرض أبو بكر وعمر».

عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ «إن لى وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض فأما وزيران من أهل السماء فجبريل وميكائيل، وأما وزيران من أهل الأرض فأبو بكر وعمر» ثم رفع رسول الله ﷺ رأسه إلى السماء فقال : «إن أهل علين ليراهم من هو أسفل منهم كما ترون النجم أو الكوكب فى السماء فإن أبا بكر وعمر وأنعما ، قال فلان قلت : يا أبا سعيد وما أنعما ؟ قال : أهل ذلك هما .

عن عبد العزيز بن المطلب عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله تعالى أيدنى من أهل السماء بجبريل وميكائيل ومن أهل الأرض بأبى بكر وعمر قال : ورآهما مقبلين ، قال : هذان السمع والبصر.

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من مولود إلا وقد ذرَّ عليه من تراب حفرته»(2)، قال أبو عاصم : ما نجد لأبى بكر وعمر رضوان الله عليهما فضيلة مثل هذه لأن طينتهما طينة رسول الله ﷺ .

---

(1) ضعيف : أخرجه الترمذى (٣٦٨٠) وابن عدى (٨٧/٢) وضعفه الألبانى فى «المشكاة» (٦٠٥٦).

(2) ضعيف : أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» (٢٨٠/٢) واسناده فيه مجهول . وأخرجه نحوه الخطيب فى «التاريخ» (١١٣/٢ ، ٤١/١٣) وابن الجوزى فى «العلل» (٣١٠) وذكره الذهبى فى «الميزان» (٢٠٦/٤) وأورده السيوطى فى «اللآلئ» (٢٠٩/١)

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر وعمر: ألا أخبركما بمثلكما فى الملائكة ومثلكما فى الأنبياء مثلك يا أبا بكر فى الملائكة مثل ميكائيل عليه السلام ينزل بالرحمة ومثلك فى الأنبياء مثل إبراهيم قال : ﴿ فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم ﴾ ومثلك يا عمر فى الملائكة مثل جبريل عليه السلام ينزل بالشدة والبأس والنقمة على أعداء الله ومثلك فى الأنبياء مثل نوح عليه السلام قال ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ﴾[1].

وعن دحية بن خليفة قال : وجهنى رسول الله ﷺ إلى ملك الروم بكتابة فناولته كتاب رسول الله ﷺ فقبَّل خاتمة ووضعه تحت شئ عليه قاعداً ثم نادى فاجتمع البطارقة وقومه فقام على وسائد بنيت له فكذلك كانت فارس والروم لم يكن لها منابر ثم خطب أصحابه فقال : هذا كتاب النبى ﷺ الذى بشرنا به المسيح من ولد إسماعيل بن إبراهيم قال فنخروا نخرة فأومأ بيده أن اسكتوا ثم جربتكم كيف نصرتكم للنصرانية قال فبعث إلىَّ من الغد سراً فأدخلنى بيتاً عظيماً فيه ثلاثمائة وثلاث عشرة صورة فإذا هى صور الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، قال انظر أين صاحبك من هؤلاء ؟ قال : فرأيت صورة النبى ﷺ كأنه ينظر قلت : هذا . قال : صدقت فقال : من صورة هذا الذى على يمينه ؟ قلت رجل من قومه يقال له أبو بكر الصديق ، قال : من هذا عن يساره ؟ قلت : رجل من قومه يقال له عمر بن الخطاب . قال : أما إنا نجد فى الكتاب أن بصاحبيه هذين يتم الله الدين فلما قدمت على النبى ﷺ أخبرته فقال : «صدق بأبى بكر وعمر يتم الله هذا الدين ويفتح».

---

(١) ضعيف : أخرجه ابن أبى عاصم فى «السنة» (١٤٢٤) واللالكائى (٢٥١٤) وابن شاهين (١٥١) وأبو نعيم فى «الحلية» (٤/٢٠٤) وابن عدى (٣/١٧١).

ثناء على بن أبى طالب
ر ضى الله عنهم أجمعين

عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : قال رجل من قريش لعلى بن أبى طالب رضوان الله عليه : يا أمير المؤمنين نسمعك تقول فى الخطبة آنفاً اللهم أصلحنا بما صلح به الخلفاء الراشدين المهديين فمن هم ؟ فاغرورقت عيناه ثم أهملهما ثم قال : هم حبيباى وعماك أبو بكر وعمر إماما الهدى وشيخا الإسلام ورجلا قريش والمقتدى بهما بعد رسول الله ﷺ من اقتدى بهما عُصم ومن اتبع آثارهما هُدى الصراط المستقيم ومن تمسك بهما فهو من حزب الله وحزب الله هم المفلحون(١).

عن عبد خير قال : سمعت علياً رضوان الله عليه يقول : إن الله جعل أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما حجة على من بعدهما من الولاة إلى يوم القيامة سبقاً والله سبقاً بعيداً وأتعبا من بعدهما إتعاباً شديداً (٢).

عن زيد بن وهب أن سويد بن غفلة دخل على علىّ رضوان الله عليه فى رمارته فقال : يا أمير المؤمنين إنى مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر بغير الذى هما أهل له من الإسلام فنهض إلى المنبر وهو قابض على يدى فقال : والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لا يحبهما إلا مؤمن فاضل ولا يبغضهما ويخالفهما إلا شقى مارق فحبهما قربة وبغضهما مروق مابال أقوام يذكرون أخوى رسول الله ﷺ ووزيريه وصاحبيه وسيدىّ قريش وأبوى المسلمين فأنا برئ ممن يذكرهما بسوء وعليه معاقب(٣).

---

(١) رواه اللالكائى فى «شرح الاعتقاد» (٢٥٠١) ونصر فى «الحجة» وأبو طالب العشارى .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه وابن أبى عاصم وابن شاهين والأصبهانى فى «الحجة» وابن عساكر وأبو نعيم فى «الحلية» .

فى بيان أن معرفة فضلهما رضى الله عنهما من السنة

عن شقيق عن عبد الله قال : حب أبى بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة[1].

عن عبد العزيز بن جعفر اللؤلؤى قال : قلت للحسن رضى الله عنه حب أبى بكر وعمر سنة ؟ قال لا . فريضة [2].

وعن طاووس قال : حب أبى بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة [3].

عن مالك بن أنس رحمه الله قال: كان السلف رحمهم الله يعلمون أولادهم حب أبى بكر وعمر رضوان الله عليهما كما يعلمون السورة من القرآن.

عن أبى جعفر محمد بن على رضوان الله عليهم قال : من لايعرف فضل أبو بكر وعمر جهل السنة[4].

عن سالم بن حفصة قال: قال جعفر بن محمد رضى الله عنه أبو بكر جدى أفيسب الرجل جده لانالتنى شفاعة محمد إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما .

وعن زيد بن على رضى الله عنه قال : البراءة من أبى بكر وعمر البراءة من على عليهم السلام .

---

(١) رواه اللالكائى فى «شرح الاعتقاد» (٢٣١٩) وابن عبد البر فى العلم (١٨٧/٢).

(٢) رواه اللالكائى فى «شرح الاعتقاد» (٢٣٢١).

(٣) رواه اللالكائى فى «شرح الاعتقاد» (٢٣٢٣).

(٤) رواه اللالكائى فى «شرح الاعتقاد» (٢٣٢٥).

عن شعيب بن حرب قال : قلت لمالك بن مغول رحمه الله أوصنى قال : أوصيك بحب الشيخين أبى بكر وعمر قلت : إن الله أعطى من ذلك خيراً كثيراً ! قال : أى لكع ، إنى والله أرجو لك على حبهما ما أرجو لك على التوحيد(١) .

عن أبى حازم عن أبيه قال : قيل لعلى ابن الحسن رضوان الله عليهما كيف كانت منزلة أبى بكر وعمر من رسول الله ﷺ قال: كمنزلتهما اليوم وهما ضجيعاه .

عن العتكى قال : قال هارون الرشيد لمالك كيف كانت منزلة أبى بكر وعمر من رسول الله ﷺ ؟ قال : كقرب قبرهما من قبره قال : شفيتنى يامالك .

عن سفيان بن عيينة قال : قال مالك ابن مغول رحمه الله إن شئتم لاحلفن لكم أن مكانهما فى الآخرة مثل مكانهما منه فى الدنيا يعنى أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما .

فى ذكر فضله على من بعده

عن أبى جحيفة قال: سمعت علياً رضوان الله عليه يقول: أخبركم بخبر هذه الأمة بعد نبيها؟ أبو بكر ثم قال ألا أخبركم بخبر هذه الامة بعد أبى بكر؟ عمر .

وعن أبى جحيفة قال : قال على رضوان الله عليه خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر ، ولو شئت أخبرتكم بالثالث(٢).

---

(١) رواه اللالكائى فى «شرح الاعتقاد» (٢٣٣٨).

(٢) صحيح : أخرجه أحمد (١/١٠٦ ، ١١ ، ١٢٧) وابن أبى عاصم فى السنة (١٢٠١ ، ١٢٠٣) وصححه الألبانى فى «السنة» .

وعن محمد بن على بن الحنيفة رضوان الله عليهما قال : قلت لأبى يا أبت من خير الناس بعد رسول الله ﷺ ؟ قال أبو بكر ثم عمر(١) .

عن عون بن أبى جحيفة قال: كان أبى على شرطة على رضى الله عنه وكان تحت منبره قال: سمعت علياً يقول: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر(٢).

عن عبد خير قال : سمعت علياً يقول على منبر الكوفة : خيركم بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وخيركم بعد أبى بكر عمر ولو شئت أن اسمى الثالث لسميت قال : فكأنه ينحو نفسه(٣) .

وعن عبد خير قال : لما فرغ علىّ رضى الله عنه من أهل النهر صعد المنبر فقال : ألا أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ومن بعد أبو بكر عمر ثم أحدثنا أموراً يقضى الله فيها ما يشاء(٤).

وعن ابن جبير قال : سمعت علياً يقول : خير هذه الأمة نبيها وخيرها بعد نبيها أبو بكر وخيرها بعد أبى بكر عمر ثم أحدثنا أحداثاً يقضى الله فيها مايشاء(٥).

---

(١) صحيح : أخرجه البخارى فى «المناقب» وأبو داود (٤٦٢٩) وابن ماجة (١٠٦) وابن أبى عاصم(١٢٠٤)والبغوى(٣٨٧١).

(٢) إسناده صحيح : أخرجه عبد الله بن أحمد فى الزوائد (٨٣٧) وصححه أحمد شاكر.

(٣) إسناده صحيح : رواه أحمد (٩٠٩ ـ ١٠٦٠) وصححه أحمد شاكر وقوله «ينحو» أى يقصد.

(٤) إسناده صحيح : رواه عبد الله بن أحمد فى الزوائد (٩٠٨) وصححه أحمد شاكر.

(٥) إسناد صحيح : أخرجه أحمد (٩٢٦ـ ٩٣٢ـ ١٠٣٢ـ ١٠٤٠) وصححه أحمد شاكر.

وعن قيس الحارثى قال : سمعت علياً عليه السلام يقول : سبق رسول الله ﷺ وثنى أبو بكر وثلث عمر ثم خبطتنا فتنة فما شاء الله [1].

قال : وقوله خبطتنا فتنة فما شاء الله أراد أن يتواضع بذلك .

عن شعبة قال : ما أدركت أحداً ممن كنا نأخذ عنه كان يفضل على أبى بكر وعمر أحداً بعد النبى ﷺ .

وعن عبد خير قال : قلت لعلى بن أبى طالب يا أمير المؤمنين من أول الناس دخولاً الجنة بعد رسول الله ﷺ قال أبو بكر وعمر قلت يا أمير المؤمنين يدخلانها قبلك ! قال إى والذى فلق الحبة وبرأ النسمة أنهما ليأكلان من ثمارها ويتكئان على فرشها .

عن ابن عمر قال : كنا نخير بين الناس على زمان رسول الله ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان ابن عفان رضى الله عنهم [2].

عن قبيصة بن عقبة قال : سمعت سفيان يقول: من قدم علياً على أبى بكر وعمر فد أزرى على المهاجرين والأنصار، وأخاف أن لا ينفعه مع ذلك عمل[3].

فى ذكر صلابته فى دين الله وشدته

عن ابن عباس رضى الله عنه قال حدثنى عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال : قتل يوم بدر من المشركين سبعون رجلاً وأسر منهم سبعون واستشار رسول الله ﷺ ، أبا بكر وعمر فقال أبو بكر : يا نبى الله هؤلاء بنو

(١) إسناده صحيح : أخرجه أحمد (١٠٥١) وصححه أحمد شاكر.

(٢) صحيح : أخرجه البخارى (١٣/٧) فتح ، وأبو داود (٤٦٢٧) والترمذى (٣٧٠٧) وابن أبى عاصم(١١٩٢) والبغوى (٢٨٧٠).

(٣) إسناده صحيح : أخرجه أبو داود (٤٦٣٠).

العم والعشيرة والإخوان وإنى أرى أن نأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذنا منهم قوة على الكفار وعسى أن يهديهم الله تعالى فيكونوا لنا عضداً فقال رسول الله ﷺ : ما ترى يابن الخطاب ؟ فقلت : والله ما أرى مايرى أبو بكر ولكنى أرى أن تمكنى من فلان «قريب لعمر» فأضرب عنقه وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست فى قلوبنا هوادة للمشركين هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم .

فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت فأخذ منهم الفداء فلما كان من الغد غدوت إلى النبى ﷺ فإذا هو قاعد وأبو بكر وهما يبكيان فقلت : يارسول الله أخبرنى ماذا يبكيك أنت وصاحبك ؟ فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال النبى ﷺ «أبى للذى عرض لأصحابك من الفداء لقد عرض علىّ عذابكم أدنى من هذه الشجر» لشجرة قريبة وأنزل الله عز وجل ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٦٧ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٦٨﴾(١) [الأنفال : ٦٧ - ٦٨]

عن ابن عمر ، أن النبى ﷺ لما أسرى الأسارى استشار أبا بكر فقال : قومك وعشيرتك فخل سبيلهم استشار عمر فقال : اقتلهم ففاداهم رسول الله ﷺ فانزل الله ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٦٧﴾ فلقى النبى ﷺ عمر فقال : «كاد يصيبنا فى خلافك شر»(٢).

(١) إسناده صحيح : أخرجه أحمد (١/٣٠ - ٣١) وصححه أحمد شاكر (٢٠٨) وأخرج البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى (٣٠٩٧) نحوه .

(٢) صحيح : وقد سبق ، وراجع أبو نعيم فى «الحلية» (٤٢/١).

في ذكر اقدامه على أشياء من أوامر الرسول ﷺ وأوامر أبى بكر رضوان الله عليه فلم يؤخذ بإقدامه لصحة مقصده

عن ابن عمر رضى الله عنه قال : لما أراد النبى ﷺ أن يصلى على عبد الله بن أبى جذبه قال عمر أليس الله نهاك أن تصلى على المنافقين ؟ قال : أنا بين حيرتين .﴿ استغفر لهم أو لاتستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾ فنزلت ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ﴾(١).

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه قال : سمعت عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يقول : لما توفى عبد الله بن أبى دعى رسول الله ﷺ للصلاة عليه فقام إليه وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى قمت فى صدره فقلت : يارسول الله أعلى عدو الله بن أبى القائل يوم كذا وكذا وكذا أعد أيامه قال ورسول الله ﷺ يبتسم حتى إذا أكثرت عليه قال آخر عنى يا عمر إنى خُيرت فاخترت قد قيل : ﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾ ولو علمت أنى لو زدت على السبعين فغفر لهم لزدت ثم صلى عليه ومشى معه فقام على قبره حتى فرغ فعجباً لى ولجرأتى على رسول الله ﷺ والله ورسوله أعلم فوالله ماكان إلا يسيرا حتى نزلت هاتان الآيتان : ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره ﴾ إلى قوله ﴿ فاسقون ﴾ فما صلى رسول الله ﷺ بعدها على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله عز وجل .(٢)

---

(١) صحيح : أخرجه البخارى فى التفسير (٨/٢٦٨ ـ ٢٧١) فتح .

(٢) صحيح : أخرجه البخارى فى الجنائز (٢/١٢١) والترمذى (٣٠٩٧) والنسائى (٤/٦٧) وأحمد (١/١٦) وعبد بن حميد (١٩).

عن البراء قال : لما كان يوم أحد جاء أبو سفيان بن حرب فقال : أفيكم محمد ؟ فقال رسول الله ﷺ لا تجيبوه ثم قال أفيكم محمد ؟ فلم يجيبوه قالها ثلاثاً ثم قال أفيكم ابن أبى قحافة ؟ فلم يجيبوه قالها ثلاثاً ثم قال : أفيكم ابن الخطاب قالها ثلاثا فقال أما هؤلاء فقد كفيتموهم فلم يملك عمر نفسه .

قال : كذبت يا عدو الله هاهو ذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وأنا أحياء ولك منا يوم سوء فقال يوم بيوم بدر والحرب سجال قال : أعل هبل فقال رسول الله ﷺ : أجيبوه قالوا : يا رسول الله ما نقول : قال : قولوا : الله أعلى وأجل قال: لنا العزى ولا عزى لكم فقال رسول الله ﷺ أجيبوه قالوا : يا رسول الله مانقول ؟ قال : قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم(١) .

عن عكرمة أن سفيان بن حرب لما قال أعل هبل قال رسول الله لعمر قل الله أعلى وأجل قال : لنا عزى ولا عزى لكم فقال رسول الله ﷺ قل : الله مولانا ولا مولى لكم(٢) .

عن أبى وائل قال : قال سهل بن حنيف فى الصلح الذى كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين قال : جاء عمر فقال : يارسول الله ألسنا على حق وهم على باطل ؟ قال : بلى ! قال أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار ؟ قال : بلى، قال : فعلام نعطى الدنيّة فى ديننا ونرجع ولم يحكم الله بيننا وبينهم ؟ قال : يابن الخطاب إنى رسول الله ولن يضعنى الله أبداً فانطلق عمر إلى أبى بكر رضوان الله عليهما ولم يصبر متغيظاً حتى أتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ قال : بلى ! قال : أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار ؟ قال بلى ؟ قال فعلام نعطى الدنيّة فى ديننا ونرجع ولم يحكم الله بيننا

---

(١) صحيح : أخرجه البخارى (٧/ ٢٨٠) فتح ، وأبو نعيم فى «الحلية» (١/ ٣٩) .
(٢) ضعيف الإسناد : أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» (١/ ٤٠).

وبينهم قال يابن الخطاب : إنه رسول الله ﷺ ولن يضيعه الله أبداً فنزل القرآن على رسول الله ﷺ بالفتح فأرسل إلى عمر فاقرأه فقال : يارسول الله أو فتح هو ؟ نعم فطابت نفسه ورجع(١) .

عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال : كنا قعوداً حول رسول الله ﷺ ومعنا أبو بكر وعمر نفر فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا فأبطأ علينا وخشينا أنه يقطع دوننا وفزعنا فقمنا فكنت أول من فزع فخرجت أبتغى رسول الله ﷺ حتى أتيت حائطاً للأنصار لبنى النجار فدرت به هل أجد له بابا فلم أجد فإذا ربيع يدخل فى جوف حائط من بئر خارجه (والربيع الجدول) فاحتفزت كما يحتفز الثعلب فدخلت على رسول الله ﷺ فقال أبو هريرة : فقلت نعم يارسول الله قال : «ماشأنك» قلت : كنت بين أظهرنا فقمت فأبطأت علينا فخشينا أن تقتطع دوننا ففزعنا فكنت أول من فزع فأتيت هذا الحائط فاحتفزت كما يحتفز الثعلب وهؤلاء الناس ورائى فقال : يا أبا هريرة وأعطانى نعليه أذهب بنعلىَّ هاتين فمن لقيته من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة فكان أول من لقيت عمر فقال : ماهاتان النعلان يا أبا هريرة ؟ فقلت : هاتان نعلا رسول الله ﷺ بعثنى بهما من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه بشرته بالجنة فضرب عمر بين ثديى بيده فخررت لاستى فقال : إرجع يا أبا هريرة فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأجهشت بكاء وركبنى عمر فإذا هو على أثرى فقال لى رسول الله ﷺ : «مالك يا أبا هريرة ؟» قلت : لقيت عمر فأخبرته بالذى بعثنى به فضرب بين ثديىَّ ضربة خررت لاستى ! قال : إرجع فقال له رسول الله ﷺ : ياعمر ماحملك على مافعلت ؟ قال : يارسول الله بأبى أنت وأمى أبتعث أبا هريرة بنعليك من لقى

---

(١) صحيح : أخرجه البخارى (٧/٤٧٧) فتح .

يشد أن لا إله إلا الله مستقينا بها قلبه بشره بالجنة قال : نعم قال : فلا تفعل فأنى أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون قال رسول الله ﷺ : فخلهم[1].

عن أعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد أو عن أبى هريرة شك الأعمش قال : لما كانت غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقالوا : يارسول الله لو أذنت لنا ذبحنا نواضحنا فأكلنا وأدهنا ، فقال لهم رسول الله ﷺ إفعلوا قال فجاء عمر فقال : يارسول الله إنهم إن فعلت قل الظهر ولكن ادعهم فليأتوا بفضل أزوادهم ثم ادع لهم عليها بالبركة لعل الله عز وجل أن يجعل فى ذلك فقال رسول الله ﷺ نعم فدعا رسول الله ﷺ بنطع فبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم ، فجعل الرجل يجئ بكف ذُرة والآخر بكف تمر والآخر بكسره حتى اجتمع من ذلك على النطع شئ يسير ثم دعا ﷺ بالبركة ثم قال خذوا فى أوعيتكم فأخذوا فى أوعيتهم حتى ماتركوا فى المعسكر وعاء إلا ملأوه ، فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله ﷺ (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنى رسول الله لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاك فيحجب عن الجنة)[2].

وعن ابن عباس (رضى الله عنه) أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله إن امرأة جاءت تبايعنى فأدخلتها الدويح[3] فأصبت منها دون الجماع فقال : ويحك لعلها مغيبة فى سبيل الله ؟ ونزل القرآن : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴿١١٤﴾ ﴾ [سورة

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١/٥٩ - ٦٠ رقم ٣١).

(٢) صحيح : أخرجه البخارى فى «الجهاد» باب «حمل الزاد فى الغزو» ومسلم (١/٥٦ - ٥٧ رقم ٢٧) وأحمد (٣/١١) والبيهقى فى الدلائل (٦/١٢٠).

(٣) الدويح : البيت الكبير من الشعر

هود] إلى آخر الآية ، فقال : يارسول الله ألى خاصة أم للناس عامة ؟ فضرب صدره يعنى عمر بيده وقال : ولا نعمة عين بل للناس عامة فقال رسول الله ﷺ (صدق عمر)(١).

عن عبيدة قال : جاء عيينة بن حصن والأقرع بن حابس إلى أبى بكر رضوان الله عليه فقالا : يا خليفة رسول الله إن عندنا أرضاً سبخة ليس فيها كلأ ولا منفعة فإن رأيت أن تقطعنا لعلنا نحرثها أو نزرعها لعل الله أن ينفع بها بعد اليوم فقال أبو بكر لمن حوله ما تقولون ؟ فيما قالا إن كانت أرضاً سبخة لا ينتفع بها ؟

قالوا : نرى أن تقطعهما إياها ، لعل الله ينفع بها بعد اليوم فاقطعهما إياها وكتبت لهما كتاباً بذلك قال : وأشهد عمر وليس فى القوم فانطلقا إلى عمر يُشهدانه فوجداه قائماً يهنأ بعيراً له فقالا : إن أبا بكر قال أشهد بما فى هذا الكتاب فيقرأ عليك أو تقرأ ؟ فقال : أنا على الحال الذى تريانى فإن شئتما فاقرأ وإن شئتما فانتظرا حتى أفرغ فأقرأ عليكما قالا : بل نقرأ فقرأ فلما سمع ما فى الكتاب تناوله من أيدهما ثم تفل عليه فمحاه وقال مقالة شينة فقال : إن رسول الله ﷺ كان يتألفكما والإسلام يومئذ ذليل وأن الله قد أعز الإسلام فاذهبا فاجهدا جهدكما لا رعى الله عليكما إن رعيتما قال : فأقبلا إلى أبى بكر وهما يتذمران فقالا : والله ماندرى أنت الخليفة أم عمر فقال : لا بل هو لو كان

(١) إسناده ضعيف : رواه أحمد (١/٢٤٥ و ٢٧٠ و ٢٧١) وفيه على بن زيد ابن جدعان وهو ضعيف ، قال الهيثمى فى «المجمع» (٧/٣٨) رواه أحمد والطبرانى وفيه على بن زيد وهو سئ الحفظ وبقية رجاله ثقات ، وقال الحافظ فى «التقريب» : ضعيف . والحديث له أصل فى الصحيحين من رواية ابن مسعود ، فقد رواه البخارى (٦/٢٨٦) فتح ، ومسلم (٢٧٦٣) وأبو داود (٤٤٦٨) وأحمد (١/٣٨٦ ـ ٤٠٦ ـ ٤٣٠) والترمذى (٩٣١٢/ عن ابن مسعود .

شاء قال : فجاء عمر وهو مغضب فوقف على أبى بكر فقال : أخبرنى عن هذه الأرض التى أقطعتها هذين أرض هى لك أم للمسلمين عامة ؟ فقال : بل للمسلمين عامة ، فقال ماحملك على أن تخص بها هذين ، قال : استشرت هؤلاء الذين حولى فأشاروا على بذلك ، قال : فإذا استشرت هؤلاء الذين حولك فكل المسلمين أوسعتهم مشورة ورضى فقال أبو بكر رضى الله عنه كنت قلت لك إنك أقوى على هذا منى ولكنى غلبتنى[1] .

مصارعته الشياطين

وخوف الشياطين منه

قد سبق قول الرسول الله ﷺ لعمر : «ماسلك عمر فجاً إلا وسلك الشيطان غير فجه» .

عن الشعبى قال : قال عبد الله بن مسعود (رضى الله عنه) لقى رجل من أصحاب رسول الله ﷺ الشيطان فى زقاق من أزقة المدينة فدعاه الجنى إلى الصراع فصرعه الأنسى فقال : دعنى ففعل فقال : هل لك فى المعاودة ففعل فصرعه فجلس على صدره فقال : أراك سخيناً ضئيلاً كأن ذراعيك ذراعاً كلب فكذلك أنت أو الجن كذلك ؟ قال : أى الجنى والله أنى منهم فقال الأنسى : ما أنا بالذى أدعك حتى تخبرنى ما الذى يعيذنا منكم ؟ قال الجنى آية الكرسى فقال رجل لعبد الله بن مسعود ومن ذلك الرجل ؟ عمر هو ؟ فعبس وبسر (عبد الله بن مسعود) وقال : ومن عسى أن يكون إلا عمر[2] .

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة والبخرى فى تاريخه وابن عساكر والبيهقى (٧/٢٠) وقال فى الاصابة (٣/٥٥) رواه البخارى فى «تاريخه الصغير» ويعقوب بن سفيان وقال : باسناد صحيح .

(٢) رواه الطبرانى وفيه انقطاع .

عن سالم عن عبد الله قال : أبطأ خبر عمر رضوان الله عليه على أبى موسى رحمه الله فأتى امرأة فى بطنها شيطان فسألها عنه - عن عمر - فقالت : حتى يجئ شيطانى فجاء فسألته عنه فقال : تركته مؤتزراً بكسائه يهيئ ابل الصدقة وذاك عمر لا يراه شيطان إلا خر لمنخريه الملك بين عينيه وروح القدس ينطق على لسانه.

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : كان النبى ﷺ يحدثنا عن الدجال أنه يسلط على نفس يقتلها ثم يحييها فيقول : ألست بربك ؟ فيقول : ما رأيت قط أكذب منك الساعة قال : فما كنا نراه إلا عمر بن الخطاب حتى مات أو قتل.

فى ذكر انزعاجه لموت رسول الله ﷺ وانكاره موته

عن ابن شهاب قال : أخبرنى أنس قال : لما توفى رسول الله ﷺ بكى الناس فقام عمر بن الخطاب خطيباً فى المسجد فقال : لا أسمعن أحداً يقول أن محمداً قد مات ولكنه أرسل الله إليه كما أرسل موسى بن عمران فلبث عن قومه أربعين ليلة والله إنى لأرجو أن تقطع أيدى رجال وأرجلهم يزعمون أنه قد مات(1).

عن ابن شهاب قال : أخبرنى أبو سلمة أن عائشة رضى الله عنها أخبرته أن أبا بكر رضوان الله عليه أقبل على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغشى بثوب

---

(1) صحيح : أخرجه البخارى (٨/١١٨ - ١١٩) فتح ، وابن سعد (٢/٢٠٦).

حبرة فكشف عن وجهة ثم أكب عليه وقبله وبكى ثم قال : بأبى أنت وأمى يارسول الله، والله لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التى كتبت عليك فقد متها(١).

قال : وحدثنى أبو سلمة عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه أن أبا بكر وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال : إجلس يا عمر فقال أبو بكر رضوان الله عليه : أما بعد فمن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت قال الله عز وجل ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) ﴾ [آل عمران : ١٤٤]

وقال والله لكأن ماعلموا أن نزلت هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها . قال سعيد بن المسيب رحمه الله أن عمر قال : والله ما هو إلا سمعت أبا بكر تلاها فعرفت حتى ماتقلنى رجلاى وحتى أوهويت إلى الأرض(٢) .

فتح فارس وما كان بعد خالد

رحل خالد عن العراق كما أمره أبو بكر وشيعه المثنى ثم قال له خالد : ارجع إلى سلطانك غير مقصر ولا وان ، وقد استقام أمر فارس على رأس سنة من مقدم خالد على شهر براز بن أردشير بن شهريار ، فوجه إلى المثنى جنداً كثيفاً بقيادة هرمز جانويه ومعهم فيل . وكتبت المسالح إلى المثنى بإقبال ذلك الجيش ، فخرج المثنى من الحيرة للقاء الجيش وضم إليه مسالحه وجعل على

(١) صحيح : أخرجه البخارى (١١٨/٨ ـ ١١٩) فتح ، وابن سعد (٢٠٦/٢).

(٢) صحيح : أخرجه البخارى (١١٨/٨ ـ ١١٩) فتح ، وابن سعد (٢٠٦/٢).

مجنبتيه أخويه : المعنى ومسعوداً وأقام ببابل . وأقبل هرمز وعلى مجنبتيه الكوكبذ والخوكبذ ، وقد كتب شهر بزار إلى المثنى كتاباً يقول فيه :

«إنى قد بعثت إليك جنداً من وخش أهل فارس ، إنما هم رعاة الدجاج والخنازير ولست اقاتلك إلا بهم» فأجابه المثنى : إنما أنت أحد رجلين إما باغ فذلك شر لك . وإما كاذب فأعظم الكذابين عقوبة وفضيحة عند الله وفى الناس الملوك . وأما الذى يدلنا عليه الرأى فإنكم إنما اضطررتم إليهم فالحمد لله الذى رد كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير ، فجزع الفرس لذلك وقالوا لملكهم : جرأت علينا عدونا بالذى كتبت به إليهم ، فإذا كاتبت أحداً فاستشر .

التقت جموع الفرس وجموع المسلمين ببابل بعدوة الصُّراة الدنيا وتقاتلوا قتالاً شديداً ، ثم إن المثنى قصد الفيل فى جمع من المسلمين وكان يفرق بين الصفوف والكراديس فأصابوا مقتله فانهزم الفرس وتبع المسلمون فلَّهم حتى جازوا به مسالحهم وهم يقتلون ويأسرون فيهم حتى انهزموا إلى المدائن .

وقد رأى المثنى أن الفرس غير تاركيه ولابد لهم من مناجزته بجنود لا قبل له بهم ، فخف إلى المدينة ليخبر أبا بكر بالمسلمين وما تم لهم وما يتوقعون ويستأذنه فى الاستعانة بأهل الردة ممن قد ظهرت توبته وندمه ، وكان المثنى قد خلف على من كان معه بشير بن الخصاصية ، ووافق انصراف المثنى إلى المدينة اضطراب الفرس فى شأن ملكهم ، فشغلهم ذلك عن المثنى وجيشه إلى أن عاد من وجهه ذاك .

ولما قدم المثنى على أبى بكر وجده قد اشتد به المرض ، فلما أخبره الخبر قال : علىَّ بعمر ، فلما حضره قال : إنى لأرجو أن أموت فى يومى هذا ، فإن أنا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى ولا تشغلنكم مصيبة وإن عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم ؛ وقد رأيتنى متوفى رسول الله ﷺ وما صنعت

ولم يصب الخلق بمثله ، ووالله لو أنى أبى عن أمر الله ورسوله لخذلنا ولعاقبنا واضطرمت المدينة ناراً ، وإن فتح الله على أمراء الشام فأرد أصحاب خالد إلى العراق فإنهم أهله وولاة أمره وحده وأهل الضراوة بهم والجرأة عليهم .

فلما فرغ عمر من أبى بكر نوب الناس مع المثنى قبل صلاة الفجر من الليلة التى مات فيها أبو بكر ، ثم أصبح فبايع الناس ، ولما فرغ من أمر البيعة عاد فندب الناس إلى فارس .

كان الناس قد وقر فى نفوسهم عظم ملك الفرس وقوة شوكتهم وظفرهم فى الحروب فى الجاهلية ، فكان حرب الفرس أثقل شئ على نفوسهم فتثاقلوا فلم ينتدب أحد لذلك الوجه ، ومازال عمر يندب الناس إلى اليوم الرابع ، فكان أول منتدب أبو عبيدة بن مسعود الثقفى وسعد بن عبيد الأنصارى ، ثم تتابع الناس بعد ذلك وتكلم المثنى بن حارثة فقال : أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه، فإنا قد تبحبحنا ريف فارس وغلبناهم على خير شقّى السواد وشاطرناهم ونلنا منهم واجترأ من قبلنا عليهم ولها إن شاء الله ما بعدها ، وقام عمر فقال : إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النُّجعة ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك . أين الطراء المهاجرون عن موعود الله ! سيروا فى الأرض التى وعدكم الله فى الكتاب أن يورثكموها ، فإنه قال : ﴿ ليظهره على الدين كله ﴾ والله مظهر دينه ومعز ناصره ومولى أهله مواريث الأمم ، أين عباد الله الصالحون ؟

فكان بعد ذلك انتداب أبى عبيد . ثم ثنى سعد بن عبيد أو سليط بن قيس.

لما اجتمع ذلك البعث قيل لعمر : أمِّر عليهم رجلاً من السابقين من المهاجرين أو الأنصار فقال : والله لا أفعل إن الله إنما رفعكم بسبقكم وسرعتكم إلى العدو فإذا جبنتم وكرهتم اللقاء فأولى بالرياسة منكم من سبق إلى الدفع وأجاب إلى الدعاء ، والله لا أؤمر عليهم إلا أولهم انتداباً . ثم دعا أبا عبيد

وسليطاً وسعداً فقال : أما إنكما لو سبقتماه لوليتكما ولأركتما بها إلى ما لكما من القُدْمة . فأمر أبا عبيد على الجيش وقال له : اسمع من أصحاب النبى ﷺ وأشركهم فى الأمر ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين ، فإنها الحرب ، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث الذى يعرف الفرصة والكف .

عجل المثنى إلى عسكره وأبو عبيد بمن معه ، وكانوا خمسة آلاف ، فى أثره وصار أبو عبيد يستنفر من يمر به من العرب لقتال الفرس فأجابه بشر كثير وقد وصل المثنى إلى الحيرة فى عشر ليال وجاء أبو عبيد بعده بشهر .

النمارق

كانت الفرس مشغولة عن المسلمين بموت شهر بزار وصارت تولى وتعزل إلى أن عاد المثنى من المدينة إلى الحيرة ، وكان الفرس قد ولوا رستم أمر حرب المسلمين فكتب إلى دهاقين السواد أن يثوروا بالمسلمين دس فى كل رُستاق رجلا ليثور بأهله ، فبعث جابان إلى اليهقباذ الأسفل - فضم المثنى مسالحه وحذر . وعجل جابان فنزل النمارق ونزل المثنى بخفان حتى لا يقطع عليه خط الرجعة إلى أن قدم عليه أبو عبيد ونزل حتى جم الناس وما معهم من الظهر ، ثم تعبأ ونزل على جيش جابان بالنمارق فاقتتلوا قتالا شديداً ثم انهزمت الفرس وأسر جابان ومرادان شاه - فأما آسر مردان شاه فقتله ، وأما آسر جابان فقد خدعه جابان فقاله له : إنكم معاشر العرب أهل وفاء ، فهل لك أن تؤمنى وأعطيك كذا ؟ قال : نعم . قال : فادخلنى على ملككم حتى يكون ذلك بمشهد منه . ففعل . وأجاز أبو عبيد أمانه . ولما علم بنو تميم أنه الرئيس قالوا لأبي عبيد اقتله . قال : ما ترونى فاعلاً معاشر ربيعة ؟ أيؤمنه صاحبكم وأقتله أنا ؟ معاذ الله ما لزم بعض المسلمين فقد لزمهم كلهم . وكان آسره مطر بن فضة التميمى .

قسم أبو عبيد الغنائم وبعث بالخمس إلى عمر ثم نادى بالرحيل إلى كسكر حيث ينزل نَرْسِي وهو ابن خالة كسرى . وكسكر قطيعة له وقد ضم إليه جل جيش جابان وقد وجه إليه رستم وبوران بجيش على رأسه الجالينوس حين بلغهما هزيمة جيش جابان ، فرجا نرسى ومن معه أن يدركه المدد قبل منازلة المسلمين له . ولكن أبا عبيد عاجلهم وكان المثنى على تعبيته التى لقى بها جابان فاقتتلوا أسفل من كسكر بمكان يقال له : السقاطية قتالا شديداً فانهزمت الفرس وفر نرسى وغلب على عسكره وأرضه ، وأخرب أبو عبيد ما كان حول عسكرهم من كسكر وجمع الغنائم ، فوجد من الأطعمة شيئاً كثيراً وأخذت خزائن نرسى فلم يكونوا بشئ مما فى خزائنه أفرح منهم بالنرسيان لأنه كان يحميه . لا يأكله بشر ولا يغرسه سواه وأهل بيته أو ملك الفرس ، فاقتسموه وجعلوا يطعمونه الفلاحين ، وبعثوا بخمسه إلى عمر وكتبوا : إن الله أطعمنا مطاعم الأكاسرة يحمونها وأحببنا أن تروها لتذكروا أنعام الله وأفضاله .

وأقام أبو عبيد بكسكر وسرح المثنى وغيره من القواد يغيرون على النواحى ويفلون عصائب الجنود التى كانت متفرقة هناك ، وصالحه أهل بعض تلك النواحى ، وجاء فروخ وفراونداذ من أهل الصلح إلى أبى عبيد بآنية فيها أطعمة فارس من الألوان والأخبصة وغيرها فقالوا : هذه كرامة أكرمناك قرى لك . قال : أأكرمتم الجند وقريتموهم مثله ؟ قالوا : لم يتيسر ونحن فاعلون . قال: لا حاجة لنا فى ما لا يسع الجند ، وقدم إليه آخرون مثل ذلك ، فأبى وقال : بئس المرء أبو عبيد إن صحب قوماً من بلادهم أهرقوا دمهم دونه أو لم يهريقوا فاستأثر عليهم بشئ يصيبه ؛ لا والله لا يأكل مما أفاء الله عليهم إلا مثل ما يأكل أوساطهم .

وقعة الجسر

جاء خبر الهزيمة إلى رستم فجهز جيشاً فجهز جيشاً آخر عظيماً وعليه بَهْمنْ جاذويه وأعطاه الراية الكبرى لفارس وهى المسماه درفش كابيان وعرضها ثمانية أذرع وطولها اثنا عشر ذراعا من جلود النمر . وأقبل أبو عبيد ونزل المروحة ، موضع البرج والعاقول ، فبعث إليه بهمن : إما أن تعبروا إلينا وندعكم والعبور ، وإما تخلوا بيننا وبين العبور . فقال من مع أبى عبيد : دعهم يعبرون إلينا فأبى ولج وقال : لا يكونون أجرأ على الموت منا ، فعبروا على جسر نصبوه فى مكان ضيق المطرد والمذهب فاقتتلوا يوماً ، حتى إذا كان آخر النهار واستبطأ رجل من ثقيف الفتح ألف بين الناس فتصافحوا بالسيوف وقصد أبو عبيد الفيل وضربه فخبط الفيل أبا عبيد وقد أسرعت السيوف فى أهل فارس وأصيب منهم ستة آلاف . فلما خبط أبو عبيد انهزم المسلمون وتموا على هزيمتهم وعمد رجل من ثقيف إلى الجسر فقطعه . فانتهى الناس إلى الجسر والسيف تأخذهم من خلفهم فتهافتوا فى الفرات فأصيب من المسلمين أربعة آلاف من بين غريق وقتيل . وقام المثنى من خلف الناس فى أهل النجدة يحمون ظهورهم ويدافعون عنهم حتى أصلح الجسر وعبر الناس ثم عبر بمن معه إلى المروحة وهو جريح ومعه عدد من حماة الناس جرحى وهذه عاقبة اللجاج والمجازفة فى الحروب .

كان المثنى قد نصح لأبى عبيد وقال له : إنك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجبرية ، تقدم على قوم قد جرءوا على الشر فعلموه وتناسوا الخير فجهلوه ، فانظر كيف تكون واخزن لسانك ولا تفشين سرك ، فإن صاحب السر ضبطه متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه وإذا ضيعه كان بمضيعة .

هرب من الناس بشر كثير على وجوههم وافتضحوا فى أنفسهم واستحيوا مما نزل بهم وبلغ عمرَ من بعض من أوى إلى المدينة فلم يعنف الفارين وخفف عنهم مصابهم وقال : عباد الله اللهم إن كل مسلم فى حلّ منى ، أنا فئة كل مسلم . يرحم الله أبا عبيد : لو كان عبر فاعتصم أو تحيز إلينا ولم يستقتل لكنا له فئة .

أراد أهل فارس العبور للمسلمين لما رأوا من قتلهم وضعفهم بمن قتل منهم أو شرد وأحبوا أن يستأصلوهم ، فدهمهم خبر أهمهم وصرفهم عن نيتهم. وهو أن الناس بالمدائن قد ثاروا برستم ونقضوا الذى بينهم وبينه فصاروا فريقين: الفهلوج على رستم ، وأهل فارس على الفيرزان ، وقد كان بين وقعة اليرموك ووقعة الجسر أربعون يوماً .

وقد أخطأ أبوعبيد رحمه الله فى عبور النهر ومخالفته أصحابه ، وقد أمره عمر بأن يستشيرهم وينتهى إلى رأيهم وهم أصحاب رسول الله ﷺ وبخاصة سليط بن عمرو ، ولم يسمع نصيحة المثنى وهو رجل قد خرجته الوقائع وزاده علما ما رآه من خالد إذ كان معه ، وخطأ ثان ما صنعه مرثد الثقفى من قطع الجسر على الناس ، فإن العدو لم يحدث بهم من النكاية ما أحدثه فيهم بعمله ، فكان الصديق الجاهل ، ولا ينفعه اعتذاره بأن أراد أن يقاتل الناس على ما قاتل عليه أمراؤهم ، فإن لكل مقام مقالا ومثل هذا القول لا يصلح فى وقت الجولة ، وإنما يقال للقوم وصفوفهم ثابتة وآذانهم مصغية وهم فى سعة من التدبر وإجالة الرأى ، فأما وقت الهزيمة فلا كلام .

البويب

إن وقعة الجسر قد أكلت جيش المسلمين وعلم عمر أن ليس بالقوم امتناع ولا قوة إذا نازلهم العدو فشرع يبعث الإمداد إلى المثنى منهم جرير بن عبد الله البجلى فى بجيلة وعصمة بن الحارث فيمن تبعه من قومه بنى ضبة ، وكتب إلى أهل الردة ولم يوافه فى شعبان أحد إلا رمى به المثنى فتوافى المنجدون إليه فى جمع عظيم ، وبلغ رستم والفيرزان ما عليه المثنى وما ينتظر من المدد ، فاجتمعا على أن يبعثا مهران الهمذانى إلى الحيرة . وعلم المثنى فخف إلى البويب لموعد من كان بالحيرة من المسلمين وخرجوا منها حين علموا بجند مهران وقد توافت جنود المثنى ومددهم إلى ذلك المكان مما يلى موضع الكوفة وبينه وبين مهران النهر ، فكاتبه مهران يخيره فى العبور ولكن المثنى رأى العبرة فى أبى عبيد وجيشه فلم يرض أن يكون هو الذى يعبر . فعبر مهران بجنوده وكان ذلك فى رمضان . فنادى المثنى انهدوا لعدوكم . وكان قد عبأ جيشه تعبية خالدية ، وخطب المثنى فى المسلمين فقال : إنكم قوم صوام والصوم مرقة مضعفة ، وإنى أرى من الرأى أن تفطروا ثم تقووا بالطعام على قتال عدوكم فأفطروا . ورأى رجلا يستوفر ويستقتل من كردوسة فقال : ما شأنه ؟ قالوا : قد فر يوم الجسر ويريد أن يستقتل ، فقرعه بالرمح وقال : لا أبا لك الزم موقفك فإذا أتاك قرنك فأغنه عن صاحبك ولا تستقتل . قال : إنى بذلك لجدير . واستقر ولزم الصف . وسار المثنى على الرايات يقف بها راية راية يحضهم ويأمرهم بأمره ويهزهم بأحسن ما فيهم ويقول لكل قوم : إنى لأرجو أن لا تؤتى العرب اليوم من قبلكم ، والله ما يسرنى اليوم لنفسى شئ إلا وهو يسرنى لعامتكم . فيجيبونه بمثل ذلك .

وأنصفهم المثنى فى القول والفعل خلط الناس فى المكروه والمحبوب فلم يستطع أحد أن يعيب له قولا أو عملا ، وقال : إذا كبرت الرابعة فاحملوا فأعجلهم أهل فارس عن التكبيرة الأولى وحمى القتال بين الفريقين واشتد فعمد المثنى إلى أنس بن هلال وقال له : إنك امرؤ عربى وإن لم تكن على دينى فإذا رأيتنى حملت على مهران فاحمل معى ، وذمر قوما معه وأوصى القواد بأمره وبأن لا يزايلوا أمكنتهم لئلا ينكشف الجيش وحمل المثنى وخالط القوم وأوغل فى صفوفهم وصبر المسلمين صبراً جميلاً . ولم يزل المثنى ومن معه فى قلب الفرس حتى أفاه فقويت مجنبات المسلمين على من يليهم وصار المثنى يذمرهم ويحضهم حتى هزم الفرس وسبقهم المثنى إلى جسرهم فقطعه لئلا يعبره أحد منهم .

كان عمل المثنى هذا خطأ ، لأن القوم وإن كانت الهزيمة قد حقت عليهم فى عدد كبير وقوة عظيمة إذا تتام فلُّهم فى مكان ووجدوا من يقودهم وهم واجدون لا محالة ، عادت لهم قوتهم وثاب إليهم نشاطهم إلى القتال ويصيرون بعد ذلك كالشوكة فى جنب جيش المسلمين .

قتل فى هذه الوقعة مهران ، قتله بعض فتيان تغلب وكانوا مع المسلمين ، وتمت الهزيمة على الفرس بقتله ، وأخذ جل المنهزمين يصعد ويصوب إذ جلاهم المثنى عن الجسر وخيل المسلمين تتبعهم ويقتلون منهم فلم تكن وقعة من الوقائع أبقى رمة منها . وقد أصيب من حماة المسلمين عدد كبير بين قتيل وجريح ، ومما يؤثر عن المثنى حكمه على نفسه فى قطعه الجسر وإخراجه العدو ـ قال : لقد عجزت عجزة وقى الله شرها بمسابقتى إياهم إلى الجسر وقطعه حتى أحرجتهم ، فإنى غير عائد فلا تعودوا ولا تقتدوا بى أيها الناس فإنها كانت منى زلة . لا ينبغى إحراج أحد إلا من لا يقوى على الامتناع .

ثم أرسل فى أثر المنهزمين من اتبعهم حتى وصلوا إلى السيب - كورة من سواد الكوفة - بعد أن عقد لهم جسراً . وكانت هذه الوقعة من الوقائع الكبرى التى أوقعت الرعب فى قلوب أهل فارس ، واستمكن المسلمون من الغارة فى السواد وانتقضت مسالح الفرس وتشتت أمرهم فى تلك الناحية واجترأ المسلمون عليهم وشنوا الغارة عليهم فيما بين سورا وكسكر والصراة والفلاليج والاستانات . وقد قال عروة بن زيد الخيل فى الوقعة والطبرى ينسبها إلى الأعور الشنى :

هاجت لعروة دار الحى أحزانا واستبدلت بعد عبد القيس همدانا
وقد أرانا بها والشمل مجتمع إذ بالنخيلة قتلى جند مهرانا
أيام سار المثنى بالجنود لهم فقتل القوم من رجل وركبانا
سما لأجناد مهران وشيعته حتى أبادهم مثنى ووحدانا
ما إن رأينا أميراً بالعراق مضى مثل المثنى الذى من آل شيبانا
إن المثنى الأمير القرم لا كذب فى الحرب أشجع من ليث بخفانا

وقد كان عمر من أول أمره حريصاً على تعرف حال المسلمين والوقوف على ما عليه الجند من الشئون . فكان يعهد إلى قوم من المسلمين بالكتاب إليه بكل شئونهم وأحوالهم حتى إذا رأى خللا خطلا بادرهم بما يصلهم لا تأخذه فى ذلك هوادة - لأن الجند والرعية إنما يؤتون من قبل الإهمال والاستهانة بالخلل حتى يقوى ضعيفه ويعظم صغيره .

من ذلك أن المثنى أرسل رجلين من بكر بن وائل فى جند للإغارة على صفين وبها النمر وتغلب على تساند ، فأغار جند المسلمين على القوم حتى أقحموا طائفة منهم فى الماء فناشدوهم أن يكفوا عنهم وينادونهم الغرق الغرق .

وأخذ عتيبة وفرات البكريان وهما قائدا الجند يذمران الناس ويناديانهم : تغريق بتحريق يذكرانهم بما كان من النمر وتغلب فى أيام الجاهلية إذ حرقوا قوما من بكر بن وائل فى إحدى الغياض.

وبعد أن فرغوا من أمر القوم رجعوا إلى المثنى ، وقد كانت لعمر عيون فى كل جيش فكتب إليه العين بما قال عتبة وفرات يوم بنى تغلب والنمر على صفين ، فاستقدمهما أمير المؤمنين وأخبراه بأنهما قالا ذلك على وجه أنه مثل وأنهما لم يقولا ذلك على وجه طلب ذَحْل الجاهلية فاستحلفهما على ذلك فحلفا أنهما ما أرادا بذلك إلا المثل وإعزاز الإسلام ، فقبل منهما وصدقهما وردهما إلى المثنى . فهكذا يكون حرص الأمراء على صيانة أخلاق الرعية وحياطتها من تسرب الفساد إليها .

كان المثنى اتخذ دليلين : أحدهما أنبارى والآخر حيرى ، فدله الأنبارى على الخنافس وكانت هذه السوق عظيمة يؤمها تجار فارس والسواد فانتهبها المثنى . ثم قدم على سوق بغداد ، أسرى إليه من ليلته ثم صبح السوق فملأ أصحابه أيديهم من الذهب والفضة وحر المتاع وتفرق الناس عن بضائعهم وقتل من كانوا يخفرون السوق من ربيعة وقضاعة ، ثم عاد إلى معسكره ، وكانت عسكره تصوّب وتصعد ولا حامى للبلاد منهم .

ولما بلغ سويد بن قطبة العجلى ما أتيح للمثنى بن حارثة من الظفر يوم مهران أحب أن يكون له من الفخر ما للمثنى فكتب إلى عمر يخبره بوهن الناحية التى هو فيها ويسأله أن يمده بجيش يغزو به الفرس فى ذلك الوجه . فندب عمر لذلك الوجه عتبة بن غزوان المازنى من أصحاب رسول الله ﷺ وأمره على جيش فيه ألفا مقاتل من المسلمين وكتب إلى سويد بنقطبة يأمره بأن ينضم إلى عتبة ، وقد خرج عمر لتشييع الجيش وأوصى عتبة فقال : «يا عتبة إن

إخوانك من المسلمين قد غلبوا على الحيرة وما يليها ، وعبرت خيلهم الفرات حتى وطئت بابل مدينة هاروت وماروت ومنازل الجبارين ، وإن خيلهم اليوم لتغير حتى تشارف المدائن ، وقد بعثتك فى هذا الجيش فاقصد قصد أهل الأهواز فاشغل أهل تلك الناحية أن يمدوا أصحابهم بناحية السواد عل إخوانكم الذين هناك وقاتلهم مما يلى الأبلة» فسار عتبة حتى أتى مكان البصرة ، ولم تكن هناك يومئذ إلى الخريبة . وكانت منازل خربة وبها مسالح الفرس تمنع الأعراب من العبث فى تلك الناحية . وموضع البصرة إذ ذاك حجارة سود وحصى . ثم سار حتى نزل على الأبلة وافتتحها عنوة بعد قتال شديد وكتب إلى عمر رضى الله عنه : أما بعد ، فإن الله وله الحمد فتح علينا الأبلة وهى مرقى سفن البحر من عمان والبحرين وفارس والهند والصين . وأغنمنا ذهبهم وفضتهم وذراريهم وأنا كاتب إليك ببيان ذلك إن شاء الله .

ثم إن عتبة سار حتى أتى إلى المذار وأظهره الله على أهله ووقع مرزبانه فى يده ، فضرب عنقه وأخذ بزيه وفى منطقته الزمرد والياقوت وأرسل بذلك إلى عمر . وقد تباشر المسلمون بذلك وأكبوا على رسول عتبه يسألونه عن أهل البصرة (وكان ذلك ابتداء اختطاطها ونزول المسلمين بها) فقال : إنهم يهيلون الذهب بها هيلا فرغبهم ذلك فى القدوم إليها ، كان ذلك قبل تمصير البصرة.

ثم خرج عتبة إلى فرات البصرة فافتتحها ثم إلى دست ميسان فافتتحها بعد أن قاتل مرزبانها وقتله وهزم من بها من العجم ثم إلى إبرقباذ فافتتحها كذلك ثم عاد إلى مكانه من البصرة . وكاتب عمر يستأذنه فى العود إلى المدينة فأذن له . ثم أرسل بعده المغيرة بن شعبة بالبصرة مدة ثم استبدل به أبا موسى الأشعرى .

أمر القادسية

نظر الفرس فيما دهمهم من أمر العرب الذين يجوسون خلال ديارهم ويفضون مسالحهم ويغيرون على أسواقهم ويحتوون متاجرهم وأمتعتهم ضيقوا على الفرس السبل فى الوجه الذى هم فيه . فقالوا لرستم والفيرزان : ما تنتظرون والله إلا أن ينزل بنا ونهلك ، والله ماجر هذا الوهن علينا غيركم يا معشر القواد ، لقد فرقتم بين فارس وثبطتموهم عن عدوهم، والله لولا أن فى قتلكم هلاكنا لعجلنا لكم بالقتل الساعة ، ولئن لم تنتهو لنهلكنكم ثم نهلك وقد اشتفينا منكم وإنه لم يبلغ من خطركما إن تعزكما فارس على ما أنتم عليه وأن تعرضاها للهلكة . ما بعد بغداد وساباط وتكريت إلا المدائن ، والله لتجتمعان أو لنبدأن بكما قبل أن يشمت بنا شامت .

تفاوض الرجلان ومن معهما من وجوه فارس فى الأمر وعلموا أن كلام أهل فارس الذين كلموهم حق وقالوا : إنما أتينا من تمليك النساء علينا فقالا لبوران بنت كسرى ـ وكانت عدلا فى فارس تلى ملكهم مدة الاختلاف إلى أن يتفقوا ـ اكتبى لنا نساء كسرى وسراريه ونساء آل كسرى وسراريهم ففعلت وأرسلت إليهن فلم يبق منهن امرأة إلا أتوا بها فأخذوهن بالرجال ووضعوا عليهن العذاب يستدلونهن على رجل من آل كسرى . فقلن لم يبق إلا ولد يدعى يزدجرد من ولد شهريار بن كسرى وأمه من أهل بادوريا ، فأتوا بها فدلتهم عليه ، وكان ابن إحدى وعشرين سنة ، فاطمأنت فارس واستوثقوا وملكوه عليهم وتبارى الرؤساء فى طاعته ومعونته . فأخذ أمر القوم بعزيمة وهمة وجيش الجيوش وكتب الكتائب وسمى الجنود لكل مسلحة من المسالح التى كانت لكسرى وسد الثغور وسير جنداً إلى الحيرة والأنبار .

أعلم بَادورياً المثنى علم القوم فكاتب بشأنهم وما ينتظر من انتفاض من دان له بالطاعة ممن بين ظهرانيهم . فلم يصل الكتاب إلى عمر حتى انتفض أهل السواد وكفروا من لم يكن فى يده عهد ومن كان له عهد ، فخرج المثنى على حاميته حتى نزل بذى قار وتنزل الناس بالطف حتى جاءهم كتاب عمر وفيه: «أما بعد ، فاخرجوا من بين ظهرى الأعاجم وتفرقوا فى المياه التى تلى الأعاجم

الأعاجم على حدود أرضكم وأرضهم ولا تدعوا فى ربيعة أحداً من أهل النجدات ولا فارسا إلا اجتلبتموه ، فإن أتى طائعا وإلا حشرتموه . احملوا العرب على الجد إذ جد العجم فلتلقوا جدهم بجدهم ، فأقام المثنى بمن معه بذى قار ونزل الناس بالخل وشراف إلى غضى . حيال البصرة ، فكانوا فى أمواه العراق من أولها إلى آخرها مسالح بعضهم ينظر إلى بعض ويغيث بعضهم بعضا إن كان كون ، وذلك فى ذى القعدة سنة ١٣ هـ وكتب عمر ـ إلى عماله على الكور والقبائل ـ أن لا تدعوا أحداً له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأى إلا انتخبتموه ثم وجهتموه إلىّ والعجل العجل ، وكان ذلك فى ذى الحجة سنة ١٣ هـ فلم يقفل من حجه حتى وافته الجنود من كل وجه وناحية . فأما القبائل التى طرقها على مكة والمدينة فقد اجتمعوا عليه بالمدينة ، وأما من كان على أكثر من نصف الطريق من المدينة فقد لحق بالمثنى .

والذين وافوا عمر أخبروه فيمن وراءهم بالحث وترادف ورود الجنود إلى أن جاء المحرم سنة ١٤ هـ فخرج عمر بمن اجتمع إليه ماء يدعى صرار على ثلاثة أميال من المدينة فعكسر به ولا يدرى الناس ما يصنع عمر ، يسير بهم أم يرجع إلى المدينة ويؤمر رجلا آخر . وقد رغب الناس فى الوقوف على نيته .

كان الناس إذا أرادوا علم شئ من عمر فهابوا أن يسألوه رموه بعبد الرحمن بن عوف أو بعثمان بن عفان . وكانوا يدعون عثمان رديفاً - والعرب تقول ذلك للرجل يرجونه بعد رئيسهم - فإذا أعيا عليهما ذلك الأمر فزعوا إلى العباس بن عبد المطلب ، فلما أرادوا معرفة نيته كلموا عثمان . فقال لعمر : ما تريد ؟ فنادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس إليه . فأخبرهم الخبر وانتظر ما يشيرون به . فقال العامة : سر وسر بنا معك .

رأى عمر ذلك منهم والصواب فى خلافه ، غير أنه لم يرد أن يخالفهم لأول أمرهم ، بل دخل فى أمرهم إلى أن يخرجهم من ذلك الرأى برفق فقال : استعدوا وأعدوا فإنى سائر إلا أن يجئ رأى هو أمثل من ذلك . ثم بعث إلى أهل الرأى فاجتمع إليه وجوه أصحاب النبى ﷺ وأعلام العرب ، فقال : أحضرونى الرأى فإنى سائر . فاجمع ملؤهم على أن يبعث رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ ويقم عمر ويرميه بالجنود ، فإن كان الذى يشتهى من الفتح فهو الذى يريد ويريدون ، وإلا أعاد رجلا وندب جنداً آخر ، وفى ذلك ما يغيظ العدو ويقر عين المسلمين ويجئ نصر الله بإنجاز موعوده ، فنادى عمر . الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس إليه وأرسل إلى على - كرم الله وجهه - كان قد استخلفه على المدينة فأتاه ، وإلى طلحة وقد بعثه على المقدمة فرجع إليه وعلى المجنبتين الزبير وعبد الرحمن بن عوف ، فقام فى الناس فقال : إن الله عز وجل قد جمع على الإسلام أهله فألف بين القلوب وجعلهم فيه إخواناً ، والمسلمون فيما بينهم كالجسد لا يخلو منه شئ من شئ أصاب غيره ، وكذلك يحق على المسلمين أن يكونوا وأمورهم شوري بينهم بين ذوى الرأى منهم ، فالناس تبع لمن قام بهذا الأمر ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناس وكانوا فيه تبعاً لهم ومن أقام بهذا الأمر تبع لأولى رأيهم ما رأوا لهم ورضوا به لهم من مكيدة فى حرب كانوا فيه

تبعاً لهم . يا أيها الناس ، إني إنما كنت كرجل منكم حتى صرفني ذوو الرأى منكم عن الخروج . فقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلا ، وقد أحضرت هذا الأمر من قدمت ومن خلفت (يريد علياً وطلحة) .

أخذ عمر فى إجالة الرأى فى شأن من يتولى إمارة الجيش وقال : أشيروا على برجل . وكان سعد بن أبى وقاص على صدقات هوزان وقد كتب إليه عمر قبل ذلك بانتخاب ذوى النجدة والرأى والسلاح ، فجاء كتاب سعد إلى عمر وهو يستشير الناس فيمن يبعثه . يقول فيه : قد انتخبت لك ألف فارس كلهم له نجدة ورأى وصاحب حيطة يحوط حريم قومه ، إليهم انتهت أحساب قومهم ورأيهم . فلما قرأ عمر الكتاب قال القوم : قد وجدته . قال : من هو ؟ قالوا : الأسد عادياً ، سعد ابن مالك . فانتهى عمر إلى قولهم وأحضروه وأمره على حرب العراق ووصاه فقال : لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله ﷺ وصاحب رسول الله، فإن الله لا يمحو السئ بالسئ ولكنه يمحو السئ بالحسن، وليس من بين الله وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس فى ذات الله سواء الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الأمر الذى رأيت رسول الله ﷺ يلزمه ووصاه بالصبر ، وسرحه فيمن اجتمع إليه وهم أربعة آلاف ، وكان فى ذلك الجيش حد الأمة العربية وجدها ونجدتها ورأيها . فإن عمر لم يدع رئيساً ولا ذا رأى ولا ذا سلطة ولا ذا نجدة ولا خطيباً ولا شاعراً إلا رماهم به ، فكانت حاشيتا الجيش تضمان وجوه الناس وغررهم .

وقد أمر سعداً بالمسير وقال له : إذا انتهيت إلى زرود فانزل بها وهى رمال بين الثعلبية والخريمية على طريق الحاج إلى الكوفة . فلما نزل بها تفرق الجند فيما حولها من أمواه تميم وأسد . وانتظر اجتماع الناس وأمر عمر . وفى ذلك الوقت توفى المثنى ابن حارثة من جراحة كانت اصابته قبل ذلك .

وقد كان المثنى البادئ بأمر فارس من تلقاء نفسه ، وكان فارساً مغواراً صاحب مكيدة وغناء فى الحرب ، بصيراً بقيادة الجند ، شديد الحذر ، نافذ الرأى قوى الإرادة موفقاً فى الحرب ، مظفراً على العدو ، حريصاً على نصر الإسلام وظهور المسلمين على الفرس . فلما أحس بدنو أجله كتب وصيته إلى سعد بن أبى وقاص يبصره فيها بأمر العجم ويلقى إليه بزبدة الوقائع التى مخضها ونتيجة خبرته وتجاربه قبله . فأوصاه أن يقاتل الفرس على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب وأدنى مدر من أرض العجم ، فإن يظهر الله المسلمين عليهم فلهم ما وراءهم ، وإن تكن الأخرى فاءوا إلى فئة ثم يكونون أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم إلى أن يرد الله الكرة لهم ، وهى وصية أنضجتها الخبرة وسبكتها التجربة .

سار سعد من زرود حتى نزل بشراف وأرسل المغيرة بن شعبة إلى ناحية الأبلة من أرض العرب وكتب إلى عمر بمنزله وبمنازل الناس ، فكتب إليه عمر : إذا جاءك كتابى هذا فعشر الناس (اجعلوهم عشرة عشرة) وعرف عليهم وأمر على أجنادهم وعبهم ومر رؤساء المسلمين فليشهدوا وقدّرهم وهم شهود ، ثم وجههم إلى أصحابهم واعدهم القادسية واضمم إليك المغيرة فانضم إليه ودعا برؤساء القبائل فأتوه . فقدر الناس وعبأهم بشراف وعرف العرفاء فعرف على كل عشرة رجلا كما كانت العرافات أيام رسول الله ﷺ وأمر الأمراء ، وأمر على الرايات رجالا من أهل السابقة . وعشر الناس وأمر على الأعشار رجالا من الناس لهم وسائل فى الإسلام وولى الحروب رجالا فولى على مقدماتها ومجنباتها وساقتها ومجرداتها وطلائعها ورجلها وركبانها .

فكان امراء التعبية يلون الأمير ، ويليهم امراء الأعشار ثم أصحاب الرايات ثم القواد رؤوس القبائل ، ولم يفصل سعد من شراف إلا على تعبية

وبإذن من عمر ، وقد بعث عمر إليهم الأطباء وجعل على قضاء الناس عبد الرحمن بن ربيعة الباهلى وجعل إليه الأقباص وقسمة الفئ وجعل داعيتهم ورائدهم سلمان الفارسى .

فلما فرغ سعد من تعبيته وأعد لكل شئ من أمره جُماعاً ورأساً كتب إلى عمر بذلك . وكان فى تلك الأثناء - قبل إذن عمر فى الارتحال إلى القادسية - قدوم المعنى ابن حارثة وسلمى بنت خصفة إلى سعد بوصية المثنى ، وكان السبب فى إبطائهما مع أمر المثنى لهما بالتعجل إلى سعد أن الأزاذ مرد بعث قابوس بن قابوس بن المنذر إلى القادسية وقال : ادع العرب وأنت ملك على من أجابك كما كان آباؤك . لما علم المعنى به أسرى إليه حتى بيته ومن معه فأنامهم فشغله ذلك عن الإسراع إلى سعد بزرود فلما وقف سعد على الوصية ترحم وولى المعنى على عمله وأوصى بأهل بيته خيراً ، وتزوج سلمى بعد انقضاء عدتها . وكان فى جيش سعد بضعة وسبعون بدرياً وثلاثمائة وبضعة عشر ممن كانت له صحبة فيما بين بيعة الرضوان فما فوق ، وثلاثمائة ممن شهد الفتح ، وسبعمائه من أبناء الصحابة من جميع أحياء العرب .

وكان كتاب عمر إلى سعد وهو بشراف : «أما بعد . فسر من شراف نحو فارس بمن معك من المسلمين وتوكل على الله واستعن به على أمرك كله . واعلم فيما لديك أنك تقدم على أمة عددهم كثير وعدتهم فاضلة وبأسهم شديد وعلى بلد منيع وإن كان سهلاً كؤود لبحوره وفيوضه ودآدئه إلا توافقوا غيضاً من فيض ، وإذا لقيتم القوم أو أحداً منهم فابدوهم الشد والضرب ، وإياكم والمناظرة بجمعوهم ولا يخدعنكم فإنهم خدعة مكرة أمرهم غير أمركم إلا أن تجادهم . وإذا انتهت إلى القادسية والقادسية باب فارس فى الجاهلية - وهى أجمع تلك الأبواب لمادتهم ولما يردونه من تلك الأصول وهو منزل رغيب خصيب

حصين دونه قناطر وأنها ومقنعة ـ فتكون مسالحك على أنقابها ويكون الناس بين الحجر والمدر على حافات الحجر وحافات المدر والجرع بينهما . ثم إلزم مكانك فلا تبرحه فإنهم إذا أحسسوك أنغضهم ورموك بجمعهم الذى يأتى على خليهم ورجلهم وحدهم وجدهم فإن أنتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله ونويتم الأمانة رجوت أن تنصروا عليهم ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبداً إلا أن يجتمعوا وليست معهم قلوبهم . وإن تكن الأخرى كان الحجر فى أدباركم فانصرفتم من أدنى مدرة من أرضهم إلى أدنى حجر من أرضكم ثم كنتم عليها أجرأ وبها أعلم وكانوا عنها أجبن وبها أجهل حتى يأتى الله بالفتح عليهم ويرد لكم الكرة .

وكتب إليه أيضاً باليوم الذى يرتحل فيه من شراف ـ وكانت الكتب متواصلة مترادفة بين سعد وعمر رضى الله عنهما .

وقد جاء إلى سعد كتاب عمر يقول له فيه : «واكتب إلى أين بلغ جمعهم ومن رأسهم الذى يلى مصادمتكم . فإنه قد منعنى من بعض ما أردت الكتاب به قلة علمى بما هجمتم عليه والذى استقر أمركم عليه ، فصف لنا منازل المسلمين والبلد الذى بينكم وبين المدائن صفة كأنى أنظر إليها . واجعلنى من أمركم على الجلية».

فكتب إليه سعد بصفة البلدان يقول . «القادسية بين الخندق والعقيق وإن ما عن يسار القادسية بحر أخضر فى جوف لاح إلى الحيرة بين طريقين فأما أحدهما فعلى الظهر ، وأما الآخر فعلى شاطئ النهر يدعى الحضوض يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة ، وإن ما على يمين القادسية إلى الولجة فيض من فيوض مياههم وإن جميع من صالح المسلمين من أهل السواد قبلى إلب لأهل فارس ، قد خفوا لهم واستعدوا لنا وإن الذى أعدوا لمصادمتنا رستم فى أمثال له منهم ، فهم يحاولون إنغاضنا وإقحامنا ونحن نحاول إنغاضهم

وإبرازهم وأمر الله بعد ماض وقضاؤه مسلم إلى ما قدر لنا وعلينا ، فنسأل الله خير القضاء وخير القدر فى عافية» .

فكتب إليه عمر : «قد جاءنى كتابك وفهمته . فأقم بمكانك حتى ينغض الله لك عدوك واعلم أن لها ما بعدها ، فإن منحك الله أدبارهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن فإنه خرابها إن شاء الله » ثم كتب إلى سعد : «إنى قد أُلقى فى روعى أنكم إذا لقيتم العدو وهزمتموهم فاطرحوا الشك وآثروا التقية عليه فإن لاعب أحد منكم أحداً من العجم بأمان أو قرفة بإشارة أو بلسان كان لا يدرى الأعجمى ما كلمه به وكان عندهم أمانا فأجروا ذلك له مجرى الأمان وإياكم والضحك والوفاء الوفاء ، فإن الخطأ بالوفاء بقية وإن الخطأ بالغدر الهلكة وفيها هنكم وقوة عدوكم وذهاب ريحكم وإقبال ريحهم . واعلموا أنى أحذركم أن تكونوا شيناً على المسلمين وسبباً لتوهينهم .

ولما نزل سعد عذيب الهجانات بث الغارات وكان من ذلك سرية فيها الشماخ الشاعر القيسى فى ثلاثين معروفين بالنجدة والبأس وأميرهم بكير بن عبد الله الليثى وسرحهم فى جوف الليل وأمرهم بالغارة على الحيرة فسروا حتى جاوزوا السليحين وقطعوا جسرها يريدون الحيرة فسمعوا جلبة فأحجموا عن الإقدام وأقاموا كميناً فمرت بهم خيل تقدم تلك الغوغاء فتركوها فنفذت الطريق . وإذا أخت أزاد مرد بن أزاذبه مرزبان الحير تزف إلى صاحب الصنِّين وكان من أشراف العجم . فلما انقطعت الخيل عن الزواف والمسلمون كمين فى النخل وجازت بهم الأثقال حمل بكير على شيرزاد ابن أزاذبة فقصم صلبه وطارت الخيل على وجوهها . واحتوى المسلمون الأثقال وابنة الأزاذابه وثلاثين امرأة من نساء الدهاقين ومائة امرأة من التوابع ومما لا يدرى قيمته ثم عاجوا فصبحوا سعداً بعذيب الهجانات بما أفاء الله على المسلمين فكبر المسلمون تكبيرة

شديدة. فقال سعد : أقسم بالله لقد كبرتم تكبيرة قوم عرفت فيهم العز . ثم فض الغنيمة فى المجاهدين بعد أن نفل الخمس وأعطاهم بقية ، فوقع ذلك منهم موقعاً.

كان كثير من المسلمين يرحلون إلى الغزو بحريمهم وعيالاتهم وذراريهم فانزل سعد حريمهم فى حامية وأمر عليهم غالب بن عبد الله الليثى ونزل سعد بالقادسية.

كانت الفرس تنظر إلى رستم نظر المستغيث إلى مغيثه وكانت العرب من حين نزولهم إلى القادسية يبثون السرايا فتغير على النعم والدواب وكانوا فى قرم إلى اللحم أما الشعير والحنطة وما ينفع من الحب فقد كان عندهم من ذلك الحب ما يغنيهم أياماً طويلة لو لم يأتهم منه شئ ، وكانوا يسمون الأيام بأسماء ما يأتيهم من اللحمان كيوم الأباقر ويوم الحيتان ، فلما تواترت منهم الإغارات فى السواد على دواب الفرس ومن معهم واغتنام مواشيهم ، كتب أهل السواد وعظماء فارس ممن كان له ملك بناحيتهم إلى يزدجرد وعجلوا إليه بالشكوى من العرب وما يعترونهم به من النكبات قائلين : إن العرب قد نزلوا القادسية بأمر ليس يشبه إلا الحرب وإن فعل العرب منذ نزلوها لا يبقى على شئ وقد أخربوا ما بينهم وبين الفرات وليس فيما هنالك أنيس إلا فى الحصون وقد ذهب الدواب وكل شئ لم تحتمله الحصون من الأطعمة ولم يبق إلا أن يستنزلونا ، فإن أبطأ عنا الغياث أعطيناهم بأيدينا

وكتب إليه بذلك الملوك لهم ضياع بالظف وهيجوه على بعثه رستم .

أرسل يزدجرد إلى رستم فلما جاء قال له . إنى أريد أن أوجهك فى هذا الوجه وإنما يعد للأمور على قدرها وأنت رجل أهل فارس اليوم وقد ترى ماجاء

أهل فارس من أمر لم يأتهم مثله منذ ولى آل أردشير ، فأراه أن قد قبل منه وأثنى عليه .

إن اشتراك الملوك مع القواد فى شؤونهم إذا كانوا غير مضطلعين بالحرب عارفين بكل ما يلزم لها لا يعود إلا بالخيبة والخسارة. وهذه العادة الرديئة قد خذلت قواداً من أحسن القواد خبرة وأغزرهم علماً بالحرب وفنونها ومكايدها ، فكانت وبالاً على الدول .

من ذلك أن يزدجرد قال لرستم : صف لى العرب وفعلهم منذ نزلوا القادسية وصف لى العجم وما يلقون منهم ، فقال رستم : صفة ذئاب صادفت غرة من رعاء فأفسدت فقال : ليس كذلك إنى إنما سألتك رجاء أن تعرب صفتهم فأقويك لتعمل على قدر ذلك فلم تصب . فافهم عنى . إنما مثلهم ومثل أهل فارس كمثل عقاب أوفى على جبل يأوى إليه الطير بالليل فتبيت فى سفحه فى أوكارها فلما أصبحت تجلت الطير فأبصرته يرقبها فإن شذ منها شئ اختطفه فلما أبصرته الطير لم تنهض من مخافته ، وجعلت كلما شذ منها طائر اختطفه فلو نهضت نهضة واحدة ردته ، وأشد شئ يكون فى ذلك أن تنجو كلها إلا واحداً وإن اختلفت لم تنهض فرقة إلا هلكت . فهذا مثلهم ومثل الأعاجم ، فاعمل على قدر ذلك ، فقال له رستم : أيها الملك ، دعنى فإن العرب لا تزال تهاب العجم ما لم تضرهم بى ، ولعل الدولة أن تثبت بى فيكون الله قد كفى ونكون قد أصبنا المكيدة رأى الحرب . فإن الرأى فيها والمكيدة أنفع من بعض الظفر . فأبى عليه وقال : أى شئ بقى ؟ فقال رستم . إن الأناة فى الحرب خير من العجلة وللأناة اليوم موضع . وقتال جيش بعد جيش أمثل من هزيمة بمرة وأشد على عدونا . فلج وأبى فخرج حتى أنزل عسكره بسباط .

رأى رستم أنه سيسير في الحرب برأى غيره ويعمل فيها بمشورة سواه الغائب عنها الجاهل بها فأراد أن يستعفى يزدجرد من قيادة الجيش في هذا الوجه واختلفت منه إلى الملك الرسل ليرى موضعاً لإعفائه وبعث غيره فلم ينله الملك مأربه

قد يقال إن عمر كان يوافى سعداً بالنصائح والآراء ، ولا ينتقل من موضعه الذى يكون فيه إلا بأمر منه ، فلماذا لم يكن هذا توهينا لأمر سعد ؟ والجواب على هذا أن عمر من أهل المكيدة فى الحرب والرأى الراجح والبصر النافذ وهو يخشى أن يتورط سعد فيما تورط فيه أبو عبيد يوم الجسر فكان يحذره مثل ذلك ، ولما صار سعد مع العجم وجها لوجه لم يكن ليأمره بشئ من أمر الحرب لأنه أعلم بها من الغائب عنها . والدليل على أن عمر كان ضليعاً بالحرب ذا كفاءة للقيادة أن أبا بكر رضى الله عنه كان يندم على أنه حين صرف خالد بن الوليد عن العراق إلى الشام لم يكن قد ولى عمر مكانه فجعله بحيال فارس . وكانت أوامر عمر تصدر إلى القائد بأخذ الحيطة والاحتراس والتأنى والحث على الصبر والعدل والزهد فى الدنيا ونحو ذلك مما هو بمنزلة المدد للجيش . والفرق بين الغرضين واضح .

خرج رستم حتى نزل ساباط واجتمع إليه الجند ، وجاء العيون إلى سعد بذلك من قبل الحيرة وبنى صلوبا . فأعلم عمر بذلك ، وكثرت الاستغاثة على يزدجرد من أهل السواد وعليهم الإزاذمرد بن الإزاذ به الذى جشعت نفسه وكان ضيقاً لجوجا فاستحث رستم فقال له أيها الملك ، لقد اضطرنى تضييع الرأى إلى إعظام نفسى وتزكيتها ولو أجد من ذلك بدا لم أتكلم به فأنشدك الله فى أهلك ونفسك وملكك دعنى أقم بعسكر وأسرح الجالينوس فإن تكن فذلك، وإلا فإنا على رجل وأبعث غيره حتى إذا نجد بدا حيلة صبرنا لهم وقد وهناهم

وحسرناهم ونحن جامون . فأبى إلا أن يسير . فكتب إلى فارس وعظمائها أن يرموا حصونهم وأن يعدوا ويستعدوا ، وقال فى كتابه فكأنكم بالعرب قد وردوا بلادكم ، وقارعوكم عن أرضكم وأبنائكم .

ولما بلغ عمر أن كسرى ولى رستم بن الفَرُّخْزَاذْ حرب المسلمين وفصول رستم بالجند إلى ساباط كتب إلى سعد لا يكربنك ما يأتيك عنهم ولا ما يأتونك به واستعن بالله وتوكل عليه وابعث إليه رجلا من أهل المنظرة والرأى يدعونه فإن الله جاعل دعائهم توهينا لهم وفلجا عليهم . واكتب إلى فى كل يوم .

ولما جاء أمر عمر إلى سعد اختار من جنده قوما عليهم نجار وآخرون لهم آراء ، فأما الأولون فالنعمان بن مقرن . وبسر بن أبى رهم ، وحمالة بن جوية الكنانى ، وحنظلة بن الربيع التميمى ، وفرات بن حيان العجلى ، وعدى بن سهيل ، والمغيرة بن زرارة ، وأما الآخرون فعطارد بن حاجب ، والأشعث بن قيس ، والحارث بن حسان ، وعاصم بن عمرو ، وعمرو بن معد يكرب ، والمغيرة بن شعبة ، والمعنى بن حارثة ، فبعثهم دعاة إلى الملك كسرى يزدجرد فسار القوم حتى وصلوا إلى المدائن واستأذنوا فحبسوا ، وبعث يزدجرد إلى وزرائه ووجوه أرضه يستشيرهم فيما يصنع بهم ويقوله لهم . وسمع بهم الناس فحضروهم ينظرون إليهم وعليهم المقطات والبرود وفى أيديهم سياط دقاق وفى أرجلهم النعال وبعد أن أجلسهم قال للترجمان : سلهم ما جاء بكم وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا من أجل أنا أجممناكم وتشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟ فرد عليه النعمان بن مقرن وكان رئيس الوفد : إن شئتم أجبت عنكم ومن شاء آثرته . فقالوا بل تكلم . وقالوا للملك : كلام هذا الرجل كلامنا فقال النعمان : إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولا يدلنا على الخير ويأمرنا به ، ويعرفنا الشر وينهانا عنه ، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة فلم يدّع إلى ذلك قبيلة إلا صاروا

فرقتين فرقة تقاربه وفرقة تباعده ولا يدخل معه فى دينه إلا الخواص ، فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث ثم أمر أن ينبذ إلى من خالفه من العرب ويدأبهم وفعل فدخلوا معه جميعاً على وجهين مكره عليه فاغتبط ، وطائع أتاه فازداد، فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذى كنا عليه من العداوة والضيق . ثم أمرنا بأن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف فنحن ندعوكُم إلى ديننا وهو دين حسّن الحسن وقبّح القبيح كله فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزية، فإن أبيتم فالمناجزة فإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمناكم عليه أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم وإن اتقيتمونا بالجزاء قبلنا ومنعناكم وإلا قاتلناكم ، فقال يزدجرد : إنى لا أعلم فى الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم . قد كنا نوكل بكم قرى الضواحى فيكفوننا إياكم لا تغزوكم فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم، فإن كان عدد لحق فلا يغرنكم منا ، وإن كان الجهد قد دعاكم فرضنا لكم قوتاً إلى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم . فسكت القوم .

فقام المغيرة بن زرارة الأسيدى فقال : أيها الملك إن هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم ، وهم أشراف يستحيون من الأشراف ، وإنما يكرم الأشراف الأشراف ويعظم حقوق الأشراف الأشراف ، ويفخم الأشراف الأشراف . وليس كل ما أرسلوا به جمعوه لك ، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه . وقد أحسنوا ولا يحسن بمثلهم إلا ذلك ، فجاوبنى لأكون الذى أبلغك ويشهدون على ذلك . أما ما ذكرت من سوء الحال فما كان أحد أسوأ حالا منا وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات فنرى ذلك طعامنا وأما المنازل فإنما هى ظهر الأرض ، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل

وأشعار الغنم ، ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً ، ويغير بعضنا على بعض ، وإن كان أحدنا ليدفن ابنته حية كراهية أن تأكل من طعامنا ، فكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت ، فبعث الله إلينا رجلا معروفا نعرف نسبه ونعرف وجهه ومولده ؛ فأرضه خير من أرضنا ، وحسبه خير من حسبنا ، وبيته أعظم من بيوتنا ، وقبيلته خير من قبائلنا ، وهو بنفسه كان خيرنا فى الحال التى كان فيها أصدقنا وأحلمنا . فدعانا إلى أمر فلم يجبه أحد أول من ترْب كان له وكان الخليفة من بعده . فقال وقلنا، وصدق وكذبنا ، وزاد ونقصنا ؛ فلم يقل شيئاً إلا كان ؛ فقذف الله فى قلوبنا التصديق له واتباعه ، فصار بيننا وبين رب العالمين ، فما قال لنا فهو قول الله ، وما أمرنا فهو أمر الله فقال لنا إن ربكم يقول : إنى أنا الله وحدى لا شريك لى، كنت إذ لم يكن شئ ، وكل شئ هالك إلا وجهى وأنا خلقت كل شئ وإلى يصير كل شئ وإن رحمتى أدركتكم فبعثت إليكم هذا الرجل لأدلكم على السبيل الذى بها انجيكم بعد الموت من عذابى ولأحلكم دارى. دار السلام فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق ، وقال : من تابعكم على هذا فله ما لكم وعليه ما عليكم، ومن أبى فاعرضوا عليه الجزية ثم امنعوه مما تمعنون منه أنفسكم، ومن أبى فقاتلوه ، فأنا الحكم بينكم ، فمن قتل منكم أدخلته جنتى، ومن بقى منكم أعقبته النصر على من ناوأه ، فاختر إن شئت الجزية عن يد وأنت صاغر ، وإن شئت فالسيف ، أو تسلم فتنجى نفسك .

أصابت الكلمات مكان العزة من نفس كسرى يزدجرد ، ورأى كبيراً عليه أن ينابذ إليه بالقتال - وهو شاهنشاه الواسع الملك العزيز الجانب المهيب السطوة - من قوم ظلوا مستضعفين لآبائه طول حياتهم لا يأبه لامتلاك أرضهم طامع ، ولا ترغب نفس أحد الملوك فى التغلب عليهم لقحولة أرضهم ، وقلة ريفها ، وسوء عيشهم فيها ، وقلتهم وذلتهم . وأقل عبد من عبيده أبهى منهم رداء . وأحسن

منظراً ، وهو أقوى منهم ناصراً وأكثر عدداً . وهاجه منهم أن يستقبلوه بطلب الجزية يؤدّيها صاغراً فعل الذليل المستضعف، والحقير المستضام . فقال محنقاً: أتستقبلنى بمثل هذا ؟ فقال : ما استقبلت إلا من كلمنى ولو كلمنى غيرك لم أستقبلك به فقال كسرى : لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ، لا شئ لكم عندى . ثم قال ائتونى بوقر من تراب فاحملوه على أشرف هؤلاء ، ثم سوقوه حتى يخرج من المدائن . ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أنى مرسل إليه رستم حتى يدفنكم ويدفنه فى خندق القادسية ، وينكل بكم وبه من بعد ، ثم أوردكم بلادكم حتى أشغلكم فى أنفسكم بأشد مما نالكم . ثم قال : من أشرفكم ؟ فقال : عاصم بن عمرو : أنا . فحملوه وقر التراب على عنقه فحمله حتى أتى راحلته فحمله عليها، ثم صار هو وأصحابه حتى أتى إلى سعد بالتراب متفائلين بالظفر، متأولين أن كسرى أعطاهم أرضه ، وإنما كسرى أن يعطيهم التراب من الجزية ولا ينالون منه إلا المذلة التى تكون بحمل التراب .

وقد جهد رستم حين بلغه ما صنع كسرى أن يلحق عسكراً بحامل التراب ليأخذوه منه فأخبر بأنه فاتهم إلى المسلمين فأهمه ذلك ورآه فال سوء عليهم ، وكان يتعاطى العيافة والتنجيم واعتدها من سوء فعل الملك .

وفى الوقت الذى قرب فيه جيش رستم كان سعد قد بث الطلائع لاستطلاع أحوال الفرس تقدم إليهم أن يأتوه برجل من الفرس يعلمه علمهم ، وكان فيمن ذهب إلى هذا الوجه عمرو بن معد يكرب الزبيدى وطليحة بن خويلد الأسدى ـ الذى كان متنبئاً فى بنى أسد أيام الردة ـ فلما رأوا عسكر الفرس ، وكانوا يعلمون بمقدمهم ، لم يشأ طليحة أن يعود إلى معسكر المسلمين . فقال له أصحابه : ما تريد ؟ قال : أريد أن أخاطر القوم أو أهلك . فقالوا : أنت رجل فى نفسك غدر ولن تفلح بعد قتلك عكاشة بن محصن ، فارجع بنا ، فأبى

ومضى حتى دخل عسكر رستم وبات فيه يجوسه وينظر يتوسم ، فلما أدبر الليل أتى فى ناحية العسكر فإذا فرس لم ير فى خيل القوم مثله فانضى سيفه فقطع مقود الفرس ثم ضمه إلى مقود فرسه ثم حرك فرسه فخرج يعود به ، ونذر به عسكر الفرس فتنادوا وركبوا الصعبة والذلول فى طلبه ، وأصبح وقد لحقه فارس من الجند فبعد مصاولة قليلة قتله طليحة ، ثم لحق به آخر فسقاه بكأس الأول ، ثم لحق به ثالث فمازال يصول حتى استأسر الفارسى ، فسار حتى غشى عسكر المسلمين فجاء إلى سعد ؛ فلما انتهى إليه قال له : ما وراءك ؟ قال دخلت عساكرهم وجستها منذ الليلة وقد أخذت أفضلهم توسما ، وما أدرى أصبت أم أخطأت ؟ وها هو ذا . فاستخبره وأمنه على دمه إن صدقه فاسمح له بذلك . فقال : أخبركم عن صاحبكم قبل أن أخبركم عمن قبلى . باشرت الحروب وغشيتها ، وسمعت بالأبطال ولقيتها منذ أنا غلام إلى أن بلغت ما ترى. ولم أر ولم أسمع بمثل هذا . إن رجلا قطع عسكرين لا يجترئ عليهما الأبطال - وكان طليحة قد جاز عسكر الجالينوس وعسكر ذى الحاجب إلى عسكر رستم - إلى عسكر فيه سبعون ألفا يخدم الواحد منهم الخمسة إلى العشرة فما دون ، فلم يرض أن يخرج كما دخل حتى سلب فارس الجند هتك أطناب بيته فأنذره فأنذرنا به فطلبناه فأدركه الأول وهو فارس الناس يعدل ألف فارس فقتله فأدركه الثانى وهو نظيره فقتله ، ثم أدركته لا أظننى خلفت بعدى من يعدلنى وأنا الثائر بالقتلين ، وهما أبناء عمى ، فرأيت الموت فاستأسرت . ثم أخبره عن أهل فارس بأن الجند عشرون ومائة ألف ، وبأن الأتباع مثلهم خدام لهم . وأسلم الرجل وسمى مسلما ، وكان من أهل البلاء .

كان بين خروج رستم من المدائن إلى أن لقى سعداً أربعة أشهر ، لا يقدم ولا يقاتل رجاء أن يضجر المسلمون بمكانهم ، وأن يجهدوا فينصرفوا ، وكره

قتالهم مخافة أن يلقى ما لقى من قبله وطاولهم ، وجعل الملك يستحثه وينهضه ويقدمه حتى أقحمه .

كان على مقدمة سعد زهرة بن الحوية ، وعلى مجنبتيه عبد الله بن المعتم، وشرحبيل بن السمط الكندى، وعلى مجردته عاصم بن عمرو، وعلى المرامية والرجل قائدان من أهل النجدة، وعلى الطلائع سواد بن مالك، وعلى مقدمة رستم الجالينوس، وعلى مجنبتيه الهرمزان ومهران، وعلى المجردة ذو الحاجب، وعلى الطلائع الفيرزان، وعلى الرجالة زاد بن بهيش. فلما انتهى رستم إلى العقيق نزل عليه بحيال عسكر سعد وتلاحق به العسكر حتى تكاملوا وأخذوا منازلهم والمسلمون ممسكون عنهم، كان مع رستم ثلاثة وثلاثون فيلا مضرأة بالحرب .

ولما أصبح رستم ساير العقيق ليحزر المسلمين ويعرف مقدر عددهم حتى انتهى إلى منقطع العسكر، وأرسل إلى زهرة قائد مقدمة المسلمين فخرج إليه حتى واقفه، فأراده على الصلح ويجعل له جعلا على أن ينصرفوا عنه وجعل يقول: أنتم جيراننا، وقد كانت طائفة منكم فى سلطاننا، فكنا نحسن جوارهم ونكف الأذى عنهم، ونوليهم المرافق الكثيرة، ونحفظهم فى أهل باديتهم، فنرعيهم مراعينا ونميرهم من بلادنا، ولا نمنعهم من التجارة فى شئ من أرضنا، وقد كان لهم فى ذلك معاش. يعرض لهم بالصلح لا يصرح. فقال له زهرة . صدقت قد كان ما تذكر، وليس أمرنا أمر أولئك ولا طلبتنا طلبتهم ، إننا لم نأتكم لطلب الدنيا إنما طلبتنا وهمتنا الآخرة، كنا كما ذكرت يدين لكم من ورد عليكم منا، ونضرع إليكم بطلب ما فى أيديكم ؛ ثم بعث الله تبارك وتعالى إلينا رسولا فدعانا إلى ربه فأجبناه فقال الله لنبيه ﷺ: إنى قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بدينى فأنا منتقم بهم منهم ، وأجعل لهم الغلبة عليهم ما داموا مقرين به،

وهو دين الحق لا يرغب عنه أحد إلا ذلّ، ولا يعتصم به أحد إلا عز. فقال رستم: وما هو ؟ قال : أما عموده الذى لا يصلح منه شئ إلا به «فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والإقرار بما جاء من عند الله تعالى : قال ما أحسن هذا ؟ وأى شئ أيضاً ؟ قال : وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله . قال : حسن ، وأى شئ أيضاً ، قال : والناس بنو آدم وحواء إخوة لأب وأم . قال : ما أحسن هذا . ثم قال له رستم : أرأيت لو أنى رضيت بهذا الأمر وأجبتكم إليه ومعى قومى كيف يكون أمركم ، أترجعون ؟ قال : أى والله ثم لا نقرب بلادكم أبداً إلا فى تجارة أو حاجة . قال صدقتنى .

لم يكن استرسال رستم معه فى الكلام هذا الاسترسال عن اقتناع أو رضى بما يقول ، وإنما كان خديعة ليأتى زهرة بآخر ما عنده ويعرض عليه منتهى أمانيه وأمانى القوم الذين هو منهم ، ويدل على ذلك قول رستم له بعد ذلك : والله إن أهل فارس منذ ولى أردشير لم يدعوا أحداً يخرج من عمله من السِّفْلة. كانوا يقولون إذا خرجوا من أعمالهم تعدوا طورهم وعادوا إلى أشرافهم. فقال له زهرة : نحن خير الناس للناس فلا نستطيع أن نكون كما تقولون . نطيع الله فى السفلة ولا يضرنا من عصى الله فينا .

إن الكلام الحق لابد أن يترك فى النفس أثراً ، مهما حاول الإنسان مقاومته ، فلما انصرف رستم إلى قومه دعا رجال فارس فذاكراهم ما دار بينه وبين زهرة فحموا من ذلك وأنفوا ونالوا منه ونال منهم .

أرسل سعد إلى المغيرة بن شعبة، وبشر بن أبى رهم، وعرفجة بن هرثمة، وحذيفة بن محصن وربعى بن عامر ، وقرفة بن زاهر الوائلى ، ومذعور بن عدى العجلى ، ومعبد بن مرة العجلى ، والمضارب بن يزيد العجلى وكان معبد من دهاة العرب فقال : إنى مرسلكم إلى هؤلاء القوم فما عندكم ؟ قالوا : جميعاً:

نتبع ما تأمرنا به وننتهي إليه ، فإذا جاءنا أمر لم يكن منك فيه شئ نظرنا أمثل ما ينبغي وأنفعه للناس فكلمناهم به ، فقال سعد : هذا فعل الحزمة ، اذهبوا فتهيأوا . فقال ربعي ابن عامر : إن الأعاجم لهم آراء وآداب ومتى جئناهم جميعاً يروا أنا قد احتفلنا بهم فلا تزدهم على رجل فمالؤوه على ذلك . فقال : سرحوني فسرحه حتى دخل على عسكر رستم فحبسه العسكر حتى جاء إذن رستم فيه ، وقد أظهر رستم الزينة وبسط البسط والنمارق ، وجلس رستم على سرير الذهب ولبس زينته . وأقبل ربعي على فرس له زباء قصيرة ، ومعه سيف مشوف وغمده لفافه ثوب خلق ورمحه معلوب ، ومعه حجفة من جلود البقر على وجهها قرص جلد أحمر مثل الرغيف ، ومعه قوسه ونبله ورمحه ، وعليه درع له كأنها إضاءة ويلمعة . عباءة بعيره قد جلبها وتدرعها وشدها على وسطه بسلب وقد شد رأسه بمعجرته ، وهي نسعة بعير ، ولرأسه أربع ضفائر كأنها قرون الوعلة . ولم ينزل عن فرسه إلا على البساط ، ثم أرادوه على وضع سلاحه فأبى أن يأتيهم إلا كما يريد وإلا رجع . وأراد أن يستحرجهم فأقبل يمشي وهو يتوكأ على رمحه وزجه نصل يقارب الخطو وزج الرمح يهتك النمارق والبسط .

ولما دنا من رستم تعلق به الحرس وجلس على الأرض . وركز رمحه بالبساط فقالوا له : ما حملك على هذا ؟ ؟ لا نستحب الجلوس على زينتكم هذه ، فقال له رستم : ما جاء بكم ؟ فقال : الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دوننا ، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله . قال : وما موعود الله؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي . فقال رستم : قد سمعت مقالتكم . فهل أن تؤخروا هذا الأمر

حتى ننظر فيه وتنظروا ؟ قال نعم ، كم أحب إليك ؟ أيوما أم يومين ؟ قال : لا بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا وأراد مقاربته ومدافعته . فقال : سن لنا رسول الله ﷺ وعمل به أئمتنا أن لا نمكن الأعداء من آذاننا ، ولا نؤجلهم عند اللقاء أكثر من ثلاث ، فنحن مترددون عنكم ثلاثا فانظر فى أمرك وأمرهم ، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل . اختر الإسلام وندعك وأرضك ، أو الجزاء فنقبل ونكف عنك ، وإن كنت عن نصرنا غنياً تركناك منه ؛ وإن كنت إليه محتاجاً منعناك . أو المنابذة فى اليوم الرابع ، ولسنا نبدؤك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا ، أنا كفيل لك بذلك على أصحابى . وعلى من ترى . وكأن رستم عد غريباً أن يضمن له هذا الرجل الزرى الهيئة سكون الجيش إلى اليوم الرابع ، فقال له : أسيدهم أنت ؟ قال : لا ، ولكن المسلمين كالجسد بعضهم من بعض ، يجير أدناهم على أعلاهم .

كان رستم قد قارن بين ما قال زهرة وما قاله ربعى بن عامر . فرأى اتحاداً فى الكلمة ، وصدقاً فى اللهجة ، وأنه أراد أن يصرف القوم عن بلاده بأى الوسائل ، وفى نيته أن يخدعهم بقبول دينهم ويصرفهم عن وجههم بكلمة ينطقها ، ثم يكون على ما عليه قومه ، ولو وجد من فارس من يعينه على رأيه لفعل . ولكنه خلص إلى أهل فارس ورؤسائهم فقال : ما ترون ؟ هل رأيتم كلاماً قط أوضح ولا أعز من كلام هذا الرجل ؟ قالوا : معاذ الله لك تميل إلى شئ من هذا أو تدع دينك لهذا الكلب . أما ترى إلى ثيابه ؟ ثم أخذوا يعيبون رثاثته وتناولوا سلاحه وأداة حربه فعمدوا إلى تجربتها فاستبان فضل ذلك على سلاحهم فلما رأى منهم ربعى ذلك قال : يا أهل فارس ، إنكم عظمتم اللباس والطعام والشراب وإنا صغرناهن ، ثم رجع إلى أن ينظروا إلى الأجل .

فلما كان اليوم الثانى طلب رستم أن يرسل إليه المسلمون الرجل الذى

كان بالأمس (ربعى) فأرسل إليه سعد حذيفة بن محصن ، وكان منه ما كان من ربعى ، لا يكاد أمرهما يختلف . ثم فى اليوم الثالث طلب رستم أن يرسل إليه سعد رجلا له عقل ورأى يكلمه ، فأرسل إليه المغيرة بن شعبة .

جاء المغيرة إلى رستم ومعه وجوه قومه ، عليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب وبسطهم على غلوة من مجلس رستم ، وأقبل المغيرة وله أربع ضفائر يمشى حتى جلس معه على سريره ووسادته، فوثبوا عليه فترتروه وأنزلوه ، فقال: كانت تبلغنا عنكم الأحلام ، ولا أرى قوماً منكم إنا معشر العرب سواء ، لا يستعبد بعضنا بعضا إلا أن يكون محارباً لصاحبه ، فظننت أنكم تتواسون بينكم كما نتواسى . وكان أحسن من الذى صنعتم أن تخبرونى أن بعضكم أرباب بعض . وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلا نصنعه . ولو آتكم ولكن دعوتمونى . اليوم علمت أن أمركم مضمحل ، وأنكم مغلبون . وأن ملكا لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول . فقال السفلة : صدق والله هذا العربى، وقال الداهاقين : والله لقد رمى بكلام لا يزال عبيدنا ينزعون إليه . قاتل الله أولينا ما كان أحمقهم حين كانوا يصغرون أمر هذه الأمة . وقد رأى رستم أن يأسو ما صنعت حاشيته وأن يطيب خاطره ليستخرج ما عنده ، فمازحه ليمحوا ما صنع . فقال له : يا أعرابى إن الحاشية قد تصنع مالا يوافق الملك فيتراخى عنها مخافة أن يكسرها عما ينبغى من ذلك ، فالأمر على ما تحب من الوفاء وقبول الحق ، وما هذه المغازل التى معك ؟ (يريد السهام) قال : ما ضر الجمرة أن لا تكون طويلة ، ثم راماهم . قال : ما بال سيفك ؟ قال : رث الكسوة ، حديد المضربة ثم عاطاه سيفه

بعد ذلك أراد رستم أن يكلمه فيما استقدمه لأجله : فقال له : تكلم أو أتكلم ؟ فقال المغيرة : أنت الذى بعثت إلينا فتكلم . فأقام الترجمان بينهما وتكلم

رستم فحمد قومه وعظم أمرهم وطوله وقال : لم نزل متمكنين فى البلاد ، ظاهرين على الأعداء ، أشرافاً فى الأمم ، فليس لأحد من الملوك مثل عزنا وشرفنا وسلطاننا ، ننصر على الناس ولا يُنصرون علينا إلا اليوم واليومين ، أو الشهر والشهرين للذنوب . فإذا انتقم الله فرضى رد علينا عزنا وجمعنا لعدونا ثم لم يكن فى الناس أمة أصغر عندنا أمراً منكم كنتم أهل قشف ومعيشة سيئة لا نراكم شيئاً ولا نعدكم ، وكنتم إذا قحطت أرضكم وأصابتكم السنة استغثتم بناحية أرضنا فنأمر لكم بالشئ من التمر والشعير ، ثم نردكم وقد علمت أنه لم يحملكم على ما صنعتم إلا ما أصابكم من الجهد فى بلادكم وأنا آمر لأميركم بكسوة وبغل وألف درهم ، وآمر لكل رجل منكم بوقر تمر وبثوبين وتنصرفون عنا ، فإنى لست أشتهى أن أقتلكم ولا آسركم ، فتكلم المغيرة بن شعبة فحمد الله وأثنى عليه وقال :

إن الله خالق كل شئ ورازقه فمن صنع شيئا فإنما هو يصنعه والذى له ؛ وأما الذى ذكرت به نفسك وأهل بلادك من الظهور على الأعداء والتمكن فى البلاد وعظم السلطان فى الدنيا ، فنحن نعرفه ولسنا ننكره فالله صنعه بكم ووضعه فيكم ، وهو له دونكم .

وأما الذى ذكرت فينا من سوء الحال وضيق المعيشة اختلاف القلوب فنحن نعرفه ولسنا ننكره ، والله ابتلانا بذلك فصيرنا إليه ، والدنيا دول ، ولم يزل أهل شدائدها يتوقعون الرخاء حتى يصيروا إليه ، ولم يزل أهل رخائها يتوقعون الشدائد حتى تنزل بهم ويصيروا إليه ، وكنتم فيما آتاكم الله ذوى شكر كان شكركم يقصر عما أوتيتم وأسلمكم ضعف الشكر إلى تغير الحال ، ولو كنا فيما ابتلينا به أهل كفر عظيم ما تتابع علينا مستحليا من الله رحمة يرفه عنا ، ولكن الشأن غير ما تذهبون إليه أو كنتم تعرفوننا به .

إن الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولا (ثم ذكر ما ذكره سابقه حتى انتهى إلى قوله) وإن احتجت إلينا أن نمنعك منعناك فكن لنا عبداً تؤدى الجزية عن يد وأنت صاغر وإلا السيف إن أبيت .

فاستشاط رستم غضبا ، وحلف بالشمس : لا يرتفع لكم الصبح غداً حتى أقتلكم أجمعين . فانصرفُ المغيرة .

ثم بعد ذلك أرسل سعد بقية ذوى الرأى إلى رستم وحبس الثلاثة الذين ذهبوا إليه فكلمهم بمثل ما تكلم به وكلموه بمثل ما تكلم به سابقوهم وضرب لهم الأمثال وضربوا له الأمثال كذلك ، ثم تهيأ الفريقان للحرب .

وقد سأل رستم ذلك الوفد : أتعبرون إلينا أم نعبر إليكم ؟ فقالوا : بل اعبروا إلينا . وأخذ سعد فى الإستعداد - ولما أرادوا عبور العقيق على القنطرة وكانت فى يد المسلمين أبوا عليهم ذلك وقالوا شئ غلبناكم عليه لا نعيده إليكم أبداً ، بل انظروا لكم معبراً آخر ، فباتوا ليلتهم يسكرون العقيق ثم أصبحوا فعبروه على ما سكروا به من قصب وبراذع وتراب .

عبن رستم جيشه ورتب الفيلة فى مواقفها وعليها الرجال فى الصناديق ، وكان يزدجرد قد رتب الرجال بينه وبين رستم بين كل رجلين مقدار ما يسمع أحدهما صوت الآخر فكلما نزل أو ارتحل أو حدث أمر قاله فقاله الذى يليه حتى يقوله الذى يلى باب الإيواء وفيه الملك . وهكذا إذا أراد الملك إصدار أمر إلى رستم على هذا النمط . فكانت الأخبار تعلم ساعة حدوثها لا يغيب عنه شئ فى ليل أو نهار .

كان بسعد عرق النساء وحبون قامت له ، لا يستطيع معها الركوب ولا الجلوس ، فخلف على الناس خالد بن عرفطه ، فشغب عليه بعض وجوه الجند ،

فقال سعد : احملونى واشرفوا بى على الناس ، فارتقوا به فاكب مطلعا عليهم وتحت صدره وسادة ، وأتى بمن شغب على خالد فهم بهم وشتمهم وقال : أما والله لولا أن عدوكم بحضرتكم لجعلتكم نكالا لغيركم ولا يعود أحد بعدها يحبس المسلمين عن عدوهم ويشاغلهم وهم بإزائه إلا سنت به سنة يؤخذ بها من بعدى - ثم كتب إلى الرايات : إنى قد استخلفت عليكم خالد بن عرفطه ، وليس يمنعنى أن أكون إلا وجعى الذى يعودنى وما بى من الحبون ، فإنى مكب على وجهى وشخصى لكم باد فاسمعوا له وأطيعوا ، فإنه إنما يأمركم ويعمل برأيى . فقرئ أمره على الناس فانتهوا إلى رأيه وقبلوا منه وتحاثوا على السمع والطاعة والرضا بما صنع سعد . فكان سعد يرمى بالرقاع فيها أمره ونهيه إلى خالد بن عرفطه وخالد يبلغها من قصد بها لينفذها .

وقبل أن تنشب الحرب بين الفريقين أرسل سعد إلى الذين انتهى إليهم رأى الناس والذين انتهت إليهم نجدتهم ومن أحرزوا أصناف الفضل ، فكان منهم ذوو الرأى النافذ الذين أتوا رستم : المغيرة بن شعبة ، وحذيفة بن محصن، وعاصم بن عمرو ، وبسر بن أبى رهم، وعرفجة بن هرثمة ، وربعى بن عامر، وقرفة بن زاهر، ومذعور بن عدى، ومعبد بن مرة ، والمضارب بن زيد، وطليحة وقيس الأسديان ، وغالب بن عبدالله الأسدى ، وعمرو بن معد يكرب وأمثالهم ، ومن الشعراء : الشماخ والحطيئة وأوس بن مغراء وعبدة بن الطيب وأمثالهم ، وقال انطلقوا فقوموا فى الناس بما يحق عليهم عند مواطن البأس فإنكم من العرب بالمكان الذى أنتم به وأنتم شعراء العرب وخطباؤهم وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم ، فسيروا فى الناس فذكروهم وحرضوهم - فما شئت فى ذلك اليوم من خطب حشوها الحث على الحرب والحض على الطعان والاستبسال بكلام تستأسد منه الأوعال ويستنسر به البغاث ويغلى به دم القلوب وتتوتر له

الأعصاب . ومن شعر يؤرث الشر ويوغر الصدور ويهون الموت.

اتعد سعد مع جنده أن يكبر لهم ثلاث تكبيرات ، والثالثة علامة بدء الحرب والرابعة علامة الزحف العام وإن ذلك يكون بعد صلاة الظهر ، فلما أذن المؤذن بصلاة الظهر وأدوا المكتوبة كبر سعد ثلاث تكبيرت ، فلما كبر سعد الثالثة برز أهل النجدات فانشبوا القتال ، وبرز غالب بن عبد الله الأسدى وهو يقول :

قد علمت واردة المسائح ذات اللبان والبنان الواضح

أنى سمام البطل المشايح وفارج الأمر الفادح

وبرز عاصم بن عمرو وهو يقول :

قد علمت بيضاء صفراء اللبب مثل اللجين إذ تغشاه الذهب

أنى امرؤ لا من يعينه السبب مثل على مثلك يغريه العتب

ثم كبر سعد التكبيرة الرابعة وهى علامة الهجوم العام فزحف الجنود واصطدموا صدمة من أشد صدمات الحروب هولاً . وكان أشد شئ لقى منه المسلمون عناء لا يطاق الفيلة . فإنها لما حمل أصحابها خافته الخيل فترقت عن الرجالة وكان مبدأ أمرها فى بجيلة ، تؤكل حين فرت عنها خيلها فرقاً من الفيلة. فلما رأى سعد ما حل بهم أعانهم ببنى أسد فصمدوا لها وكانت حلبة الفرس تدور على بنى أسد قبل الهجوم العام ، فلما رأى سعد ما حل ببنى أسد من الفيلة أرسل إلى عاصم بن عمرو التميمى وقال : يا معشر بنى تميم ، أما عندكم لهذه الفيلة من حيلة ؟ قالوا : بلى ثم نادى برجال من قومه رماة وآخرين لهم ثقافة فقال للرماة : ذبُّوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل وقال لأهل الثقافة : استدبروا الفيلة وقطعوا وضنها ، ففعل كل فريق ما أمر به ووقعت الصناديق عن

ظهور الفيلة ، فلم يبق من ركبان الفيلة راكب إلا قتل ، ولما أعريت الفيلة من ركبانها عادت إلى مواقفها ونفس ذلك الكرب عن بنى أسد بعد ما قتل منهم فى ذلك اليوم خمسمائة مقاتل وكانوا ردءاً للناس ، واستحر القتال حتى غربت الشمس ثم حتى ذهبت هدأة من الليل . وقد كان الظفر ظاهراً ذلك اليوم فى صفوف الفرس وهذا اليوم يسمى يوم أرماث - وكان فيه عاصم عادية الناس وحاميتهم . وكان ذلك فى المحرم سنة ١٤ هجرية يوم الإثنين .

يوم أغواث

ولما أصبح القوم من الغد أصبحوا على تعبية ووكل سعد قوماً بنقل القتلى إلى مُشَرِّف وهو واد بين العذيب وبين عين الشمس ، ووكل آخرين بحمل الجرحى إلى عذيب ليقوم النساء بتمريضهم ومداواتهم وبينما القوم على هذا الحال ولم ينشب القتال إذ طلعت نواصى خيل الإسلام قادمة من الشام . وذلك أن عمر أرسل إلى عبيدة بن الجراح بعد فتح دمشق أن يرد الجند الذين جاءوا من العراق إلى الشام مع خالد بن الوليد ليكونوا عونا لجنود سعد على قتال الفرس . فكان وصولهم إلى جيش المسلمين ذلك اليوم قبل انتشاب القتال وكانوا ستة آلاف ، منهم خمسة آلاف من ربيعة ومضر وألف من أفناء اليمن . وكان خالد قد فصل بهم وهم تسعة آلاف قبل اليرموك - وكان الأمير على هذا الجيش عتبة بن أبى وقاص وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو ، وعلى مجنبتيه قيس بن هبيرة ، والهزهاز بن عمرو العجلى ، وقد عجل القعقاع فطوى حتى قدم المسلمين بالقادسية صبيحة ذلك اليوم .

وقد أراد القعقاع أن يوقع الرعب فى قلوب الفرس فقسم جيشه عشرة أقسام ليردوا على المسلمين قسما بعد قسم ليعلم الفرس أن المدد مواصل على

المسلمين فيكون ذلك أدعى إلى إنكسار نفوسهم - ثم قدم هو فى القسم الأول ولم يلبث أن باشر القتال اليوم، وكان قدومه سبباً لتنشيط المسلمين واستبشارهم حتى كأن لهم تكن فيهم مصيبة بالأمس . وقد كان القعقاع فارس يوم أغواث . فإنه حين ورد ساحة الحرب طلب البراز فبرز إليه ذو الحاجب بهمن جاذويه وهو صاحب يوم الجسر الذى قتل فيه أبو عبيد فقتله القعقاع ، ثم برز إليه البير زان والبندوان . فقتل القعقاع أولهما ، وقتل الحارث بن ظبيان ثانيهما وباشر المسلمون العجم بالسيف فاجتلدوا إلى المساء وأكثر المسلمون فيهم القتل ، ولم ير أهل فارس فى قتال هذا اليوم ما يعجبهم ولم تباشر فيلتهم الحرب لأن صناديقها كانت قد تكسرت فلم تصلح حتى أمسى المساء ، وفى هذا اليوم قدم رسل عمر بأربعة أسياف وأربعة أفراس لتقسم على أهل البلاء إن كان سعد لقى حرباً ففضها سعد فى أهل البلاء وفى ذلك يقول الدبيل بن عمرو :

لقد علم الأقوام أنا أحقهم إذا حصلوا بالمرهفات البواتر

وما فتئت خيلى عشية أرمثو يذودون رهواً عن جموع العشائر

لدن غدوة حتى أتى الليل دونهم وقد أفلحت الليالى الغوابر

وقال القعقاع :

لم تعرف الخيل العراب سواءنا عشية أغواث بجنب القوادس

عشية رحنا بالرماح كأنها على القوم ألوان الطيور الرسارس

ومما صنعه المسلمون فى ذلك اليوم أن بنى عم القعقاع حملوا عشرة عشرة من الرجال على إبل قد ألبسوها الحلال والبراقع وطافت بهم الخيل تحميها فى حملتها على خيول العجم بين الصفين يتشبهون بالفيلة ، فجعلت تلك الإبل لا تصمد لقليل ولا كثير إلا نفرت بهم خيلهم وركبتهم خيول المسلمين وقد

استن الناس فى عملهم فلقى الفرس منها ما لقيت خيل المسلمين من الفيلة فى اليوم الأول وقد استحر القتال إلى نصف الليل وكان الظفر للمسلمين واضح الغرّة ذلك اليوم .

وفى ذلك أبلى أبو محجن الثقفى بلاء حسنا ، وذلك أنه كان محبوساً فى منزل سعد بن أبى وقاص لشغله على خالد بن عرفطة ، فلما كان يوم أغواث قال : لسلمى زوج سعد هل لك أن تخيلنى وتعيرنى البلقاء ؟ فلله إن سلمنى الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلى فى قيدى فأبت ، فقال :

كفى حرناً أن ترتدى الخيل بالقنا   وأتــرك مشـــدوداً على وثاقيــا

إذا قمت عنانى الحديد وأغلقت   مصاريع دونى قد تصم المناديا

وقد كنت ذا مـال كثـير وإخــوة   فقد تركونى واحــداً لا أخالــيا

واللـه عهــد لا أخيـس بعهـــده   لئن فرجت أن لا أزور الحوانـيا

فرقت له سلمى وأطلقته وأعطته البلقاء فرس سعد فركبها فحمل على الفرس وكان يقصف الناس قصفاً منكراً ، وتعجب المسلمون منه وهم لا يعرفونه وكان سعد يقول لولا محبس أبى محجن لقلت أبو محجن وهذه البلقاء حتى انتصف الليل أقبل وأعاد رجليه فى القيد وقال أبياتاً منها :

وليـلة قادس لم يشعـروا بى   ولم أشعر بمخرجى الزحوفا

فإن أحبـــس فذلكـم بــلائى   وإن أترك أذيقهـــم الحتـــوفا

وآخر أبياته الأولى يدل على أنه إنما حبس فى الخمر كما هو المشهور وبدليل قوله لزوجة سعد وقد سألته عن سبب حبسه فقال : إنى كنت صاحب شراب فى الجاهلية وأنا امرؤ شاعر يدب الشعر على لسانى ، فقلت :

إذا مت فادفنى إلى جنب كرمة   تروى عظامى حين تسقى عروقها

ولا تدفننى فى الفلاة فإننى   أخاف إذا مامت أن لا أذوقها

ولعله كان قد اجتمع عليه الأمران، ولما علم سعد بأمره أطلقه وقال : اذهب فما أنا مؤاخذك بشئ تقوله حتى تفعله . فقال لا جرم لا أجيب لسانى إلى صفة قبيح أبداً .

يوم عماس

وفى اليوم الثالث أصبح القوم وهم على مواقفهم وقد أصيب من المسلمين ألفان ما بين قتل وجريح وأحرز المسلمون قتلاهم خلف ظهورهم ووكلوا بهم من يدفنهم وبالجرحى من يبلغهم مكان النساء لتمريضهم وكان النساء والصبيان يحفرون القبور فى يومى أغواث وأرماث .

وقد بات القعقاع يسرب أصحابه وأمرهم أن يعودوا من النهار مائة مائة ليجدد نشاط المسلمين ، وكان قتلى فارس بين الصفين لم يوارهم أحد ، فكان ذلك مما أشجى الفرس وفت فى عضدهم . وزاد ذلك ما صنعه القعقاع بجنوده وطلوعهم مدداً للمسلمين واقتدى به عاصم بن عمرو ووصل هاشم بن عتبة فى سبعمائة من جند عتبة بن أبى وقاص فصنع القعقاع وكلما جاء جماعة كبر المسلمون .

أما الفرس فقد أصبحوا على مواقفهم وقد أصلحوا توابيت الفيلة فأقبلت ومعها رجال يحمونها أن تقطع وضنها ومن خلفهم رجال تحميهم إذا أرادوا كتيبة دلفوا لها بفيل وأتباعه لينفروا بهم خليهم ، وقد ظن الفرس أن ذلك يكون كما حصل فى يوم الرماث ولكن خيل المسلمين لم تنفر من الفيلة فعلها فى ذلك اليوم ، لأن الفيلة فيه كانت وحدها ، فلما كانت فى هذا اليوم والفيلة معها

الرجال أنست الخيل ولم تنفر . واستمر القتال شديداً بين العرب والعجم كل فريق منها صابر على شدة القتال والنجدات تصل إلى الفرس ويزدجرد يزجيها ويمدهم بأهل النجدة والبأس مّن قومه والأمداد تصل على البرد هم يقوون بها كما قوى المسلمون بهاشم بن عتبة ومن معه ، وكان البلاء فيه من الجانبين على السواء .

رأى سعد أن الفيلة قد عادت إلى فعلها فى اليوم الأول فأرسل إلى جماعة من مسلمة الفرس أسلموا قبيل الحرب فسألهم : هل للفيلة مقاتل ؟ قالوا : نعم مشافرها وعيونها ، فأرسلوا إلى القعقاع وعاصم ابنى عمرو وقال لهما : اكفيانى الفيل الأبيض ، وأرسل إلى الربيل وحمال الأسديين وقال لهما : اكفيانى الفيل الأجرب ، وكانت الفيلة كلها آلفة لاثنيهما . فحمل القعقاع وأخوه على الفيل الذى وجه له ففقأ عينه ونفحه بالسيف فرمى بمشفره ، فلم يكن من الفيل إلا أن يقعى على من خلفه ثم ينقلب بمن على ظهره فيقتلهم المسلمون ، وأما الآخران فعورا الأجرب بمشفره ففر ووثب فى العقيق فتبعته الفيلة وخرقت صفوف الفرس وألقت من عليها وعبرت العقيق فى أثر الأجرب حتى أتت المدائن بتوابيتها .

ولما ذهبت الفيلة وخلص المسلمون بأهل فارس ومال الظل تزاحف المسلمون وحماهم فرسانهم الذين قاتلوا أول النهار فاجتلدوا على حرد بالسيوف وهم فى ذلك على السواء .

ولما جاء الليل خرج القعقاع بن عمرو التميمى فى جند وزاحف الفرس بغير إذن سعد ثم تبعه كثير من القبائل حتى زحف الجيش كله واشتد القتال وخشعت الأصوات فلم يكن يسمع فى تلك الليلة سوى صليل السيوف كأنه صوت مطارق الحداد على الحديد ، ورأى العرب والعجم أمراً لم يروا مثله قط وانقطعت الأخبار والأصوات عن سعد ورستم وبات سعد بليلة لم يبت مثلها

وأقبل على الدعاء للمسلمين بالنصر ، فلما أصبح الصبح انتسب الناس فعلم أنهم الأعلون وأصبح الناس وهم حسرى لم تغمض عيونهم ليلتهم كلها .

ولما أصبح القوم أخذ القعقاع يحرض الناس ويقول ؛ إن الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم فاصبروا ساعة واحملوا عليهم فإن النصر مع الصبر ، فاجتمع إليه جماعة من الرؤساء وتحاضروا على الموت وحملوا فى من يليهم . فاقتتلوا أشد قتال إلى أن جاء الظهر ، وحينئذ بدأ الخلل فى صفوف الفرس فتأخروا وثارت عاصفة فألقت طيارة رستم فى العقيق وانتهى القعقاع إليها فلم يجده لأنه قام عن مكانه حين قلعت طيارته إلى بغال كانت مهيأة فاستظل بحمل بغل منها وضرب هلال بن عُلَّفة الحمل الذى تحته رستم وهو لا يدرى به فسقط عليه العدل وضربه هلال فلم يقتله فرمى بنفسه فى العقيق فأخذ هلال برجله فأخرجه وقتله ثم نادى : قتلت رستم ورب الكعبة . فأطاف به الناس وكبروا وانهزم قلب الفرس وتتابعت الهزيمة وغنم المسلمون راية الفرس وهى (درفش كابيان) ثم تتبع المسلمون المنهزمين حتى أجلوهم إلى ما وراء القنطرة ، وليلة الهرير لم يمر بالمسلمين ليلة أشد منها هولا مع الفرس ولا غيرهم وقتل فيها من المسلمين نحو ثمانية آلاف ومن الفرس ثلاثون ألفا .

قال الطبرى : فأما المقترنون فإنهم جشعوا فتهافتوا فى العقيق فخزهم المسلمون برماحهم فما أفلت منهم مخبر وهم ثلاثون ألفا وكان الذى أخذ (درفش كابيان) ضرار بن الخطاب فعوض منها ثلاثين ألف درهم ، وكانت قيمتها ألف ألف ومائتى ألف ، وقد قتل فى اليوم الذى تلا ليلة الهرير عشرة آلاف سوى من قتل فى الأيام قبله .

أما الأسلاب والغنائم فى تلك الوقعة فلم يأخذ المسلمون غنيمة مثلها قبلها ولا بعدها. وقد كان سلب رستم سبعين ألف درهم ، ولو وجدت قلنسوته لكان

ثمنها مائة ألف درهم . وقد تعقب المسلمون المنهزمين فلم يكن بهم منعة ولا مدافعة ولا نجاء ، وقد صمد للقتال بعد الهزيمة بضع وثلاثون كتيبة استحيوا من الفرار فعمد لكل كتيبة رئيس من رؤساء المسلمين فى جنده ، فمن هذه الكتائب ما استؤصل ومنها ما هرب .

ما بعد الموقعة

بعد أن انتهت الموقعة كتب سعد إلى عمر : «أما بعد فإن الله نصرنا على أهل فارس ومنحهم سنن من قبلهم من أهل دينهم بعد قتال طويل وزلزال شديد، وقد لقوا المسلمين بعده لم ير الراءون مثل زهائها فلم ينفعهم الله بذلك ، بل سلبهموه ونقله عنهم إلى المسلمين ، واتبعهم المسلمون على الأنهار ، على طفوف الآجام ، وفى الفجاج . وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارئ وفلان وفلان ورجال من المسلمين لا نعلمهم ، الله أعلم بهم ، كانوا يدون بالقرآن إذا جن عليهم الليل دوى النحل وهم آساد لا يشبههم الأسود ، ولم يفضل من مضى منهم من بقى إلا بفضل الشهادة إذ لم تكتب له» .

كان عمر حريصاً على تعرف أجناد المسلمين فى القادسية وكان كل الناس فى شبه جزيرة العرب يرونها الحد الفاصل بين العرب والفرس . ولا يرون أن الإسلام تقوم له قائمة وينتظم للأمة العربية حال إلا بالظفر فيها ، يشترك فى هذا الاعتقاد كل أهل الجزيرة من عدن أبين إلى أبلة إلى البحرين إلى حدود الشام . حتى الرجل منهم إذا كان له عمل أحجم عنه حتى يرى ما يكون من شأن حرب القادسية فلا غرو إذا كان عمر مشغول القلب والبال بها .

كان يخرج كل يوم يتنسم الأخبار من حين يصبح إلى انتصاف النهار ثم يرجع إلى منزله ، وبينما هو بسبيل ذلك ذات يوم لقى البشير عمر ، فسأله من

أين ؟ فأخبره . قال يا عبد الله حدثني . قال : هزم الله العدو وعمر يخب معه ويستخبره والبشير بسير على ناقته ولا يعرفه حتى دخل المدينة . فإذا الناس يسلمون عليه بإمرة المؤمنين . فقال الرجل هلا أخبرتني رحمك الله أنك أمير المؤمنين ؟ وجعل عمر يقول : لا عليك يا أخي . فهكذا يكون امراء المؤمنين والخلفاء الراشدون .

قرأ عمر الكتاب على الناس وقال : إني حريص على أن لا أدع حاجة إلا سددتها ما اتسع بعضنا لبعض ، فإذا عجز ذلك عنا تآسينا في عيشنا حتى نستوي في الكفاف ، ولوددت أنكم علمتم من نفسي مثل الذي وقع فيها لكم . ولست معلمكم إلا بالعمل ، إني والله ما أنا بملك فاستعبدكم ، وإنما أنا عبد الله عرض على الأمانة فإن أبيتها ورددتها عليكم واتبعتكم حتى تشبعوا في بيوتكم وترووا سعدت وإن أنا حملتها واستتبعتها إلى بيتي شقيت ففرحت قليلا وحزنت طويلا وبقيت لا أقال ولا أرد فاستعتب .

وكتب سعد إلى عمر يقول : «إن أقواماً من أهل السواد ادّعوا ولم يقم على عهد أهل الأيام لنا ولم يف به أحد علمناه إلا أهل بانقيا وبارسما وأهل أليس الآخرة وادعى أهل السواد أن فارسا أكرموهم وحشروهم فلم يخالفوا إلينا يذهبوا في الأرض» ثم كتب كتاباً يقول فيه : «إن أهل السواد جلوا فجاءنا من أمسك بعهده ولم يجلب علينا فتممنا لهم ما كان بين المسلمين قبلنا وبينهم وزعموا أن أهل السواد قد لحقوا بالمدائن فأحدث إلينا فيمن تم وفيمن جلا وفيمن ادعى أنه استكره وحشر فهرب ولم يقاتل ، أو استسلم ، فأنا في أرض رغيبة والأرض خلاء من أهلها وعددنا قليل وقد كثر أهل صلحنا وإن أعمر لها وأوهن لعدونا تألفهم» .

فقام عمر في الناس واستشارهم فيما طلبه سعد. فأجمعوا على أن الوفاء

لمن أقام وكف ولم يزده كفه إلا خيراً. وإن من ادعى فصدق أو فى فبمنزلتهم وإن من كذب نبذ إليهم وأعادوا صلحهم وأن يجعل أمر من جلا إليهم، فإن شاءوا دعوهم وكانوا لهم ذمة وإن شاءوا تموا على منعهم من أرضهم ولم يعطوهم إلا القتال، وأن يخيروا من أقام واستسلم الجزاء أو الجلاء. وكذلك الفلاحون. فكتب عمر جواب الكتاب الأول يقول : «أما بعد ـ فإن الله جلُ وعلا أنزل فى كل شئ رخصة فى بعض الحالات إلا فى أمرين: العدل فى السيرة والذكر. فأما الذكر فلا رخصة فى بعض الحالات ولم يرض منه إلا بالكثير. وأما الثانى العدل فلا رخصة فيه لقريب ولا بعيد ولا فى شدة ولا رخاء وإن رؤى ليناً فهو أقوى وأطفأ للجور وأقمع للباطل من الجور وإن رؤى شديداً فهو أنكش للكفر. فمن تم على عهده من أهل السواد ولم يعن عليكم بشئ فلهم الذمة وعليهم الجزية. وأما من ادعى أنه استكره ممن لم يخالفهم إليكم أو يذهب فى الأرض فلا تصدقوهم بما ادعوا من ذلك إلا أن تشاءوا فانبذ إليهم وأبلغهم مأمنهم».

وكتب إليه جواب الكتاب الثانى :

«أما من أقام ولم يجل وليس لهم عهد فلهم ما لأهل العهد بمقامهم لكم وكفهم عنكم إجابة عدوكم . وكذلك الفلاحون إذا فعلوا ذلك . وكل من ادعى وصدق فلهم الذمة وإن كذبوا نبذ إليهم . وأما من أعان رجلا فذلك أمر جعله الله لكم فإن شئتم فادعوهم إلى أن يقيموا لكم فى أرضهم ولهم الذمة وعليهم الجزية وإن كرهوا ذلك فاقسموا ما أفاء الله عليكم منهم » .

هذا ما تضمنته الكتب وأجوبتها من الأمور الإدارية والنظام البديع وطرق الاستعمار . وإنما العجب أن يصدر عن قوم لا عهد لهم بهذه الأمور ، وإنما يصل إليها الناس بعد الدرس والبحث والتجارب الطويلة » .

فلما عادت كتب عمر عرضوا على من يليهم ممن جلا وتنحى عن السواد أن يتراجعوا ولهم الذمة وعليهم الجزية فتراجعوا وصاروا ذمة كمن تم ولزم خراجهم أثقل . وأنزلوا من ادعى الاستكراه وهرب منزلتهم وعقدوا لهم . ونزلوا من أقام منزلة ذى العهد . وكذلك الفلاحون . ولم يدخلوا فى الصلح ما كان لآل كسرى ولا ما كان لمن خرج معهم ولم يجبهم إلا إلى واحدة من اثنتين : الإسلام أو الجزاء فصارت فيئا لمن أفاء الله عليه فهى والصوافى الأولى ملك لمن الله عليه وسائر السواد ذمة . وأخذوهم بخراج كسرى . وكان على رؤوس الرجال على ما فى أيديهم من الحصة والأموال .

ولم تتأت قسمة ما كان لآل كسرى ومن أقام معهم لأنه كان متفرقاً فى السواد فكان يليه لأهل الفئ من وثقوا به وتراضوا عليه .

ما بعد القادسية

أقام سعد بالقادسية شهرين بعد انتهاء الموقعة . وذلك أمر طبيعى بعد موقعة قاسى فيها الجيش شدائد عظاماً وأهوالاً جساما واصطلى بنارها جميع الجيش، فكانوا بعد ذلك كله فى حاجة إلى الجمام والراحة . ولو كان عند سعد جيوش احتياطية لم تشهد الحرب ولم تكتو بنارها لكان فى حكم الحزم أن يرمى الفرس بها قبل أن يأخذوا راحتهم ويدبروا أمرهم ، لأن المعالجة فى مثل هذه الحال حزامة - ولكن القوم كانوا على ما علمنا من قلة عدد وقد قاتلوا عدواً يفوقهم أضعافاً وقد نالوا منه ونال منهم . فلابد أن يكونوا فى حاجة إلى الراحة والمدد - ومع هذا فما كان احتياج القوم إلى الراحة ليحبسهم شهرين فى القادسية ، بل كان أكثر ما لبثهم تطهير النواحى التى غلبوا عليها من الأعداء حتى لا يتركوا وراءهم عورة يخافونها وأن ينتهوا مع من دانوا لهم بالطاعة على

حال وأن يستأمروا عمر فى شأنهم وفى الوجه الذى يريد أن يرميهم به والعمل بما ينبغى .

أمر عمر رضى الله عنه سعداً أن يؤم المدائن وعهد إليه أن يخلف النساء والعيال بالعقيق ويجعل معهم كثفاً من الجند وأن يشركهم فى كل مغنم ما داموا يخلفون المسلمين فى عيالاتهم - فقدم زهرة بن الحوية إلى اللسان الذى أدلعه البر فى الريف وعليه الكوفة اليوم والحيرة قبل اليوم وكان النخير جان معسكراً به فأرفض ولم يثبت فلحق بأصحابه .

برس

وبعد تقديم زهرة إلى اللسان أتبعه بعبد الله بن المعتم ، ثم شرحبيل بن السمط ثم هشام بن عتبة وقد ولاه عمل خالد بن عرفطة وجعل خالداً على الساقة ثم أتبعهم وكل المسلمين فارس مؤد قد نقل الله إليهم ما كان فى عسكر فارس من سلاح وكراع ومال وكان ارتحاله لأيام بقين من شوال فلما وصلت مقدمة المسلمين (بُرْس) لقيهم جمع من الفرس بُصْبُهُرى ، فلم يكن بين الفريقين كبير قتال حتى انهزموا إلى بابل ، وبها فل القادسية وجميع رؤساء الفرس كالنخيرجان ومهرجان ومهران الرازى والهرمزان وأشباههم وعليهم الفيرزان ، ولما رأى بسطام دهقان برس أن المسلمين قادمون على بلاده وقد هزموا من بإزاء بلده من الفرس بعد أن هزموا عسكرهم الأكبر بالقادسية وقتلوا قائدهم الأعظم وعلم أن بلده حاصل فى قبضتهم وخاف معرة دخولهم عليه عنوة وخشى أن يعتريه أحد منهم بسوء بادر إلى زهرة فاعتقد منه ذمة وعقد له الجسور وأتاه بخبر الذين اجتمعوا ببابل لمواقفة المسلمين .

يوم بابب، وكوثى

فلما علم زهرة بما أنبأه به بسطام كتب إلى سعد يعلمه بما أجمع عليه الفرس وملأ أعدوا له ، وقد قال الفرس فيما بينهم : نقاتلهم دستا (طابقاً) قبل أن نتفرق وذلك ليبلوا عذرا أمام الأمة حتى لا يقال إنهم تفرقوا وتشتت جمعهم وهم فى عدة تفوُق المسلمين تمكنهم من أن يوافقوهم فخلوا بينهم وبين البلاد وهلعا ـ ومعلوم أن جيشا يقاتل على مثل هذه النية لا يكون مآله سوى الهزيمة ولا تغنيه كثرة العدد شيئاً لأن توطيد الجند العزيمة على النصر وانفساح الآمال بالفوز أمامهم وعظم الثقة بالنصر مدد لا يعادله مدد ، وأما ضد ذلك إذا جال فى رؤوس القواد والجنود فهو هزيمة معجلة وخذلان تسلفوه .

التقى الجمعان ببابل بعد أن زُجى سعد الجيوش إليها وفى رؤوس الفرس ما بينا والمسلمون كما قد علمنا وأفكارهم ما بينوه ليزدجرد ورستم ورؤساء فارس فلم يكن إلا كلفت الرداء حتى انهزم الفرس ، ثم لم يكن لهم هم سوى الافتراق ، فخرج الهرمزان إلى ناحية الأهواز فأخذها وأكلها ومهرجان قذف وخرج الفيرزان حتى نزل على نهاوند وبها كنز كسرى فاحتواها وأكل الماهين وولى النخيرجان ومهران الرازى وجهيهما شطر المدائن حتى عبراً (بَهُرَ سير) إلى جانب دجلة الآخر ثم قطعا الجسر .

أقام سعد أياما ببابل وبلغه أن النخيرجان ومهران قد خلفا شهريار دهقان كوثى لقتال المسلمين فى جمع من الجنود ، فقدم سعد إليه الجيوش ، فالتقى أوائل جموع المسلمين بجنود شهريار فلم يلبث أن طلب البراز وقال : «ألا رجل» ألا فارس منكم شديد عظيم يخرج إلى حتى أنكل به ؟ فأخرج له زهرة أبا نباتة بن نائل بن جعشم الأعرجى فخرج إليه . وكلاهما وثيق الخلق إلا أن شهريار مثل الحمل فلما تلاقيا تجالدا ثم تعانقا . فصرع شهريار أبا نباته وأراد أن

يحتز رأسه بخنجره فوقعت إبهام الفارسى فى شدق أبى نباتة فلاكها فاسترخى الفارسى وفتر فانقلب عليه واحتز رأسه واستلبه وأخذ برزونه ، وكان يلبس ملابسه ويتحلى بحلاه ويلبس أساوره عند الحرب ، وهو أول مسلم تزيا بذلك الزى بأمر من سعد بن أبى وقاص .

بهر سير

بهرسير إحدى المدائن التى سميت بها المدائن وهى فى غدوة دجلة الغربية تجاه إيواء كسرى ولم يبق نم المدائن سواها إلى عهد صاحب معجم البلدان .

قدم سعد زهرة من كوثى إلى بهرسير ، فتلقاه شيرزاد بساباط بالصلح وتأدية الجزاء فأرسله إلى سعد حتى قدم معه ، ثم سار زهرة حتى أتى إلى المظلم وكان به كتيبة لكسرى تسمى بوران ولعلها بمنزلة ما يسمونه الحرس الملوكى - وكان أهل هذه الكتيبة مدلين بأنفسهم ويقسمون بأن ملك فارس لا يزول ما عشنا ، يفعلون ذلك كل يوم - فلقيهم زهرة بجنوده ففلهم ، ثم جاء هاشم بن عتبة بن أبى وقاص إلى المظلم ووقف حتى لحق به سعد ووافق ذلك رجوع (المقرط) وهو أسد كان لكسرى قد ألفه وتخيره من السواد مظلم ساباط فبادر المقرط الناس حتى انتهى فخرج إليه هاشم فقتله بسيفه ، وقيل سعد رأس هاشم ، فقيل هاشم قدم عمه سعد ولما جاء إلى المظلم قرأ ﴿أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال﴾ ، وقدم سعد على بهر سير - وكلما قدمت خيل من خيول الإسلام إليها كبروا إلى أن تنام الجند وكان ذلك فى السنة الخامسة عشرة .

أقام سعد على بهرسير شهرين يحاصرها ويرميها بالمجانيق ويدب إليها بالدبابات ويقاتلونهم بكل عدة ، وكان الفرس البادئين بالرمى بالمجانيق والعرادات

فاستصنعها سعد وأقام عليها عشرين منجنيقاً فشغلهم بها - ولما طال الأمد على الفرس خرجوا فى رجاله وناشبه وتجردوا للعرب وتبايعوا على الصبر فقاتلتهم المسلمون فلم يثبتوا لهم .

ولما رأى الفرس أن البقاء فى هذه المدينة لا يستقيم تركوها ودخلها المسلمون فلم يجدوا فيها غير نفر قليل وقعوا أسرى فى أيديهم - وفى مقام سعد على بهرسير أرسل سراياه فأغارت فى سواد الفرات فأتت بناس من الفلاحين لا عهد لهم ولا ذمة . فكانوا مائة ألف فقال شيرزاد : إن هؤلاء علوج لأهل فارس لم يحرضوا عليكم فاتركوهم حتى يفرق لكم الرأى ، فتركهم سعد بعد أن كتب عليه أسماءهم ثم كتب إلى عمر يقول : «إنا وردنا بهرسير بعد الذى لقينا فيما بين القادسية وبهرسير فلم يأتنا أحد لقتال فبثثت الخيول فجمعت الفلاحين من القرى والآجام فما رأيك» فأجابه «إن من أتاكم من الفلاحين إذا كانوا مقيمين لم يعينوا عليكم فهو أمانهم ، ومن هرب فأدركتموه فشأنكم به» فلما وصل كتاب عمر خلى سعد عن أولئك الفلاحين فلم يطلبهم ، ودعاهم إلى الإسلام والرجوع أو الجزاء ولهم الذمة والمنعة فتراجعوا عن الجزية والمنعة فلم يبق فى غربى دجلة إلى أرض العرب سوادى إلا آمن واغتبط بملك الإسلام واستقبلوا الخراج .

المدائن القصوى

ولما دخل سعد بهرسير وكان ذلك فى شهر صفر سنة ١٦ طلب السفن ليعبر عليها من عدوة دجلة الشرقية فلم يجد سفيناً يجيز الناس عليهن فبقى على ذلك أياماً من صفر فجاء بعض أهل فارس ودلهم على مخاضة فخشى سعد ذلك ثم بدا له أن يجيز بهم فى دجلة وقد جاء المدد، فقام فى الناس فقال: «إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصوا إليهم معه وهم يخلصون إليكم

إذا شاءوا فينا وشونكم فى سفنهم وليس وراءكم من تخافون أن تؤتوا منه فقد كفاكم أهل الأيام وعطلوا ثغورهم وأفنوا ذادتهم، وقد رأيت من الرأى أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا، إلا أنى قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم، فقالوا جميعاً: عزم الله لنا ولك على الرشد. ثم انتدب الناس ليحموا الفراض حتى يعبر الناس ويتلاحقوا حتى لا يمنعهم الفرس العبور فانتدب أنجاد الناس وأولهم عاصم بن عمرو ذو البأس وانتدب معه ستمائة من أهل النجدات فجعل عاصماً عليهم فصار بهم عاصم وانتدب منهم ستون ليكونوا أولين، فاقتحموا دجلة بخيلهم ورآهم الفرس فاقتحموا خيلهم دجلة ليلاقوهم ويمنعوهم فلقوا عاصماً فى السرعان فصاح عاصم: الرماح الرماح، اشرعوها وتوخوا العيون، فطعنوهم فى أعينهم فمن لم يقتل منهم صاروا عورانا فساحلوا بخيلهم فلم تصل إلى الشاطئ حتى ولت مدبرة وملك الستون الفراض وتلاحق سائر الستمائة ثم اقتحم المسلمون دجلة حتى صاروا بالعدوة الشرقية مع الفرس، والذى يظهر أن الفرس باحتوائهم السفن كانوا آمنين أن يعبر إليهم المسلمون فى زمن قريب، وأن ذلك لا يكون إلا بعد أن يحصلوا على سفن يجيزون فيها إليهم ، فلم يكن بالقوم استعداد للقائهم فى ذلك الحين ولا على تلك الحال ، فأجهضهم المسلمون وأعجلوهم عن جمهور أموالهم واقتحموا عليهم مدينتهم على هذا الوجه واستولوا على كل ما بقى فى بيت كسرى من الأموال .

وقد قال الطبرى : فيما هيج سعداً على دعاء الناس لعبور دجلة - إن علجا فارسياً أتى سعداً فقال ما يقيمك ؟ لا يأتى عليك ثالثة حتى يذهب يزدجرد بكل شئ فى المدائن .

والذى يفهم من ذلك أن سعداً كان على ثقة من أن القوم قد يئسوا من المقام فى المدائن وأن حاميتهم لا تصلح للمقاومة ، وإلا كان عمله مخاطرة لا

تصح من قائد حريص ولا تلتئم مع تحذير عمر له ذلك التحذير الذى علمناه .

كان يزدجرد قد أحس سوء الحال فرحل عياله إلى حلوان حين فتحت بهرسير ، ولما علم بعبور المسلمين خف حتى لحق بعياله وخلف مهران الرازى والنخيرجان وخرجوا معهم بما قدروا عليه من حر متاعهم وخفيفه وما قدروا على استخلاصه من بيت المال والنساء والذرارى وتركوا فى الخزائن من الثياب والمتاع والآنية والفضول والألطاف والأدهان شيئاً لا تعلم قيمته لكثرته وغادروا ما أعدوا للحصار من البقر والغنم والأطعمة والأشربة . وكانت كتيبة الأهوال أول داخل المدينة وهى كتيبة عاصم ابن عمرو ثم الخرساء ، وهي كتيبة القعقاع بن عمرو وحمال بن مالك والربيل بن عمرو- فأخذوا فى سككها لا يجدون أحداً إلا من كان بالقصر الأبيض . وقد استجابوا على الذمة وقد نزل سعد القصر الأبيض، وصلى فيه صلاة الفتح وجعله مسجداً ودخله وهو يقول : ﴿ كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأرثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ﴾.

فى مثل هذا الدخول الفجائى الذى دخل به المسلمون مدائن كسرى، وبخاصة إذا كان بحالة غريبة ، يستولى الفزع على الأفئدة وتجيش النفوس إلى الفرار ومفارقة الديار ، ولكن كثيراً ممن يستولى على نفوسهم الهلع ويجلون عن أوطانهم لا يذهبون بعيداً عنه حتى تضيق الدنيا فى وجوههم وتحرج صدورهم وتعمى عليهم السبل ثم تنازعهم نفوسهم إلى مألفهم القديم ثم لا يلبثون أن يعودوا ، ولا سيما إذا عرفوا أن من ملأ الخوف قلوبهم منه وظنوه فتاكاً لا يأخذ الناس بعنف ولا يسوسهم بعسف ، بل يبسط المعدالة ويتوخى حسن السيرة . فإنهم حينئذ يعودون إلى وطنهم ويثوب إليهم رشدهم . كذلك كان حال

أهل المدائن فإنهم تراجعوا إلى مدينتهم ودخلوا فى ذمة المسلمين إلا من كان من آل كسرى ومن معهم .

ثم جمع سعد ما وجد فى خزائن كسرى من الأموال والغنائم فكان شيئاً كثيراً فخمسه وقسم أربعة الأخماس على المقاتلين ، فكان نصيب الفارس اثنى عشر ألف درهم ، وهو شئ لم يكن أحد من العرب يظن أن يراه فى منامه ، وكان كل المسلمين فرساناً وبعضهم معه النجائب ، ثم قسم سعد دور المدائن على الناس وأنزلهم بها ثم جمع الخمس وأدخل فيه كل شئ أراد أن يعجب منه عمر من ثياب كسرى وحُلِيّه وسيفه وماكان يعجب العرب أن يقع إليهم وكان فى ما أرسله إلى عمر أيضاً بساط ذرعه ستون ذراعاً فى مثلها فيه طرق كالصور وفصوص كالأنهار وخلال ذلك كالدبر وفى حافاته كالأرض المزروعة والأرض المبقلة بالنبات فى الربيع من الحريرعلى قضبان الذهب ، وقواره بالذهب والفضة وأشباه ذلك ـ فلما قسم سعد الفئ فى العسكر فضل هذا البساط عنهم ولم تستقم قسمته . فجمع سعد المسلمين فقال : «إن الله قد ملأ أيديكم وقد عسر قسم هذا البساط ولا يقوى أحد على شرائه ، فأرى أن تطيبوا به نفساً لأمير المؤمنين يضعه حيث شاء ، ففعلوا . فلما قدم البساط على عمر بالمدينة جمع الناس واستشارهم ، فمن مشير بقبضه وآخر مفوض إليه وآخر مرقق. فقام على حين رأى عمر يأبى حتى انتهى إليه فقال : لم تجعل علمك جهلا ويقينك شكا ؟ أنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت فأمضيت أو لبست فأبليت أو أكلت فأفنيت . قال : صدقتنى ، فقطعه وفرقه فى الناس ـ وفى رواية أخرى أنه قال له: يا أمير المؤمنين الأمر كما قالوا ولم يبق إلا التروية . إنك إن تقبله على هذا اليوم لم نعدم فى غد من يستحق به ما ليس له . فقال : صدقتنى . وقد أصاب علياً قطعة منه فباعها بعشرين ألفاً وما هى بأجود تلك القطع .

ونوى سعد الإقامة بالمدائن وصلى فيها صلاة المقيم وأول جمعة صليت في العراق كانت بالمدائن فى صفر سنة ١٦ هجرية ، ثم بث السرايا تغير فيما حول المدائن فى الوجوه كلها . وصدر الأمر من عمر بولاية سعد بن أبى وقاص صلاة ما غلب عليه وحربه وولى النعمان وسويد بن عمرو الخراج أولهما على ما سقت دجلة وثانيهما على ما سقى الفرات ، ولما جئ إلى عمر بتلك الأخماس من الغنيمة وفيها زينة كسرى وتاجه وحلاه وأزياؤه التى كان يلبسها للمباهات وبساطه ، أكثر الناس الكلام فى فضل أهل القادسية وحق لهم أن يكثروا ، قال عمر : أولئك أعيان العرب وغررها اجتمع لهم مع الأخطار الذين ، هم أهل الأيام وأهل القواديس .

يقول ابن الأثير : كان فى بيت المال ثلاثة آلاف ألف ألف ألف ثلاث مرات أخذ منها رستم عند سيره إلى القادسية النصف وبقى النصف .

وهذا المقدار يزيد على عشرات المقدار الذى كان موجوداً لأنه يقتضى أن يكون فى خزائن كسرى ثلاثة آلاف بليون وهو مقدار لا يمكن أن يتفق مثله لدولة فى ذلك العهد مهما كان عمرانها مستبحراً وخراجها وافراً .

قال ابن الأثير نفسه : إن سهم الفارس بلغ فى المدائن اثنى عشر ألف درهم وكان المسلمون جميعاً فرساناً ، فإذا فرضنا أن المسلمين كان عددهم فى ذلك اليوم هو عددهم يوم القادسية بزيادة الربع كان عدد المسلمين الذين كان لهم حظ من غنيمة المدائن ستين ألفاً

فعلى ذلك يكون عدد النقود التى قسمت على الغانمين ٧٢٠ مليوناً .

فإذا أضيف إلى ذلك الخمس (١٨٠ مليوناً) كان مجموع ذلك ٩٠٠ مليون.

وإذا كان رستم أخذ مقداراً مساوياً له كان ما فى الخزائن من قبل ١٨٠٠ مليون . وبعبارة أخرى بليوناً واحداً وثمانمائه مليون ، فأين هذا من ثلاثة تزليونات وهو يزيد عما أدى إليه الحساب مع بالتساهل تزليونان وثمانية وتسعون بليونا ومائتا مليون .

جمع من غنائم أهل المدائن وقسمتها

كان سعد قد جعل على الأقباض عمرو بن عمرو بن مقرن وعلى القسمة سليمان بن ربيعة الباهلى فجمع ما فى القصر والإيوان والدور وأحصى ما يأتيه به الطلب وكان أهل المدائن قد نهبوها عند الهزيمة وهربوا فى كل وجه ، فما أفلت منهم أحد بشئ إلا أدركهم الطلب فأخذوا ما معهم . ورأوا بالمدائن قباباً تركية مملوءة سلالا مختومة برصاص فحسبوه طعاماً فإذا فيها آنية الذهب والفضة وكان الرجل يطوف ليبيع الذهب بالفضة متماثلين ورأوا كافوراً كثيراً فحسبوه ملحاً فعجنوا به فوجوده مراً وأدرك الطلب مع زهرة جماعة من الفرس على جسر النهروان فازدحموا عليه فوقع منهم بغل فى الماء فعجلوا وأكبو عليه فقال بعض المسلمين . إن لهذا البغل لشأنا فجالدهم المسلمون عليه حتى أخذوه وفيه حلية كسرى : ثيابه وخرزاته ووشاحه ودرعه التى فيها الجوهر وكان يجلس فيها للمباهاة ولحق الكلخ بغلين معهما فارسيّان فقتلهما وأخذ البغلين فأبلغهما صاحب الأقباض وهو يكتب ما يأتيه به الرجال فقال له : قف حتى ننظر ما معك فحط عنهما فإذا سفطان فيهما تاج كسرى مرصعاً وكان لا يحمله إلا الاسطوانيان وفيه الجوهر وعلى البغل الآخر سفطان فيهما ثياب كسرى التى كان يلبس من الديباج المنسوج بالذهب المنظوم بالجوهر وغير الديباج منسوجا منظوما وأدرك القعقاع بن عمرو فارسياً وأخذ منه عيبتين فى إحداهما خمسة أسياف وفى الأخرى ستة أسياف وأدرع منها درع كسرى ومغافره ، ودرع

هرقل ودرع خاقان ملك الترك ودرع داهر ملك الهند ودرع بهرام جوبين ودرع سياوخش ودرع النعمان استلبها الفرس أيام خاقان وهرقل وداهر .

وأما النعمان وجوبين فحين هربا من كسرى - والسيوف من سيوف كسرى وهرمز وقباذ وفيروز وهرقل وداهر وبهرام وسياوخش والنعمان والقعقاع الجميع عند سعد فخيره بين الأسياف فاختار سيف هرقل وأعطاه درع بهرام ونفل سائرها في الخرساء إلا سيف كسرى والنعمان بعث بهما إلى عمر بن الخطاب لتسمع العرب بذلك . حسبوها في الأخماس وبعثوا بتاج كسرى وحليته وثيابه إلى عمر ليراه المسلمون وأدرك عصمة بن خالد الضبي رجلين معهما حماران فأمسك أحدهما وهرب الآخر فأخذ الحمارين فأتى بهما صاحب الأقباض فإذا على أحدهما سفطان في أحدهما فرس من ذهب بسرج من فضة وعلى ثفره ولباته الياقوت والزمرد المنظوم على الفضة ولجام كذلك وفارس من فضة مكلل بالجوهر ، وفي الآخر ناقة من فضة عليها شليل من ذهب وبطان من ذهب ولها زمام من ذهب وكل ذلك منظوم بالياقوت ، وعليها رجل من ذهب مكلل بالجواهر . وكان كسرى يضعها على اسطوانتي التاج .

وأقبل رجل بحُق إلى صاحب الأقباض فقال : هو والذي معه ما رأينا مثل هذا ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه ، فقالوا : هل أخذت منه شيئاً ؟ فقال : والله لولا الله ما أتيتكم به . فقالوا : من أنت ؟ فقال : والله لا أخبركم فتحمدوني ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه فأتبعوه رجلا فسأل عنه فإذا هو عامر بن عبد قيس ، وقال سعد : والله إن الجيش لذو أمانة ولولا ما سبق لأهل بدر إنهم على فضل أهل بدر ، لقد تبعت منهم هناة ما أحسبها من هؤلاء .

قال جابر بن عبد الله : والذي لا إله إلا هو ما اطلعنا على أحد من أهل القادسية أنه يريد الدنيا مع الآخرة فلقد اتهمنا ثلاثة نفر فما رأينا كأمانتهم

وزهدهم وهم طليحة وعمرو بن معد يكرب وقيس بن المكشوح .

وقال عمر لما قدم عليه بسيف كسرى ومنطقته وبزبرجده : إن قوماً أدوا هذا لذو أمانة ، فقال على . إنك عففت فعفت الرعية ، ولما جمعت الغنائم قسم سعد الفئ بين الناس بعد ما قسمه وكانوا ستين ألفاً فاصاب الفارس اثنى عشر ألفاً وكلهم كان فارساً ليس فيهم راجل .

وقعة جلولاء

قال ياقوت : طَسُّوجٌ من طساسيج السواد فى طريق خرسان بينها وبين خانقين سبعة فراسخ ، ثم حكاه بالقصر والمد فى قول القعقاع :

ونحن قتلنا فى جلولا أثابراً ومهران إذ عزت عليه المذهب

ويوم جلولاء الوقيعة أفنيت بنو فارس لما حوتها الكتائب

وسبب هذه الوقعة أن الفرس لما انتهوا إلى جلولاء فى هربهم من المدائن إلى هذا الموضع وافترقت الطرق بأهل أذربيجان والباب وأهل الجبال وفارس - ويظهر أن جمهور جيش الفرس كان مجتمعاً من هذه الأقاليم - فقال رؤوس القوم : إنا إذا افترقنا لم نجتمع أبداً وهذا مكان يفرق بيننا . فهلموا فلنجتمع للعرب ولنقاتلهم ، فإن كان الظفر لنا فذاك الذى نحب ، وإن كانت الأخرى نكون قد قضينا الذى علينا .

ويظهر أن القوم فى هذه المرة كانوا قد وطنوا أنفسهم على الاستماتة فى القتال وصدق الحملة فاجتمعوا تحت إمرة مهران الرازى واحتفروا خندقاً حل حصنهم وأحاطوه بحسك الخشب أول أمرهم ثم استبدلوا به حسك الحديد إلا طرقهم ، وعلم سعد بأمرهم فاستأمر عمر فأمره ، أن يسرح إليهم هاشم بن عتبة فى اثنى عشر ألفاً وأن يجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو ، فسار هاشم

فى جيشه وفيه وجوه المهاجرين والأنصار وأعلام العرب ممن كان ارتد وممن ثبتوا على إسلامهم إلى أن نزل على الفرس بمكانهم هذا .

كاتب الفرس كسرى يزدجرد وهو بحلوان يعلمونه بأمرهم الذى أجمعوا عليه فأمدهم بالأموال والرجال وجعل يتنفر الفرس فيما يليه وكلما اجتمع إليه جند بعثهم إليهم مدداً . وقد عزم الفرس هلى المطاولة لا يخرجون إلى القتال إلا إذا شاءوا والمسلمون محيطون بحصنهم فزاحفهم المسلمون ثمانين زحفاً وهم فى كل مرة ينالون من الفرس . وأمد سعد المسلمين فلما رأى الفرس أن الأمداد متواصلة إلى عدوهم خافوا أن يصير المسلمون إلى حال قوة يضعف الفرس عن منازلتهم معها وذلك أن الفرس كانوا أكثر من محاصريهم أضعافاً كثيرة وازدياد المدد على المسلمين يغير من تلك الحال فاعتزموا على القتال وتقاسموا بالنار على أن لا يفروا وجعلوا فى الخندق من ناحيتهم طرقاً لخيلهم فأفسدوا بذلك حصنهم ثم خرجوا للقتال فاقتتلوا قتالا شديداً لم يقاتلوا المسلمين مثله فى موطن من المواطن حتى أنفنوا ما معهم من نبل ونشاب واطعنوا بالرماح حتى تقصفت ثم صاروا إلى السيوف والطبرزينات فكانوا على هذه الحال صدر نهارهم إلى الظهر ، وصلى المسلمون إيماء وقد كل المسلمون وبلغ التعب بهم أشده . فجاء القعقاع بن عمرو إلى الناس فقال : «أهالتكم هذه ؟ قالوا : نعم ، نحن كالون وهم مريحون والكال يخاف العجز إلا أن يعقب . فقال: إنا حاملون عليهم ومجادلوهم وغير كافين عنهم حتى يفتح الله بيننا وبينهم ، فاحملوا حملة رجل واحد حتى تخالطوهم ولا تكذبن . ثم حمل وحملوا معه فانفرجوا فما ذب أحد عن باب الخندق وألبسهم الليل سواده فأخذوا يمنة ويسره وجاء إلى المسلمين أمداد فيهم طليحة وقيس بن المكشوح وعمرو بن معد يكرب وحجر بن عدى فوافقوا القوم وقد تحاجزوا لما أجنهم الليل ، غير أن القعقاع لم

يكف بل أمر مناديه أن يقول يا معشر المسلمين هذا أميركم قد دخل الخندق ، وقصد أن يقويهم بذلك فحملوا لا يشكون أن هاشما فى الخندق فإذا هم بالقعقاع قد أخذ به وانهزم الفرس يمنة ويسرة فوقعت خيلهم فيما أعدوا من الحسك فعقرت وصاروا رجالة ، واتبعهم المسلمون فلم يفلت منهم إلا عدد يسير وذهب جمع الفرس طعمة للسيف وصاروا مصرعين فى المجالات وتلك النواحى حتى تجللت الأرض بهم .

وصار القعقاع فى طلب الفالّة حتى وصل إلى خانقين وقتل بها مهران ثم أخذ ناحية حلوان فى جيش من الأفناء والحمراء ، فوجد الملك يزدجرد قد أجفل منها إلى الرى عندما بلغه خبر الهزيمة بجلولاء فنزل القعقاع بحلوان وكانت هذه الوقعة فى ذى القعدة سنة ١٦ هجرية ، ولم يلق القعقاع كبير قتال دون حلوان وبقى بها إلى أن تحول سعد إلى الكوفة أما غنائم جلولاء ، وما سباه المسلمون من النساء والذرية فكان شيئاً يخرج عن الوصف فكانت سهام المقاتلة تسعة آلاف وتسع دواب وفى رواية اثنى عشر ألفا ، وأما السبى فكان كثيرا من أحرار فارس حتى أن عمر استعاذ بالله من ذرية سبى جلولاء .

ولما ذهب الخمس إلى عمر كان على حسابه زياد بن أبيه ، فقص على عمر أخبار الوقعة وما كان فيها من الأهوال وما فتح الله على المسلمين ، فقال له عمر : هل تستطيع أن تقوم فى الناس بمثل ما كلمتنى به ؟ فقال : والله ما على وجه الأرض شخص أهيب فى صدرى منك فكيف لا أقوى على هذا من غيرك ؟ فقام زياد فى الناس وقص عليهم ما فتح الله عليهم وما كان منهم فى حربهم وما صنعوا وما يستأذنون فيه من الانسياح فى بلاد عدوهم فأحسن فى ذلك ما شاء الله أن يحسن . فقال عمر : هذا الخطيب المصقع ، فقال زياد : «إن جندنا أطلقوا بالفعال لساننا» وكان زياد شاباً حدثًا فى ذلك الوقت .

ثم كتب عمر إلى سعد بإقرار الفلاحين على حالهم إلا من حارب أو هرب منك إلى عدوك فأدركته وأجر لهم ما أجريت للفلاحين من قبلهم وإذا كتبت إليك فى قوم فأجروا أمثالهم مجراهم ، ثم كتب إليه سعد فى غير الفلاحين ، فكتب إليه «أما من سوى الفلاحين فذلك إليكم ما تغنموه ـ يعنى قسمته ـ ومن ترك أرضه من أهل الحرب فخلاها فهى لكم فإن دعوتموهم وقبلتم منهم الجزاء ورددتموهم قبل قسمتها فذمة ، وإن لم تدعوهم ففئ لكم لمن أفاء الله ذلك عليه.

فتح تكريت

علم سعد أن الفرس قد جمعوا جموعا بتكريت اجتمعوا من الموصل ، فسرح إليهم عبد الله بن المعتم فى جيش قوامه خمسة آلاف ، فسار أربعا حتى نزل على تكريت وفيها جموع ومعهم جموع من الروم وإياد وتغلب والنمر وقد خندقوا بها فحصرهم بها أربعين يوماً وقد تزاحفوا أربعة وعشرين زحفاً وكانوا أهون شوكة وأخف أمراً من أهل جلولاء ، ولما أحس الروم أنهم لايخرجون مرة إلا نال منهم المسلمون تركوا أمراءهم ونقلوا أمتعتهم إلى السفن ورأى العرب الذين معهم ذلك وعلموا أن القوم منفض جمعهم عنهم وأنهم لا يقوون على المسلمين بعد ذلك ، فجاءت العيون من أياد والنمر إلى عبد الله بن المعتم بالخبر وسألوه السلم للعرب فدعاهم إلى الإسلام فاستجابوا له سراً واتفق معهم على أن يأخذوا على القوم الأبواب من ناحية النهر إذا أخذها بجنده من ناحية البر . ففعلوا ونهد المسلمون لما يليهم وكبروا علامة ما بينهم وبين مسلمة ليلتهم فأخذ جنود الفرس والروم من كل ناحية ولم ينج إلا من أسلم فى تلك الليلة من العرب.

ولم يلبث عبد الله بن المعتم أن أرسل إلى الحصنين قوة ممن معه عليها الأفكل العنزى إلى الحصنين وبهما جموع من فارس . وقال له : أسبق الأخبار

وسر ما دون القيل أحْيِ الليل ، وسرح معه من كان من الفرس بتكريت من إياد والنمر وتغلب فقدمهم وعليهم عتبة بن الوعل وغيره من أمرائهم فادعى عتبة بالظفر والنفل والقفل ثم جاء من بعده من أمرائه حتى أخذوا الأبواب وأقبلت سرعان الخيل مع ربعى بن الأفكل فاقتحموا الحصنين فأجابر من استجاب وهرب من لم يستجب ثم عاد القوم وتراجع الهراب واغتبط المقيم وصاروا جميعاً ذمة ولهم المنعة .

ما سبذان

ما سبذان عن يمين حلوان إلى همذان .

وأرسل سعد بن أبى وقاص فصيلة أخرى من المدائن يقودها ضرار بن الخطاب لفتح ماسبذان ، وذلك أنه قد بلغ سعداً أن أذين بن الهرمزان قد جمع جمعاً فخرج بهم إلى السهل فأرسل إليه ذلك الجيش فالتقى ضرار بن الخطاب بمن معه بالفرس فأخذ أذين وضرب عنقه وشتت شمل جيشه وأثخن فيهم القتل ثم خرج فى طلب الفالة حتى انتهى إلى سيروان فأخذت ما سبذان عنوة فتطاير أهلها فى الجبال ثم عادوا وصاروا ذمة للمسلمين وعليهم الجزاء .

قرقيسيا

بلدة على نهر الخابور وهو يصب فى الفرات ، فهى بين الخبور والفرات.

كان سبب هذه الغزوة أنه لما رجع هاشم بن عتبة عن جلولاء اجتمعت جموع أهل الجزيرة فأمدوا هرقل بجند يساعدونه على أهل حمص وبعثوا جندا إلى أهل هيت، فوجه إليهم سعد عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف فى جند وعلى مقدمته الحارث بن يزيد العامرى فى غيره من القواد فسار عمر حتى نزل على هيت وقد خندق من بها عليهم خندقاً واعتصموا به ـ لما رأى عمر

امتناع القوم خشى أن يطول عليه الأمد ، فخرج فى نصف الجند وكتم خروجه عن الأعداء وأمر أن لا يقوضوا خيامهم حتى لا يعلم الأعداء بقلة المسلمين المحاصرين لهم ثم خلف على من أقام الحارث بن يزيد وذهب هو بمن معه حتى نزل على قرقيسيا على حال غرة من القوم لا يشعرون به فأخذها عنوة ، فطلب أهلها أن يقيموا على الجزاء ، فرضى منهم بذلك، فلما رأى من بهيت ذلك جزعوا . وكتب عمر إلى الحارث يقول له: إنهم إن استجابوا فخل عنهم فليخرجوا ، وإلا فخندق عليهم خندقاً يحيط بخندقهم وأبوابه مما يليك حتى أرى رأيى ، فسمحوا بالإجابة وانضم الجند إلى عمر ، والأعاجم إلى أهل بلادهم .

بعد هذا صار السواد كله فى يد المسلمين فمهدوا طريق إدارته وأقاموا الجنود مرابطة فى الثغور بينهم وبين الجبال فكان الفلاحون للطرق والجسور والحرث والدلالة مع الجزاء عن أيديهم على قدر طاقتهم ، وكانت الدهاقين للجزية عن أيديهم والعمارة ، وعلى كلهم الإرشاد وضيافة ابن السبيل من المسلمين وأما من أفاء الله عليهم البلاد فالضيافة كانت لهم خاصة ميراثاً ، وكان فى صلح عمر لهم أنهم إن غشوا المسلمين لعدوهم برئت منهم الذمة وإن سبوا مسلما أن ينهكوا عقوبة وإن قاتلوا مسلما أن يقتلوا وعلى عمر منعتهم وبرئ عمر إلى كل ذى عهد من معرة الجيوش.

تمصير الكوفة

لما فتح على المسلمين ما فتح من العراق وفارس أوطن المسلمون بمختلف البلدان عنها - وكان كل أمير على ناحية يبعث بالوفود إلى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه - فكان عمر يرى فى أوجه من يرد عليه تغيراً فقال لهم والله ما هيئتكم بالهيئة التى أبدأتم بها ولقد قدمت وفود القادسية والمدائن وإنهما لكما ابدؤا فما غيركم ؟ فأجابه القوم بأن وخومة البلاد قد أثرت فيهم هذا الأثر

وأراد عمر أن يتعرف الأسباب التى أثرت فيهم هذا الأثر وأهمه ذلك فكتب إلى سعد يسأله عن ذلك الذى غير ألوان العرب ولحومهم ، فكتب سعد إليه يقول : إن العرب خددهم وكفى ألوانهم وخومة المدائن ودجلة ، فكتب إليه عمر إن العرب لا يوافقها إلا ما وافق إبلها من البلدان فابعث سلمان رائداً وحذيفة - وكانا رائدى الجيش - ولم يكن أمر فى الجيش إلا أسند إلى من يقوم به - فليرتادوا منزلا برياً بحرياً ليس بينى وبينكم فيه بحر ولا جسر - فبعثهما لذلك فسارا مرتادين غربى الفرات حتى أتيا موضع الكوفة وهو حصباء ورمل مختلطان فأعجبتهما وفيها أديار ثلاثة : دير حرمة - دير أم عمرو - دير سلسلة، وبينهما خصاص خلال ذلك ، فنزلا فيها وصليا ودعوا ثم كتبا إلى سعد بالخبر فأبلغه عمر : فأمره أن يسير بالجنود ، فطلب سعد إلى أمراء الجنود بالثغور أن يستخلفوا عليها ويقفلوا إليه ففعلوا وارتحل سعد بالناس حتى عسكر بالكوفة فى المحرم سنة ١٧ هجرية ، (يناير سنة ٦٣٨) وكان بين وقعة المدائن ونزول المسلمين بالكوفة سنة وشهران وقد ترك سعد من رضى بالإقامة بالمدائن ليكونوا مسلحة للمسلمين فى نواحيهم .

كان عمر يريد ممن نزلوا الكوفة أن يكونوا فى خيامهم لأن ذلك أسرع فى انتقالهم إذا مست الحاجة إلى ذلك وليكون ذلك أهيب فى عين عدوهم وأدعى إلى إحجامه عن أمر يهم به إن كان فى رأسه شئ من ذلك ، ثم بعد ذلك استأذنوه فى اتخاذ البيوت من القصب فأذن لهم فى ذلك بعد أن عرفوه أنه هو العكرش إذا روى.

ثم أصاب الكوفة بعد ذلك حريق أتى على ثمانين بيتا فاستأذنوه فى البناء باللبن فأذن فيه وقال افعلوا ولا يزيدن أحدكم إلا على ثلاثة أبيات (حجرات) ولا تطاولوا فى البنيان وألزموا السنة تلزمكم الدولة ، فرجع المستأذنون إلى الكوفة

بذلك وكتب إلى أهل البصرة بمثله ، وكان على تنزيل الكوفة أبو هيّاج بن مالك وعلى تنزيل البصرة عاصم بن دلف أبو الجرباء ، وقد قدر عمر لهما المناهج أربعين ذراعاً وما بين ذلك عشرين ذراعاً والأزقة سبع أذرع والقطائع ستين ذراعا ، وأول شئ خطه فيهما وبنى المسجدان مسجد الكوفة ومسجد البصرة ، وقام فى وسطهما رجل شديد النزع فرمى فى كل جهة بسهم وأمر أن يبنى فيما وراء ذلك وبنى ظلة فى مسجد الكوفة على أساطين رخام فى مقدمته كانت فى بعض أبنية الأكاسرة بالحيرة بنوا لسعد داراً بحيال المسجد وهي قصر الكوفة بينها وبين المسجد طريق منتصف بناها روزبة من آخر بنيان الأكاسرة بالحيرة ، وجعل الأسواق على شبه المساجد من سبق إلى مقعد فهو له حتى يقوم منه إلى بيته ويفرغ مما معه .

بلغ عمر أن سعداً قال وقد سمع أصوات الناس من الأسواق سكنوا عنى الصويت وإن الناس يسمونه قصر سعد فبعث محمد بن مسلمة إلى الكوفة وأمره أن يحرق باب القصر ثم يرجع ، فحرق باب القصر واستدعاه سعد فلم يفعل فخرج إليه وعرض عليه نفقة فأبى وبلغه كتاب عمر إليه وفيه : «بلغنى أنك اتخذت قصراً جعلته محصناً ويسمى قصر سعد . بينك وبين الناس باب ، فليس بقصرك ولكنه قصر الخبال ، أنزل منه مما يلى بيوت الأموال واغلقه ولا تجعل على القصر بابا يمنع الناس دخوله» فحلف له سعد ما قال الذى قالوا فرجع محمد فأبلغ عمر وصدقه.

كأنى بصائحين يصيحون ما هذا الحرد الذى استفز عمر إلى أن يزعج محمد ابن مسلمة ويكلفه أن يذرع ما بين المدينة والكوفة لإحراق باب قصر أو باب بيت اتخذه أمير ليكون حجابا بينه وبين من لا يروق منظره ومن لا يحب مقابلته ؟ وهل يريد عمر أن يسكن الناس فى القبور وهم أحياء ؟ ومن الذى

حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ وأى حرج على الناس إذا استطالوا فى البناء وجملوا دروهم بما تتسع له حالهم التى صاروا إليها ؟ ومن المعلوم عند علماء الاقتصاد أنه إذا لم يوجد فى الناس أهل الثراء الذين يروقهم تأثل القصور واتخاذ الشامخ من البنيان والرائع من الزينة والزخرف لا يمكن أن يكون للأمة رقى ولا يوجد فيها من يتعاطى الفنون الجميلة فضلاً عن البراعة فيها ، فكيف يضيق عمر على الناس واسعاً ولا يأذن لهم فى اتخاذ البنيان من اللبن إلا بعد مؤامرة ثم هو بعد ذلك يأمرهم بعدم الاستطالة فى البنيان وذلك تعطيل للفنون الجميلة ومعارضة لرقى الأمم الذى هو الغاية من العمران ؟

وإن القوم على أثر من رسالة قد بهرتهم عجائبها وفى عقب نبوة أخذت بنواصيهم وعلى بينة من دين استغرق أفئدتهم وملك عليهم مشاعرهم وهم حديثو عهد بأخوة قد أحكمت عراها واستحصدت مرتها ولم تنجل عن قلوبهم تلك الروعات التى كانوا يسمعونها فى قوله تعالى : ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ وفى قوله تعالى : ﴿فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ وهذه يد عمر لم تغتسل من دماء الأعاجم والروم الذين كانوا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله وملوكهم يتخذون المصانع الشامخة والقصور المزخرفة فغرتهم الحياة الدنيا وسوغوا لأنفسهم استعباد الرعية وتسخير الكافة فى توفير لذاتهم وشهواتهم فأدال الله منهم هؤلاء القوم وهم على حال أخوة وتواس فيما بينهم لاميزة لأحد منهم على الآخر إلا بحسن البلاء أكرمهم عند الله وفيما بينهم أتقاهم لم تبهرهم الدنيا بزخرفها ولم تختلب قلوبهم بنقشها ورقشها ، فمثل عمر يخشى أن يغمس أمثال سعد بن أبى وقاص ومن على شاكلته أيديهم فيما غمست فارس والروم أيديهم فيه فيديل الله من أهل الإسلام كما أدالهم من جيرانهم بالأمس.

واتخاذ الأبواب دون الأمير وصعوبة الوصول إليه أمر لم تجر به عادة العرب ولم يألفوه فيما بينهم إلى اليوم عمر يخشى أن يكون مبدأ جبرية يقترفها سعد تحت ظله ويأخذ الناس بها باسمه سرت إليه من أهل فارس ، إذا رخص له عمر فى أخذ الناس بها كان شريكاً له فى إثمها ومساهما له فى جزائها ، وهم إنما كانوا يعيرون العجم الأمس ويحجونهم بمثل ما يتخوف عليهم مغبته اليوم ولا يحسن فى القادة أن يكونوا ممن يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم.

إن الأمر الذى أخذ به سعداً مما تصغى إليه مسامع الفئات التى تنشد المساواة وتخفيف ويلات الإنسانية وتطهير المجتمع من أدران المدنية الجائرة القاسية وتعبس له وجوه أهل الأثرة وعباد الأنانية ومن يؤهلون الأبهة ويقدسون الخيلاء .

أما تحجيره على أهل المصرين أن يبتنوا بيتهم فى أول الأمر ثم تسويغهم ذلك على شرط القصد فى البناء وعدم الاستطالة فسببه أن القوم هم جند الإسلام وأعباء الجهاد وحماة تلك النواحى وذادة الملة وهم على أهبة النجعة وعلى أوفاز للإغاثة أن دعا داع فى ناحية من النواحى ، والجندى إذا تأثل العقار وتبحبح فى اتخاذ الدور المنجدة بأنواع الزخرف والزينة كان ذلك أدعى إلى ثقل الجهاد على نفسه ورغبته عن مزايلة مستقر راحته وإذا أزعج من مكانة هذا إلى وجه من الوجوه أو ناحية من النواحى كان قلبه دائم الالتفات إلى ما خلف وراءه من نعيم وما فارق من مال هو عدل نفسه وشقيق روحه .

ومهما كان الشأن فى ذلك ، فإن عمر وضع تخطيط المصرين على قاعدة صحيحة مُحكمة فقد وسع طرقها وجعلها على نظام جميل وهى فى شكلها العام تشبه أن تكون كحلوان فى نظامها واتساع طرقها إذا قارنا بين ارتفاع الحيطان فيها وسعة المناهج والطرق لا فى الرواء والزينة ـ فكانت الكوفة تجمع

بين سكنى المدن وهواء البادية وتربتها . وذلك أدعى إلى صحة الأجسام وجودة الهواء لأن سعة الطرق للبلاد بمثابة الرئة للجسم .

وقد بنيت البصرة والكوفة فى سنة واحدة وإن كان أهل البصرة قد نزلوها قبل ذلك وبهذا يجمع بين الأقوال المختلفة فى تحديد العام الذى أسست فيه البصرة فمن قال إن ذلك كان سنة ١٤ هجرية ، فذلك مبدأ نزولها ومن قال سنة ١٧ هجرية ، فذلك عام تمصيرها .

وكانت ثغور الكوفة فى ذلك الزمن أربعة : حلوان وماسذان وقريسيا والموصل وأميرها سعد بن أبى وقاص وكانت البصرة ثغراً له أمير خاص يعينه أمير المؤمنين وقد صار كل من الكوفة والبصرة مركزاً حربياً تفصل منه الجنود لحرب العجم ، ولكل منهما جنود خاصة ترابط فيه لحين الحاجة .

فتح الجزيرة

يراد الجزيرة هنا ما بين دجلة والفرات من جهة الشام ويسمى جزيرة أقور وهى تشتمل على ديار مضر وديار بكر ومن أمهات مدنها حرّان والرُّها والرَّقة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور وماردين وآمد وميافارقين والموصل وغير ذلك .

وكان الذى أثار فتحها أن عرب الجزيرة قد أمدوا الروم بجموع كثيرة يعاونونهم على المسلمين الذين كانوا يقاتلون الروم بناحية حمص ـ فأراد عمر أن يخالفهم إلى ديارهم وبلادهم ليشغلهم فى أنفسهم وأهليهم عن نصرة الروم .

وقد نقل ابن جرير الطبرى خبر فتح الجزيرة فقال أول ما أذن عمر للجند بالكوفة بالانسياح أن الروم خرجوا وقد تكاتبوا هم وأهل الجزيرة يريدون أبا عبيدة والمسلمين بحمص فضم أبو عبيدة إليه مسالحة وعسكروا بفناء مدينة

حمص وأقبل خالد من قنسرين وانضم إليهم فيمن انضم من أمراء المسالح فاستشارهم أبو عبيدة فى المناجزة أو التحصن إلى مجئ الغياث ، فكان خالد يأمره أن يناجزهم وكان سائرهم يأمرونه بأن يتحصن ويكتب إلى عمر فأطاعهم وعصى خالداً وكتب إلى عمر بخروجهم عليه وشغلهم أجناد أهل الشام عنه وقد كان عمر اتخذ على كل مصر على قدره خيولا من فضول أموال المسلمين عدة لكون إن كان . فكان بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فرس ، فلما وقع الخبر لعمر كتب إلى سعد بن مالك أن اندب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرحهم من يومك الذى يأتيك فيه كتابى إلى حمص فإن أبا عبيدة قد أحيط به ، وتقدم بالجد والحث ، وكتب إليه أيضاً أن سرح سهيل بن عدى إلى الجزيرة فى الجند وليأت الرقة فإن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص وإن أهل قرقيسيا لهم سلف وسرح عبد الله بن عتبان إلى نصيبين فإن أهل قرقيسيا لهم سلف ثم لينفضا حران والرها . وسرح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ وسرح عياضا فإن كان قتال فقد جعلت أمرهم جميعا إلى عياض بن غنم .

وكان عياض من أهل العراق الذين خرجوا مع خالد بن الوليد منجدين لأهل الشام وممن انصرف أيام انصراف أهل العراق ممدين لأهل القادسية وكان يرافد أبا عبيدة فمضى القعقاع فى أربعة آلاف من يومهم الذى أتاهم فيه الكتاب نحو حمص وخرج عياض بن غنم وأمراء الجزيرة فأخذوا طريق الجزيرة على الفراض وغير الفراض وتوجه كل أمير إلى الكورة التى أمر عليها فأتى سهيل الرقة وخرج عمر من المدينة مغيثا لأبى عبيدة يريد حمص حتى نزل الجابية ، ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم على أهل حمص واستثاروهم وهم معهم مقيمون عن حديث من بالجزيرة منهم بأن الجنود قد ضربت من

الكوفة ولم يدوروا : الجزيرة يريدن أم حمص ؟ أجفلوا فتفرقوا إلى بلدانهم وإخوانهم وخلوا الروم . ورأى أبو عبيدة أمراً لما انفضوا غير الأول فاستشار خالداً فى الخروج فأمره بالخروج ففتح الله عليهم . أهـ .

وعلى هذا الوجه فتحت الجزيرة على الصلح وما جرى مجراه ولم تكن بلد أيسر منها أمراً ولا أسهل منها فتحاً .

كان رسول الله ﷺ قد عاهد وفد تغلب على أن لا ينصروا وليداً فكان ذلك الشرط على الوفد وعلى من أوفدهم ولم يلتزمه غيرهم . فلما جاء عمر ووجه إليهم الوليد بن عقبة وأبى أن يقبل منهم إلا الإسلام حاجوه بأنهم لا سبيل عليهم لأنهم لم يعطوا عهداً بذلك ولا شأن له عليهم ، فكتب الوليد إلى عمر فى شأنهم فكتب إليه عمر : إنما ذلك فى جزيرة العرب لا يقبل منهم فيها إلا الإسلام فدعهم على أن لا ينصروا وليداً واقبل منهم إذا أسلموا ، فقبل منهم على أن لا ينصروا وليداً ولا يمنعوا أحداً منهم من الإسلام فأعطى بعضهم ذلك فأخذوا به وأبى بعضهم إلا الجزاء فرضى منهم رضى من العباد وتنوخ . على أن رضى القوم بالجزاء إنما كان باسم صدقة أنفة منهم أن يساموا جزية ، وذلك أن الوليد أرسل رؤساءهم ودُانيهم إلى عمر فقال لهم عمر : أدوا الجزية ، فقالوا له أبلغنا مأمننا والله إن وضعت علينا الجزاء لندخلن أرض الروم والله لتفضحنا من بين العرب . فقال أنتم فضحتم أنفسكم وخالفتم أمتكم فيمن خالف وافتضح من عرب الضاحية والله لتؤدن وأنتم صغرة قمأة ، ولئن هربتم إلى الروم لأكتبن فيكم ولأسبينكم ، فقالوا خذ منا شيئا لا تسميه جزاء ، فقال أما نحن فنسميه جزاء وسموه أنتم ما شئتم . فقال على بن أبى طالب : يا أمير المؤمنين ألم يضعف عليهم سعد بن مالك الصدقة ؟ قال بلى وأصغى إليه ورضى منهم بالجزاء على أن يسمى صدقة ، وكان فى بنى تغلب عز وامتناع وكانوا ينازعون الوليد فهم

بهم وقال :

إذا ما عصبت الرأس منى بمشذ فغيك منـــى تغلـب ابنـــة وائـــل

فخاف عمر أن يحوجوه فيخرجوه إلى أن يسطو عليهم فعزله وولى عليهم سواه .

فتح الأهواز

الأهواز تتاخم حدود البصرة وكان بها الهرمزان وكان من أحد بيوتات فارس وأمته بتلك الناحية فكان يغير على البلاد التى دانت لحكم المسلمين ، فلما علم بذلك عتبة بن غزوان وهو بالبصرة استمد سعد بن أبى وقاص فأمده بنعيم بن مقرن ونعيم ابن مسعود فى عسكر وأمرهما أن يأتيا ميسان ودستيسان حتى يكون بينهم وبين نهر تيرى وأرسل عتبة بن غزوان سلمى بن القين وحرملة بن مريطة فى جند وأمرهما أن يكونا بين ميسان ودستميسان وبين مناذر . وقد دعوا بنى العم بن مالك وكانوا من حاضرى تلك الجهة فأجاب رؤساؤهم إلى أن يكونوا عونا للمسلمين واتفقوا على إحداث ثورة بمناذر ونهر تيرى والهرمزان يومئذ بين نهر تيرى وبين دلث ، فلما التقت جيوش المسلمين بجيوش الهرمزان واشتد القتال بين الفريقين كان بنو العم قد أخذوا مناذر ونهر تيرى ، ففت ذلك فى عضده وهزم جنده فقتل المسلمون منهم ما شاءوا وأسروا منهم عدة ثم عبر الهرمزان بمن بقى معه من دُجيلا أمام سوق الأهواز وصار دجيل بين المسلمين ومن معهم من بنى العم وبينه ثم طلب الهرمزان الصلح فعقد معه الصلح على الأهواز كلها ومهرجان فذق ماعدا ما فتحه المسلمون عنوة ، واتخذ المسلمون مناذر ونهرتيرى مسلحتين للبصرة فيهم الجنود مرابطون .

أقام بنو العم مسلحة للمسلمين بتلك الناحية . ثم شجر اختلاف بين بعض رؤساء بنى العم غالب وكليب وبين الهرمزان على حدود الأرضين ورؤساء بنى العم يومئذ سلمى وحرملة وغالب وكليب الوائليان ، فقدم سلمى وحرملة لينظر الخلاف فوجدا الهرمزان ظالماً لغالب وكليب فحالا بينه وبينهما . فنقض الهرمزان صلحه ومنع ما قبله واستعان بالأكراد فكثّف جنده وانتهى إلى عتبة بن غزوان فكتب بذلك إلى عمر فأمره أن يمدهم بجند من عنده عليهم حرقوص بن زهير فالتقى بنو العم وهم على سادتهم مع جند المسلمين الهرمزان على جسر سوق الأهواز فانهزم الهرمزان وجنده وفر إلى رامهر مز وافتتح حرقوص سوق الأهواز ونزل الجبل واتسقت له بلاد سوق الأهواز إلى تستر ووضع الجزية على أهل البلاد التى افتتحها وجد فى عمارتها ثم أرسل الهرمزان فى الصلح فأجابوه إلى الصلح على ما لم يفتح عنوة وهو رامهرمز وتستر والسوس وجندى سابور والبنيان ومهرجان قذف .

كان عمر يخاف أن يكون نقض أهل الذمة ما بأيديهم من العهود عن غدر من المسلمين أو ظلم لأهل الذمة فكتب إلى عتبة : أن يوفد عليه عشرة رجال من صلحاء جند البصرة ، فأوفدهم وفيهم الأحنف بن قيس ، فسأله عمر عن حال الجند وعن انتقاض من ينتقض بتلك الناحية أعن ظلم هو ؟ فقال : لا بل لغير ظلم والناس على ما تحب فصدقه عمر فيما قال . وقال عمر - وقد رأى فى ثياب الأحنف فضولا - : خصول وضعوا الفضول مواضعها تريحوا أنفسكم وأموالكم ولا تسرفوا فتخسروا أنفسكم وأموالكم ، كتب عمر إلى عتبة : أعزب الناس عن الظلم واتقوا الله واحذروا أن يدال عليكم لغدر يكون منكم أو بغى فإنكم إنما أدركتم بالله ما أدركتم على عهد عاهدكم عليه وقد تقدم لكم فيما أخذ عليكم فأوفوا بعهد الله وقوموا على أمره يكن لكم عونا وناصراً .

غزو فارس من البحرين

كان المسلمون فى ناحية البصرة والكوفة بإزاء الفرس وقد استقامت الأحوال فى الغالب والفرس فى تلك الناحية يؤدون الخراج للمسلمين لا يدخل عليهم ولهم الذمة والمنعة ، وكان عميد الصلح فى تلك الناحية من البصرة الهرمزان . وكان عمرُ يرى الاكتفاء بما فى أيدى المسلمين ويقول : وددت لو أن بيننا وبين فارس جبلا من نار لا يصلون إلينا ولا نصل إليهم .

وكان العلاء بن الحضرمى عاملا لعمر على البحرين وكان له ذكر وشهرة فى أيام حرب أهل الردة ليست لسعد بن أبى وقاص ، فلما فتح سعد العراق والفرس وظفر بالقادسية وأزاح الأكاسرة ورّث المسلمين أرضهم وديارهم عفى ذلك على ما كان للعلاء من شهرة وبلاء وكان العلاء يباريه ، فسر العلاء أن يبلى بلاء يكون فى وزان ما صنعه سعد لئلا يذهب عليه بالشرة والصيت .

ندب العلاء أهل البحرين إلى فارس فأسرعوا فى إجابته ونزلوا عند ما يسره وفرقهم أجناداً على أحدها الجارود بن المعلى وعلى الآخر السوار بن همام ، وعلى الثالث خُليد بن المنذر بن ساوى وجعله قائداً عاماً وحملهم على السفن وأجازهم فى البحر إلى فارس دون يكون قد أذن له عمر فى ذلك ولم يستأذنه فى شئ من هذا الأمر وكان عمر يكره أن يغرر بالمسلمين أو يجيزهم إلى عدوهم فى ماء قبل أن يثخنوا فى ناحيته ويكسروا شوكته .

عبرت تلك الجنود فخرجوا وبإزائهم أهل فارس وعليهم الهربذ فاجتمعوا على الجند وحالوا بينهم وبين سفنهم، فقام خليد فى الناس فخطبهم وحثهم وقال:

أما بعد : فإن الله إذا قضى أمرا جرت به المقادير حتى تصيبه ، وإن هؤلاء القوم لم يزيدوا على أن دعوكم إلى حربهم وإنما جئتم لمحاربتهم والسفن

والأرض لمن غلب فاستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين - فلما صلوا الظهر شبوا القتال بينهم وبين الفرس فقتل من قواد المسلمين السوار الجارود ، وجعل خليد يذمر القوم ويحرضهم فاشتد القتال فقتل الفرس مقتلة لم يقتلوا مثلها قبلها ولم يجد المسلمون سبيلا إلى الرجوع فى البحر لأن الفرس أغرقوا سفنهم فخرجوا يريدون البصرة فوجدوا شهرك قد أخذ عليهم الطرق فعسكروا وامتنعوا .

وصل الخبر إلى عمر فتذكر ما قدم بما حدث وخشى أن يصيب هذا العسكر ما أصاب عسكر أبى عبيدة فاشتد غضبه على العلاء فعزله وكتب يتوعده وأمره بأمر يشق عليه حمله وهو : أن يلحق فيمن معه بجند سعد بن أبى وقاص . وكتب إلى عتبة بن غزوان : أن العلاء بن الحضرمى عمل جنداً من المسلمين فأقطعهم أهل فارس وعصانى وأظنه لم يرد وجه الله بذلك فخشيت عليهم أن لا ينصروا وأن يغلبوا وينشبوا فاندب الناس واضممهم إليك قبل أن يجتاحوا .

انتدب له أنجاداً من الناس كعاصم بن عمر وعرفجة بن هرثمة والأحنف بن قيس وسواهم من أنجاد أهل الإسلام فى اثنى عشر ألفاً على البغال يجنبون الخيل وعبيهم أبو سبرة بن رهم والمسالح على حالها بالأهواز فسار لا يلقاه معارض إلى أن التقى بجيش خليد وقد كان أهل اصطخر وحدهم وشذاذ من غيره هم الذين أخذوا الطرق على جيش خليد . فلما أقام المسلمون بمكانهم طارت الأخبار إلى أهل فارس فطار إليهم من كل فج وناحية وتوافت إلى الفرس أمدادهم وتوافت المسلمين أمدادهم كذلك فاقتتلوا قتالا شديداً حالف المسلمين فيه الظفر ونالوا من الفرس ما شاءوا قتلا وأسرا . وكانت هذه الغزوة سبباً فيما طار بين الناس من شرف نابتة البصرة وكانوا أفضل نوابت الأمصار وأفضل

المصرين نابتة ثم انكفأوا بما أصابوا وعاد المنقنون من أهل هجر والبحرين إلى قبائلهم من البصرة .

ولما أحرز عتبة الأهواز وذلل الفرس فى ناحيته استأذن عمر فى الحج فأذن له . فلما قضى نسكه استعفاه فأبى أن يعفيه عليه ليرجعن إلى عمله فانصرف فمات ببطن نخلة فدفن به ، وبلغ عمر خبُره فمر به زائراً وقال : أنا قتلتك ، لولا أنه أجل معلوم وكتاب مرقوم وأثنى عليه بفضله وولى عمر بدله المغيرة بن شعبة مفتتح سنة ١٨ هجرية .

فتح رامهرمز والسوس وتستر

كان يزدجرد بمرو وفى يده ما بقى من بلاد فارس وهو رقعة فسيحة كان فى ميسوره أن يدبر أمرها لو قنع والقوم وادعون راضون به ، وعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه مقصر للمسلمين من عنانهم لا يرضى لهم بالانسياح فيما وراءهم من فارس . غير أن الله تعالى إذا أراد أمراً يسره ، فإن يزدجرد لم يسغ الغصة التى رمى بها ، فلم يقر له قرار عن استرجاع بلاده فأخذ يحمس أهل فارس ويستثير حميتهم ونخوتهم ويهزهم لاستنقاذ بلادهم ومسح العار اللاحق بهم ، فتحركوا لذلك . وكاتب بعضهم بعضاً ودخل أهل الأهواز فى أمر فارس وتعاقدو وتعاهدوا وتواثقوا على النصر ، وجاءت الأخبار إلى عمر وإلى المسلمين بالبصرة . فكتب إلى سعد أن ابعث إلى الأهواز بعثاً كثيفاً مع النعمان بن مقرن وعجل وابعث سويد بن مقرن وعبد الله ابن ذى السهمين وجرير بن عبد الله البجلى فلينزلا بإزاء الهرمزان حتى يفرغوا من امره وكتب إلى أبى موسى أن ابعث إلى الأهواز جنداً كثيفاً ، وأمر عليهم سهل بن عدى وابعث معه البراء بن مالك وعاصم بن عمرو ومجزاة بن ثور وكعب بن

سور وعرفجة بن هرثمة وحذيفة بن محصن وعبد الرحمن بن سهل والحصين بن معبد وعلى أهل الكوفة وأهل البصرة جميعاً أبو سبرة بن أبى رهم وكل من أتاه مدداً له .

فخف النعمان فى أهل الكوفة على البغال يجنبون الخيل حتى انتهى إلى تيرى فجاوزوها ثم جاوز مناذر وسوق الأهواز رامهرمز ، فلما سمع الهرمزان بقصده طمع فى نصر أهل فارس وأراد أن يقتطع النعمان ومن معه وبادر القتال بأربك وقد وردت أوائل الفرس تستر فاقتتلوا قتالا شديداً فانهزم الهرمزان وأخلى رامهرمز ولحق بتستر وأخذ النعمان رامهرمز ، ولما وصل أهل البصرة إلى سوق الأهواز جاءهم خبر الوقعة وأن الهرمزان لحق بتستر فمالوا نحوها وراغ النعمان إليها من رامهرمز وقصدنها المسالح التى تركوها خلفهم وكان عليها حرقوص وجزء ولحق بهم سلمى وحرملة من بنى العم ونزل جميعهم على تستر وبها الهرمزان وجنوده من أهل فارس ، ثم جاء أبو موسى الأشعرى مدداً للمسلمين فحاصروا الفرس أشهراً وقتل كل من البراء بن مالك ومجزاة بن ثور وكعب بن ثور وأبو تميمة ونفر سواهم فى براز الفرس مائة مقتل سوى من قتل منهم فى غير براز .

وقد زاحف المسلمون فى حرب تستر ثمانين زحفاً يكون ذلك لهم مرة وعليهم أخرى . فلما كان آخر زحف قال المسلمون يا براء أقسم على ربك ليهزمنهم لنا فقال : اللهم اهزمهم واستشهدنى فهزموهم واقتحموا عليهم خنادقهم ففزع الفرس إلى المدينة وأحاط المسلمون بها وقد ضاقت بهم المدينة .

وبينما المسلمون على ذلك إذ خرج إلى النعمان رجل من المدينة فاستأمنه على أن يدله على مدخل المدينة .

وقال أبو حنيفة الدينورى فى الأخبار الطوال أن الرجل إنما كلم أبا موسى الأشعرى وكان اسم الرجل سمينه وكان من أشراف المدينة فقال تؤمننى على نفسى وأهلى وولدى ومالى وضياعى حتى أعمل فى أخذك المدينة عنوة فجعل له ذلك فقال ابعث معى رجلا من أصحابك فندب أبو موسى الناس لذلك الوجه ، فقال الأشرس ابن عوف الشيبانى أنا فمضى معه حتى خاض به دجيلا ثم أخرجه فى سرب، حتى انتهى به إلى داره ثم أخرجه من داره ألقى عليه طيلاساناً وقال امش ورائى كأنك من خدمى ففعل ومر به فى أقطار المدينة طولا وعرضاً حتى انتهى به إلى أحراس أبواب المدينة ثم حتى مر به على الهرمزان وهو فى باب قصره ومعه ناس من مرازبته وشمع أمامه حتى نظر الرجل إلى جميع ذلك ثم انصرف إلى داره وأخرجه من السرب وعاد إلى أبى موسى فأخبره الأشرس بجميع ما رأى وقال وجه معى مائتى رجل حتى أقتل الحرس وافتح الباب فانتدب مائتى رجل مع الأشرس وسيمينه حتى دخلوا من ذلك النقب وخرجوا فى دار سيمينه وتأهبوا للحرب ثم خرجوا والأشرس أمامهم حتى أتوا إلى باب المدينة وأقبل أبو موسى فى جميع الناس حتى وافوا الباب من خارج فوافى الأشرس بمن معه وقتلوا حرس الباب وضربوا القفل حتى كسروه ودخل المسلمون ووضعوا السيف فيهم وهرب الهرمزان فى عظماء مرازبته حتى دخلا الحصن الذى فى جوف المدينة وامتنعوا به ولما أحرج الهرمزان طلب أن يسلم على حكم عمر يصنع به ما شاء فرضوا منه بذلك ثم ذهبت طلائع المسلمين فى اتباع الفالة وأخذ ما أحاط بتستر من البلدان .

أما الرجل الذى دل المسلمين على عورة بلده، فهل كان له ثأر قبل الهرمزان ؟

وأرسل أبو سبرة الهرمزان إلى عمر فلما قدموا به إلى المدينة وكان فى الوفد أنس بن مالك والأحنف بن قيس ، ألبسوه كسوته من الديباج الذى فيه الذهب ووضعوا على رأسه تاجاً يسمى الأين وألبسوه حليته كيما يراه عمر.

فلما دخلوا المدينة قصدوا بيت عمر فلم يجدوه فقيل لهم إنه فى المسجد مع وفد جاءوا إليه فقصدوا المسجد فلم يجدوه فذهبوا يسألون عنه فقال لهم ولدان المدينة ما تلددلكم تريدون أمير المؤمنين إنه نائم فى ميمنة المسجد متوسد برنسه فذهبوا إليه فوجدوه كما وصفوا ودرته معلقه فى ذراعة فجلسوا دونه وليس فى المسجد نائم ولا يقظان غيره ـ فقال الهرمزان : أين عمر ؟ فأشاروا إليه فقال : وأين حرسه وحجابه عنه ؟ فقالوا : ليس له حارس ولا حاجب ولا كاتب ولا ديوان فقال : ينبغى أن يكون نبياً ـ قالوا : لا ، بل يعمل عمل الأنبياء ، وكثر الناس واستيقظ عمر على الجلبة فاستوى جالساً ثم قال: الهرمزان ؟ قالوا: نعم ، فتأمله وتأمل ما عليه ثم قال : أعوذ بالله من النار وأستعين الله ، قال : الحمد لله الذى أذل بالإسلام هذا وأشباهه.

يا معشر المسلمين تمسكوا بهذا الدين واهتدوا بهدى نبيكم ولا تبطرنكم الدنيا فإنها غرارة ، وقال الوفد : هذا ملك الأهواز فكلمه . فقال : لا حتى لا يبقي عليه حليته شئ فرمى بكل شئ عليه إلا شيئاً يستره وألبس ثوباً صفيقاً . فقال عمر : هيه يا هرمزان كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله ؟ فقال : يا عمر إنا كنا وإياكم فى الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم إذ لم يكن معنا ولا معكم فلما كان معكم غلبتونا ـ فقال عمر : إنما غلبتمونا فى الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا ثم قال عمر : ما حجتك فى انتقاضك مرة بعد مرة فقال : أخاف أن تقتلنى قبل أن أخبرك ، قال : لا تخف ذلك واستسقى ماء فأتى به فى إناء غليظ ، فقال : لو مت عطشاً ما شربت فى هذا . فأتى به فى إناء

يرضاه فجعلت يده ترتجف وقال : أخاف أن أقتل وأنا أشرب الماء ، قال عمر : لا بأس عليك حتى تشربه فاكفأه . فقال عمر : لا تجمعوا عليه بين القتل والعطش فقال : لا حاجة لى فى الماء . فقال له عمر إنى قاتلك . فقال آمنتنى . فقال عمر كذبت . فقال أنس بن مالك صدق يا أمير المؤمنين . فقال عمر ويحك منى يا أنس أنا أؤمن قاتل البراء ومجزأة بن ثور ؟ والله لتأتينى بمخرج أو لأعاقبنك . قال قلت : لا بأس عليك حتى تخبرنى . قلت لا بأس عليك حتى تشرب . وقال له من حوله مثل ذلك فاقبل عمر على الهرمزان وقال : خدعتنى والله لا أنخدع إلا لمسلم فأسلم الهرمزان وفرض له عمر فى العطاء على الفين وأنزله المدينة .

والذى اعتقده أن عمر إنما أنزله المدينة ليكفى المسلمين عواقب غدر الرجل ومكره فإنه كان واسع الحيلة خداعاً كما يتبين من عمله هذا وما كان منه مع المسلمين فى الأهواز . والرجل لم يترك دسائسه وهو بالمدينة حتى كان من أمره ما كان حين قتل أبو لؤلؤة المجوسى عمر . ولو أنه أقام بعد عمر لتحيل حتى يرجع إلى بلاده ثم يكون له مع المسلمين شأن آخر ، فإسلامه كما اعتقد إنما كان تقية ودسيسة على الإسلام والمسلمين ، وقد بلغ من قوة مكيدة الرجل أن كان يتحبب إلى عمر ويوهمه أنه يخلص النصح له حتى يكسب ثقته .

خلص عمر إلى الوفد يسأل عن المسلمين وما يعاملون الناس به وخشى أن يكونوا اعتروا أحداً من أهل الذمة بسوء وأن يكون الانتفاض له سبب من ذلك فقال للوفد ، لعل المسلمين يفضون إلى أهل الذمة بأذى وبأمور لها ما ينتقضون بكم فقالوا ما نعلم إلا وفاء وحسن ملكه . قال فكيف هذا ؟ فقال له الأحنف يا أمير المؤمنين أخبرك أنك نهيتنا عن الانسياح فى البلاد وأمرتنا بالاقتصار على ما فى أيدينا وإن ملك الفرس حى بين أظهرهم وإنهم لا يزالون

يساجلوننا مادام ملكهم فيهم ولم يجتمع ملكان فاتفقا حتى يخرج أحدهما صاحبه . وقد رأيت أنا لم نأخذ شيئاً بعد شئ إلا بانبعاثهم وأن ملكهم هو الذى يبعثهم ولايزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا فلنسح فى بلادهم حتى نزيله عن فارس ونخرجه عن مملكته وعز أمته ، فبذلك ينقطع رجاء أهل فارس ، فقال عمر صدقتنى والله وشرحت لى الأمر عن حقه ثم قدمت الكتب على عمر باجتماع أهل نهاوند على قتال المسلمين ، فكان ذلك سببا لإذن عمر للمسلمين بالانسياح فى بلاد فارس .

فتح نهاوند

كان الفرس قد اجتمعوا بنهاوند من بلاد الجبل جنوبى همذان واستشار عمر الهرمزان . فقال : إن فارس اليوم رأس وجناحان فاقطع الجناحين يهن الرأس وذكر له أن الرأس بنهاوند وهو بندار فإن معه أساورة كسرى وأهل أصبهان . فقال عمر كذبت يا عدو الله بل أعمد إلى الرأس أقطعه فإذا قطعه الله لم يعص عليه الجناحان وكتب إلى أبى موسى أن سر بأهل البصرة ، وإلى حذيفة بن اليمان أن سر بأهل الكوفة فإذا التقيتم فأميركم النعمان بن مقرن المزنى ، وكتب إلى النعمان «بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى النعمان بن مقرن سلام عليك فإنى أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو . أما بعد ، فإنه بلغنى أن جموعاً من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند فإذا أتاك كتابى هذا فسر بأمر الله وبعون الله وبنصر الله بمن معك من المسلمين ولا توطئهم وعراً فتؤذيهم ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم ولا تدخلنهم غيضة فإن رجلا من المسلمين أحب إلى من مائة ألف دينار والسلام عليك » ، فسار النعمان فى جند المسلمين وفيهم أعيان الصحابة ووجوه العرب وأنجادهم،

ولما انتهى إلى نهاوند بث العيون ليتعرفوا له حال ناحيتها فأخبروه بأن القوم قد ألقوا حولهم الحسك وهم ممتنعون.

حط المسلمون فى تلك الناحية وأنشبوا القتال مع الفرس أياماً ثم انحجزوا فى خنادقهم لا يخرجون إلا إذا شاءوا . وخاف المسلمون أن يطول بهم المقام عليهم فكلموا النعمان فى الأمر فجمع أهل الرأى والنجدة فى الجند وأجال معهم الرأى فيما ينبغى أن يصنعه والقوم معتصمون أشد اعتصام بالحصون والخنادق والمدائن والمسلمون لا يقدرون على إنغاضهم وانبعاثهم وإنه إنما يريد أن يحمسهم ويستخرجهم إلى المنابذة وترك التطويل . فقال عمرو بن ثبى وكان أكبر الناس سناً وكانوا يبدأون بذوى الأسنان ، فقال : التحصن عليهم أشد من المطاولة عليكم فدعهم ولا تخرجهم وطاولهم وقاتل من أتاك منهم ، فردوا عليه جميعاً رأيه وقال عمرو بن معد يكرب : ناهدهم وكاثرهم ولا تخفهم . فردوا عليه رأيه ، وقالوا إنما تناطح بنا الجدران والجدران لهم أعوان علينا ، وقال طليحة الأسدى : قد قالا ولم يصيبا ما أرادا ، وأما أنا فأرى أن نبعث خيلا مؤدية فيحدقوا بهم ثم يرموهم لينشبوا القتال ويحمسوهم فإذا استحمسوا واختلطوا بهم وأرادوا الخروج أرزوا إلينا استطراداً فإنا لم نستطرد لهم فى طول ما قاتلناهم وإنا إذا فعلنا ذلك رأوا ذلك منا طمعوا فينا ولم يشكوا فى هزيمتنا فخرجوا فجالدونا وجالدناهم حتى يقضى الله فينا وفيهم ما أحب فرضى منه هذا القول . وأمر القعقاع ، ففعل وأنشب القتال فأنغضهم ثم نكص وظنها الأعاجم هزيمة فاغتنموها وخرجوا حتى لم يبق منهم سوى من يحرس الأبواب وتقهقر القعقاع إلى المسلمين حتى انقطع الفرس عن حصنهم وقد أمر النعمان الناس بأن يلزموا الأرض ولا يقاتلوا حتى يأذن لهم وقد رماهم الفرس وفشت فيهم الجراحات وجعلوا يستأذنون فى الهجوم وهو يلبثهم ثم أمر بالهجوم وصار

يمشى فى الرايات ويقول : قد علمتم ما أعزكم الله به من هذا الدين ، وما وعدكم من الظهور ، وقد أنجز لكم هوادى ما وعدكم وصدوره ، ولم يبق إلا أعجازه وأكارعه والله منجز وعده ومتبع آخر ذلك أوله واذكروا إذ كنتم وما استقبلتم من هذا الأمر وأنتم أعزة ، فأنتم اليوم عباد الله حقاً وأولياؤه . وقد علمتم أنقطاعكم من إخوانكم من أهل الكوفة والذى لهم فى ظفركم وعزكم والذى عليهم فى هزيتكم وذلكم إلى آخر ما كلمهم وأطال به.

بعثهم فانبعثوا إلى الأعداء فاقتتل الناس بالسيوف اقتتالا شديداً لم يسمع الناس بوقعة يوم قط كانت أشد هولاً منها ، وقتل من الفرس فيما بين الزوال والعتمة ما طبق أرض الميدان وما يزلق الناس والدواب . وأصيب النعمان فأخذه أخوه سواد وسجاه بثوبه . وتناول الراية حذيفة بن اليمان ولا يعلم الناس بمصاب النعمان وكتم ذلك من علمه لئلا يهن الناس حتى إذا أقبل الليل انكشف الفرس ولزم المسلمون مجالدتهم فعمى السبيل على الفرس وهووا فى هاوية كانت هناك بعيدة الغور ولم ينج من جموع الفرس سوى الشريد - وكان فيهم الفيرزان فهرب من بين الصرعى وتبعه القعقاع وهو يتعقب الفلال حتى أخذه ووصل القعقاع إلى همذان . وقد هال ذلك أهل البلاد القريبة من نهاوند فصالحوا ودخل المسلمون نهاوند واحتووا ما فيها من الأموال وكان شيئاً كثيرا وأقبل الهريذ صاحب بيت النار يطلب الأمان لنفسه ولمن يريد على أن يؤدى إليهم ما وضع عنده التخيرجان من ذخائر كسرى وهى جوهر كان أعده لنوائب الزمان فأجمع رأى المسلمين على رفعه إلى عمر مع الأخماس وخرج بذلك السائب ابن الأقرع وأدى إليه ذلك ، ولم يقبل عمر سفطى الدر بل ردهما على حذيفة ليقسم أثمانهما بين المسلمين ولم يرض بشئ مما خصوه به وهو كنوز كسرى .

وقد بكى عمر لاستشهاد النعمان بكاء شديداً حتى سمع له نشيج ، وبعد انتهاء الموقعة أذن عمر للمسلمين بالانسياح فى بلاد الفرس لقطع مادة الشغب وليبأس الملك من عود ملكه إليه حتى لا يكون كالشوكة فى جنب المسلمين ، فعين رؤساء الجنود التى تذهب لافتتاح البلدان وأرسل إليهم بالألويه وهم :

(١) الأحنف بن قيس التميمى ووجهه إلى خراسان .

(٢) مجاشع بن مسعود السلمى ووجهه إلى أردشير خُرَّة وسابور.

(٣) عثمان بن أبى العاص الثقفى ووجهه إلى اصطخر.

(٤) سارية بن زنيم الكنانى ووجهه إلى فسا ودار بجرد.

(٥) سهيل بن عدى ووجهه إلى كرمان .

(٦) عاصم بن عمرو ووجهه إلى سجستان .

(٧) الحكم بن عمير التغلبى ووجهه إلى مكران .

وقد استعدت هذه الجنود إلى وجهها مفتتح سنة ١٨ هجرية .

فتح أصبهان

أصبهان إقليم من نواحى الجبل تجمع بها جمع للفرس فسار إليهم عبد الله بن عبد الله بن عتبة فى جند من المسلمين وصار يغلب على البلاد حولها ويصالح من طلب الصلح منهم حتى انتهى إلى أصبهان وكان بينه وبين ملكها القانوسبان زحوف وكان ذلك بقاعدة هذا الإقليم وهى (جى) ثم خرج القانوسبان وقال لعبد الله : لا تقتل أصحابى ولا أقتل أصحابك ولكن ابرز لى فإن قتلتك رجع أصحابك وإن قتلتنى صالحك أصحابى وإن كان أصحابى لا يقع لهم نشابة ، فبرز له عبد الله وقال إما أن تحمل على وإما أن أحمل عليك ،

فقال : أحمل عليك ، فوقف له عبد الله وطعنه القاذوسبان فأصاب قربوس سرجه فكسر وقطع السرج واللبب والحزام وأزال اللبد والسرج وعبد الله على الفرس فوقع قائما واستوى على الفرس عرياً وقال له اثبت ، فحاجزه وقال : ما أحب أن أقاتلك قد رأيتك رجلا كاملا ولكن ارجع معك إلى عسكرك فأصالحك وأدفع المدينة إليك على أن من شاء أقام ودفع الجزية وأقام على ماله وعلى أن تجرى من أخذتم أرضه عنوة مجراهم ويتراجعون . ومن أبى أن يدخل فيما دخلنا فيه ذهب حيث شاء ولكم أرضه فإن لكم ذلك ودخل أهل جى فى الذمة إلا ثلاثين رجلا من أهل أصبهان خالفوا قومهم وتجمعوا فلحقوا بكرمان .

قال الطبرانى : وقدم أبو موسى الأشعرى من ناحية الأهواز وقد صالح القاذوسبان عبد الله ثم قال : ودخل أبو موسى وعبد الله جى وقد جاء كتاب عمر إلى عبد الله أن سر حتى تقدم إلى سهيل بن عدى على قتال من بكرمان .

وكان كتاب صلح أصبهان «بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من عبد الله للقاذوسبان وأهل أصبهان وحواليها ، إنكم آمنون ما أديتم الجزية وعليكم من الجزية بقدر طاقتكم فى كل سنة تؤدونها إلى الذى يلى بلادكم عن كل حالم ، ودلالة المسلم وإصلاح طريقه وقراه يوما وليلة وحملان الراجل إلى مرحلة ولا تسلطوا على مسلم والمسلمين نصحكم وأداء ما عليكم ولكم الأمن ما فعلتم فإذا غيرتم شيئاً أو غيره مغير منكم ولم تسلموه فلا أمان لكم ومن سب مسلما بلغ منه ضربه قتلناه وكتب وشهد عبد الله بن قيس ، وعبد الله بن ورقاء وعصمة بن عبد الله .

فتح أذربيجان

صُقْع جليل ومملكة عظيمة الغالب عليها الجبال وحدها من برذعة مشرقاً إلى أرزنجان مغربا ويتصل حدها من جهة الشمال ببلاد الجبل والديلم وقصبتها تبرز وكانت اقبل مدينة المراغة .

وذلك أن نعيم بن مقرن كان فى همذان بعد أن فتحها فبلغه أن الفرس تجمعوا بواج روذ بين همذان وقزوين . فخرج إليهم وأنشب القتال معهم فى ملحمة كبرى كانت تعدل وقعة نهاوند وهزمهم هزيمة منكرة .

فتح الرى

الرى قصبة بلاد الجبال بينها وبين نيسابور ١٦٠ فرسخاً وإلى قزوين ٢٧ فرسخاً وكانت مدينة عظيمة جداً ويقال فى النسبة إليها رازى .

لما فرغ نعيم من أمر واج الروذ قصد الرى فقهر المجتمعين فى تلك الناحية ثم دانوا له بالصلح وكان الذى ولى الصلح عنهم رئيسهم الزينبى أبو الفرخان وبعد أن تم صلحهم بعث أخاه سويد مقرن إلى قومس ، فسار إليها وأخذها سلماً ، ومن هنا كاتبه ملك جرجان (وهى مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان) بالصلح فكتب له كتاب صلح وتابعهم على ذلك أهل طبرستان.

فتح الباب

الباب مدينة عظيمة على بحر طبرستان (بحر قنوين) وهى ثغر عظيم.

سار سراقة بن عمرو على رأس جيش إلى الباب وعلى مقدمته عبد الرحمن ابن ربيعة ، لما أطل عبد الرحمن على الباب كاتبه ملكها شهر براز مستأمنا ليأتيه فأمنه عبد الرحمن فجاء الملك إليه ويظهر أن هذا الملك كان

حكيما عاقلاً رأى العبرة فى غيره فلم يقبل أن يكون عبرة لسواه ، وقد رأى المسلمين قد غلبوا فارس على العراقيين والأهواز وغيرها وأنه وإن كان فى بلد منيع وثيق الحصون وعنده من الحماة من يقدر على الامتناع مدة غير أن ذلك ينهك قوته ويضعفه عمن يتاخمون حدوده من الأعداء وليس وراءه سوى التسليم لحكم قاهريه وليس وراء ذلك سوى القتل وسبى الذرية فأحب أن يبقى على نفسه ومن معه من الرجال والذرية والنساء وأن يتركوا على حال عافية ليكون ذلك أبقى لهم عاقبة وأعون على مصاولة من وراءهم من الأعداء .

قال الملك لعبد الرحمن : إنى بإزاء عدو كلب وأمم مختلفة لا ينسبون إلى أحساب ، ولا ينبغى لذى الحسب والعقل أن يعين أمثال هؤلاء ولا يستعين بهم على ذوى الأحساب والأصول ، وذو الحسب قريب ذى الحسب حيث كان ولست من القبح فى شئ ولا من الأرمن وإنكم قد غلبتم على بلادى وأمتى وأنا اليوم منكم وصغوى معكم وبارك الله لنا ولكم وجزيتنا إليكم النصر لكم والقيام بما تحبون ، فلا تذلونا بالجزية فتوهنونا لعدوكم .

كلام جميل وعبارة ناصعة تدل على عقل وبعد غور فى السياسة ، وما كان جواب عبد الرحمن إلا أن قال له : فوقى رجل قد أظلك ، وجُزه ، فسار إلى سراقة فلما جاءه وكلمه بمثل ما كلم به عبد الرحمن وقع ذلك من سراقة موقعا فقال له : قد قلت ذلك فيمن كان معك على هذا مادام عليه ، ولابد من الجزاء ممن يقيم ولا ينهض ، فقبل ذلك وصار سنة فيمن كان يحارب العدو من المشركين وفيمن لم يكن عنده الجزاء إلا أن يستنفر فتوضع عنهم الجزاء تلك السنة ، وكتب بذلك سراقة إلى عمر فأجازه وحسنه . وكان فى كتاب صلحهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ، وأن ينفروا لكل غارة وينفذوا لكل أمرناب أو لم ينب رآه الوالى صلاحاً على أن توضع الجزاء عمن أجاب إلى ذلك إلا الحسر أو

الحشر عوض عن جزائهم . ومن استغنى منهم وقعد فعليه مثل ما على أهل أذربيجان من الجزاء والدلالة والنزل يوماً كاملاً فإن حشروا وضع ذلك عنهم وإن تركوا أخذوا به ، وهذه سنة حسنة فى عهد عمر بن الخطاب ، فليست الاستعانة بالمخالفين ووضع جزية الحماية عنهم بدعة جديدة .

ثم وجه سراقة بعد ذلك فصائل إلى الجبال المحيطة بأرمينية موقان وتفليس وجبال اللان لم ينجح أحد منهم فى غزاته سوى بكير بن عبد الله الذى توجه موقان من جبال القبج وأعطاهم الأمان على الجزاء عن كل حالم والدلالة والنزل للمسلم يوماً وليلة - وكان غزو سراقة ومن معه على هذا الوجه لم يخطر لعمر ولا لغيره ببال . لأن جيشاً ليس بالضخم يخرج إلى مثل هذا الوجه بغير زاد ولا مؤونة ثم يلاقى هذه السهولة فى الفتح والنجاح أمر يتعجب منه ، وبخاصة أن هذه الناحية ثغر عظيم حافل بالجند ، والفرس كانوا يتوقعون أن تكون نكاية جند الإسلام فى هذه الناحية ، فجاء الأمر على ما لا يشتهون . وقد مات سراقة بعد أن استوثق أهل هذه الناحية واستحلوا الإسلام . وكان قد استخلف عبد الرحمن بن ربيعة فأقره عمر - وقد غزا عبد الرحمن فيما وراء الباب ، فلما قطعه لوجهه ذاك قال له شهر براز : ما تريد أن تصنع ؟ قال : أريد بلنجر . فقال : إنا نرضى منهم أن يدعونا ، قال : لكنا لا نرضى منهم بذلك حتى نأتيهم فى ديارهم وتالله إن معنا لأقواما لو يأذن لنا أميرنا فى الإمعان لبلغت بهم الردم ، قال : ومن هم ؟ قال : أقواماً صحبوا رسول الله ﷺ ودخلوا فى هذا الأمر بنية كانوا أصحاب حياء وتكرم فازداد حياؤهم وتكرمهم فلا يزال هذا الأمر دائما لهم ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم من يغلبهم وحتى يلفتوا عن حالهم بمن غيرهم ، ثم أخذ عبد الرحمن طريقه حتى غزا بلنجر غزاة لم تتم أيها امرأة ولا ييتم فيها صبى ، وبلغ بخيله البيضاء على

مائتى فرسخ من بلنجر وذلك أن أهل البلاد لما رأوا هؤلاء القوم قد طلعوا عليهم حال الله بين الترك أهل تلك الناحية وبينه وأوقع الرعب فى قلوبهم فقالوا : لولا أن الملائكة تمنعهم من الموت لم يجترئوا علينا ، فتحصنوا منهم ورجع عبد الرحمن بالغنم والظفر .

فتح خراسان

(بلاد واسعة فى شرقى الفارسية وقصبتها مرو ، وبها نيسباور وهراة وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس وغير ذلك من المدن التى دون نهر جيحون).

سبب هذه الغزوة أن كسرى يزدجرد لما وقعت هزيمة جلولاء خرج يريد الرى وقد جعل له محمل واحد يطبق ظهر بعيره فإذا سار نام فيه ولم يعرس بالقوم ، فلما انتهى إلى الرى وعليها أبان جانويه وثب عليه فأخذه ، فقال له : أتغدر بى ؟ قال : لا ولكن قد تركت ملكك وصار فى يد غيرك فأحببت أن أكتتب على ما كان لى من شئ وما أردت غير ذلك ووصل الأدم واكتتب الصكاك وسجل السجلات بكل ما أعجبه ثم ختم عليها ورد الخاتم ، وكره يزدجرد المقام معه فخرج إلى كرمان والنار معه . ثم عزم على خراسان فأتى مرو فنزلها وقد نقل النار فبنى لها بيتاً واتخذ بستانا وبنى أزجا فرسخين من مرو إلى البستان واطمأن فى نفسه وأمن أن يؤتى وكاتب الأعاجم فيما لم يفتحه المسلمون فدانوا له حتى أثار أهل فارس والهرمزان فنكثوا وثار أهل الجبال مع الفيرزان فكان ذلك سبباً لتغيير عمر رأيه فى الانسياح فى بلاد الفرس فانساح أهل البصرة والكوفة حتى أثخنوا فى الأرض وتوجه الأحنف بن قيس إلى خراسان فأخذ على مهرجان قذق ثم إلى أصبهان وأهل الكوفة محاصر وجى ، فدخل خراسان من الطبسين فافتتح هراة عنوة واستخلف عليها صحار العبدى ثم سار نحو

مرو الشاهجان وأرسل دونها قتال وأرسل الحارث بن حسان إلى سرخس ، فلما دنا الأحنف من مطرف بن عبد الله بن الشُخير وليس مرو الشاهجان خرج منها يزدجرد إلى مرو الروذ حتى نزلها وحل الأحنف بمرو الشاهجان.

كتب يزدجرد وهو بمرو الروذ إلى خاقان ملك الترك يستمده جنداً يقاتل بهم العرب فأمده . وكتب إلى ملك الصُغد كذلك وإلى ملك الصين يستعينه.

أما الأحنف بن قيس فاستخلف على مرو الشاهجان حارثة بن النعمان الباهلي بعد أن لحقت به أمداد الكوفة على أربعة أمراء وهم : علقمة بن النضر النصري ، وربعي بن عامر التميمي ، وعبد الله بن أبي عقيل الثقفي ، وابن أم غزال الهمداني . ثم خرج الأحنف سائراً نحو مرو الروذ فخرج منها يزدجرد ومر على وجهه بلخ فأقام الأحنف بمرو الروذ وقدم جنود أهل الكوفة إلى بلخ ثم أتبعهم الأحنف فالتقت جنود أهل الكوفة بيزدجرد ومن معه فانهزم يزدجرد وتوجه بمن بقي معه من الفرس إلى النهر فعبره ولحق الأحنف بأهل الكوفة وقد فتح الله عليهم وحصلت بلخ في أيديهم وتتابع أهل خراسان ممن شذ أو تحصن على الصلح فيما بين نيسابور إلى طخارستان وعاد الأحنف إلى مرو الروذ واستخلف على طخارستان ربعي بن عامر ، ثم كتب الأحنف إلى عمر بفتح خراسان ، فقال : لوددت أني لم أكن بعثت إليها جنداً ، ولوددت أنه كان بيننا وبينها بحر من نار . وكتب عمر إلى الأحنف : أما بعد فلا تجاوزن النهر واقتصر على ما دونه وقد عرفتم بأي شئ دخلتم خراسان فداوموا على الذي دخلتم به خراسان يدم لكم النصر وإياكم أن تعبروا فتنفضوا .

كان عبور يزدجرد قبل أن يستتب لخاقان وعوزك ملك الصغد إنجاد يزدجرد والملوك ترى حقاً عليها إنجاد الملوك ، فأقبلت جيوش الترك وحشر أهل فرغانة والصغد وعاد بهم يزدجرد إلى خراسان فلما عبر إلى بلخ خف أهل

الكوفة الذين بها إلى مرور الروذ وجاء إليها المغيثون والأحنف بها ، وكان الأحنف حين بلغه عبور القوم يخرج يتسمع ليلا فمر برجلين ينقيان علفا وأحدهما يقول للآخر : لو أن الأمير جعل هذا الجبل خلف ظهورنا وتركنا نقاتل العدو من وجه واحد رجوت أن يكون النصر لنا ، فأخذها الأحنف وعمل بها ، وجاءت جموع الترك وسواهم فصاروا يقاتلون حتى إذا جاء الليل انشمروا إلى مكان بعيد - ولم يهدأ للأحنف روع حتى علم أين يكونون ، ثم خرج ليلة وحده حتى إذا كان بمكان قريب منهم وقف فلما كان وجه الصبح خرج فارس منهم ومعه طبل فطبل به ثم أخذ مكاناً وقف فيه فجاء الأحنف فقتله . ثم خرج الثانى ففعل فعله ثم وقف فقتله الأحنف ، ثم خرج الثالث ففعل فعلهما فألحقه بهما وانصرف لا يشعر به أحد من المسلمين ، فلما خرج الترك وجدوا فرسانهم قتلى فتطيروا ورجعوا عودهم على بدئهم يؤمون بلادهم وقالوا : لا خير لنا فى قتال هؤلاء .

وفى تلك الأثناء ذهب يزدجرد فيمن معه من الفرس إلى مرو الشاهجان والأحنف لا يعلم به فتحصن منه حارثة بن النعمان ومن معه فحصرهم واستخرج كنوزاً كانت له فأعجل عنها ، وأراد أن يستقل فأراد أهل فارس صرفه عن قصده وقالوا له . إن هذا رأى سوء منك إنك إنما تأتى قوماً فى مملكتهم وتدع مملكتك وأرضك وقومك ولكن ارجع بنا إلى هؤلاء القوم فنصالحهم فإنهم أوفياء وأهل دين وهم يلون بلادنا ، وإن عدواً يلينا فى بلادنا أحب إلينا ملكه من عدو يلينا فى بلاده ولا دين لهم ولا ندرى ما وفاؤهم ، فأبى عليهم وأبو عليه وقاتلوه وهزموه وكاتبوا الأحنف بالخبر فاعترضهم المسلمون والفرس ينازعونه فأعجلوه عن الأثقال ومضى حتى قطع النهر إلى فرغانة والترك فلم يزل مقيما هناك زمان عمر ، وأقبل أهل خراسان على الأحنف يصالحونه

ويدفعوا إليه الخزائن وتراجعوا إلى بلدانهم وأموالهم على أفضل ما كانوا فى زمان الأكاسرة كأنما هم فى ملكهم إلا أن المسلمين أوفى وأعدل عليهم فاغتبطوا وغبطوا.

لما عاد رسول يزدجرد الذى بعثه إلى ملك الصين أخبره أنه أهدى إليه هدايا وأنه سأله عن القوم الذين غلبوهم على بلادهم وقال له : إنك تذكر قلة منهم وكثرة منكم ، ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل الذين تصف منكم فيما أسمع من كثرتكم إلا بخير عندهم وشر فيكم ، فقلت : سلنى عما أحببت . فقال : أيوفون بالعهد؟ قلت: نعم ، قال : وما يقولون لكم قبل أن يقاتلوكم ؟ قلت يدعوننا إلى واحدة من ثلاث : إما دينهم فإن أجبناهم أجرونا مجراهم ، أو الجزية والمنعة أو المنابذة . قال فكيف طاعتهم أمراءهم ؟ قلت : أطوع لمرشدهم . قال : فما يحلون وما يحرمون ؟ فأخبرته فقال : أيحرمون ما يحلون أو يحلون ما يحرمون ؟ قلت : لا قال فإن هؤلاء لا يهلكون أبداً يحلوا حرامهم ويحرموا حلالهم ثم قال : أخبرنى عن لباسهم فأخبرته ، وعن مطاياهم فقلت الخيل العراب ووصفتها فقال : نعمت الحصون هذه . ووصفت له الإبل وبروكها وانبعاثها بحملها فقال : هذه صفة دواب طوال الأعناق .

وكتب مع الرسول إلى يزدجرد أنه لم يمنعنى أن أبعث إليك بجيش أوله عندك وآخره بالصين الجهالة بما يحق على ولكن هؤلاء القوم الذين وصفهم لى رسولك لو يحاولون الجبال لهدوها ولو خلا لهم سرب بهم أزالونى ماداموا على ما وصف لى فسالمهم وأرض منهم بالمساكنة ولا تهيجهم ما لم يهيجوك .

فتوح أهل البصرة

كان مما فتحه أهل البصرة من البلاد الفارسية - توَّج - فتحها سارية بن زنيم الدؤلى - ثم فتح فساو دار بجرد وفتح عثمان بن أبى العاص اصطخر - وفتح سهل بن عدى كرمان - وفتح عاصم بن عمرو سجستان - وفتح الحكم بن عمرو التغلبى مكران .

قد نقل الأستاذ الخضرى حديثا طريفاً هو حديث قيس بن سلمة وكان عمر قد ولاه قيادة جيش لمقاتلة الأكراد ، فسار إليهم وهزمهم ، ولما قسم على الجند النفل رأى شيئاً من حلية . فقال : إن هذا لا يبلغ فيكم شيئاً فتطيب نفوسكم أن نبعث به إلى أمير المؤمنين فإن له برداً ومؤونة ؟ قالوا : نعم ، قد طابت أنفسنا ، فجعل تلك الحلية فى سفط ثم بعث برجل من قومه يوصل ذلك إلى عمر . قال الرسول : فأتيت إلى المدينة فإذا عمر يغدى الناس متكئاً على عصا كما يصنع الراعى وهو يدور على القطاع . فلما دفعت إليه قال : إجلس . فجلس فى أدنى الناس فإذا طعام فيه خشونة - طعامى الذى معى أطيب منه فلما فرغ الناس . قال يا يرفأ : ارفع قصاعك ثم أدبر ، فاتبعته ، فدخل داراً ثم دخل حجرة ، فاستأذنت وسلمت ، فأذن لى فدخلت عليه فإذا هو جالس على مسح متكئ على وسادتين من أدم محشوتين ليفاً فنبذ إلى بإحداهما فجلست عليها ، فإذا بهو فى صفة فيها بيت عليه ستير فقال : يا أم كلثوم غداءنا ، فأخرجت إليه خبزه بزيت فى عرضها ملح لم يدق فقال : يا أم كلثوم ، ألا تخرجين إلينا فتأكلين معنا من هذا ؟ فقالت إنى أسمع عندك حس رجل قال : نعم ، ولا أراه من أهل البلد . قالت : لو أردت أن أخرج إلى الرجال لكسوتنى كما كسا ابن جعفر امرأته ، وكما كسا الزبير امرأته ، وكما كسا طلحة امرأته. قال : أو ما يكفيك أن يقال أم كلثوم بنت على بن أبى طالب وامرأة أمير

المؤمنين عمر بن الخطاب - ثم قال : كل فلو كانت راضية لأطعمتك أطيب من هذا - قال : فأكلت قليلا وطعامى الذى معى أطيب منه وأكمل . فما رأيت أحداً أحسن أكلا منه . ما يتلبس طعامه بيده ولا فمه . ثم قال : أسقونا . فجاءوا بعس من سلت . فقال اعط الرجل قال : فشربت قليلا ثم أخذه فشرب حتى قرع القدح جبهته ، فقلت حاجتى يا أمير المؤمنين أنا رسول سلمة بن قيس . قال : مرحباً بسلمة بن قيس ورسوله حدثنى عن المهاجرين كيف هم ؟ فقلت هم كما تحب من السلامة والظفر على عدوهم . قال : كيف أسعارهم ؟ أرخص أسعار، قال : كيف اللحم فيهم ؟ فإنها شجرة العرب ولا تصلح العرب إلا بشجرتها ، قلت : البقرة بكذا والشاة بكذا . ثم أدى إليه رسالته وأخبره خبر الحلية التى اختصه بها سلمة . فلما نظر إلى فصوصها وثب ثم جعل يده فى خاصرته ، ثم قال : لا أشبع الله إذن بطن عمر ، ثم قال كيف ما جئت به ؟ أما والله لئن تفرق المسلمون فى مشاتيهم قبل أن يقسم هذا فيهم لأفعلن بك وبصاحبك الفاقرة . قال : فارتحلت حتى أتيت سلمة . فقلت : ما بارك الله لى فيما خصصتنى به ، أقسم هذا فى الناس قبل أن يصيبنى وإياك فاقرة فقسمه عليهم .

هذه الحكاية تنبئ عن زهد فى الدنيا وقد عرضت عليه وخروجه منها وقد تلبست به وتشبثت بأهدابه وذلك ينبئ عن قوة إرادة لا تبلغ إلا بمعونة الله تعالى. فقد كانت الحلية حلاً ، بل له جاءته عن طيب خاطر من أصحابه راضية بها نفوسهم . ولكنه يرى القوم جند الإسلام وعزه فهو يريد توفير السعادة لهم وإيثارهم بالغنى ليزدادوا رغبة فيما هم بسبيله وهو لا يريد تغيير حاله التى فيها لئلا تشغله الدنيا عنهم وتصدف به عن الالتفات إلى أحوالهم - وفوق ذلك فإنه يريد قطع مادة الطموح إلى غنائم المسلمين ونفلهم لئلايكون أخذ مثل هذه اليوم بحق مدرجة لامتداد يد غيره من بعده إلى أمثالها بغير حق متأولين فى تناول ما

يتناولون ما كان من عمر من أخذ بعض الغنائم ولا يبعد أن يتأولوا أن ذلك كان صفياً له . فيأخذوا بحقه ما هو باطل ويستحلوا ما هو محرم . فيكون ذلك مدرجة للفساد وفشو الطمع وحب الأثرة وفي ذلك هلاك الراعي والرعية.

وبما تقدم من الفتوح التي سقطت مملكة فارس نهائياً بيد المسلمين وصار لهم قطعة من الأرض يحدها مُن الغرب نهر الفرات والخليج الفارسي ومن الشرق نهر جيحون والسند ومن الجنوب المحيط الهندي ومن الشمال بلاد أرمينية .

وكان افتتاح ذلك كله في زمن لم يتجاوز سبع سنين ؛ وكان النصر لهم رفيقا في كل الوقائع التي واقعوا فيها الفرس إلا قليلا ، وكان للمسلمين اسم جميل عند عامة الفرس لما رأوا فيهم من العدل والوفاء وحسن الملكة . وكيف لا يكون ذلك رأيهم وعمر يواليهم بالنصائح والعظات ولا يترك فرصة تمر دن تذكيرهم بالوفاء والعدل وحسن السيرة فيما بينهم وفي أهل ذمتهم .

وقد كان شهربراز مع عبد الرحمن بن ربيعة وجاءت شهر براز ياقوتة ثمينة، فناولها لعبد الرحمن فنظر فيها ثم ردها إليه ، فقال شهرباز وهو صاحب الباب : لهذه خير من هذا البلد ـ يعني مدينة الباب ـ وأيم الله ، لأنتم أحب إليَّ ملكة من آل كسرى ، ولو كنت في سلطانهم ثم بلغهم خبرها (الياقوتة) لانتزعوها مني وأيم الله لا يقوم لكم شئ ماوفيتم ووفى ملككم الأكبر .

الفتوح في بلاد الروم

لم يتفق المؤرخون على ترتيب الوقائع في مملكة الروم فبعضهم يقدم بعض الوقائع على بعض مع اتفاقهم على حصول تلك الوقائع ونتائجها : والسبب في هذا الاختلاف تلاحق الوقائع وتواليها فيما بين السنة ١٣ والسنة ١٤ ، فربما

كان حصول واقعتين فى وقت واحد فيذكر الراوى إحدى الواقعتين ثم يثنى بالأخرى فيتلقف الكاتب ذلك ويرتبهما على حسب ترتيبها فى الذكر ويقدم إحداهما على الأخرى ، فإذا جاء راو آخر عكس الترتيب فى الذكر تبعهُ مؤرخ آخر وصار على طريقته . وربما فتح البلد الواحد مرتين وفتح بلد آخرٍ فيذكر الراوى الفتح الأول ثم يذكر فتح البلد الآخر - ثم يأتى راو آخر ويذكر فتح البلد الآخر ويذكر الفتح الثانى ، وهكذا .

قال صاحب أشهر مشاهير الإسلام : أما أمراء المسلمين فقد أوغلوا بجيوشهم فى أحشاء البلاد ، فنزل أبو عبيدة الجابية ، ونزل شرحبيل الأردن ، ونزل عمرو بن العاص العربة من فلسطين وكان يريد البلقاء ومن ثم اختلف المؤرخون فى كيفية ترتيب الوقائع ، فمن قائل إن أول وقعة كانت بين المسلمين والروم وقعة اليرموك؛ ومن قائل غير ذلك ، والذى قال بالأولى بنى قوله على أن المسلمين لما تفرقوا فى البلاد وراعهم ماجمعه لهم هرقل من الجموع استشاروا فأشار عليهم بالاجتماع فاجتمعوا باليرموك وكتبوا إلى أبى بكر فأمدهم بخالد بن الوليد ، ولما وصل إليهم وجد الأمراء متساندين فتأمر عليهم .

مع أن إمعان الأمراء بجيوش المسلمين فى الجزء الجنوبى والجنوب الغربى من البلاد ووصول بعضهم إلى الأردن قرب طبرية والبعض الآخر إلى فلسطين ثم اختلاف المؤرخين فى عزل خالد بن الوليد هل كان وهم على دمشق أم فى اليرموك، كل هذا يؤيد أن واقعة اليرموك إنما كانت بعد وقائع كثيرة كواقعة مرج الصفر وواقعة أجنادين التى بشر أبو بكر بظفر المسلمين فيها بآخر رمق وواقعة العربة من فلسطين وغيرها ، وأن المسلمين افتتحوا كثيراً من البلاد قبل اليرموك صلحاً أو حرباً . ويؤيد هذا ما ذكره البلاذرى من أن أهل حمص عاهدوا المسلمين على الوفاء لما انجلت حاميتهم عن حمص بقصد الاجتماع مع

بقية الجيوش على اليرموك .

ويدل على أن لجيوش المسلمين مع بعض مدن الشام وبلاده وقائع قبل اليرموك قول القعقاع بن عمرو وقد كان فى جيش خالد الذى جاء من العراق:

بدأنا بجمع الصفرين فلم ندع

لغسان أنفاً فوق تلك المناخر

صبيحة صاح الحارثان ومن به

سوى نفر نجتذهم بالبواتر

وجئنا إلى بصرى وبصرى مقيمة

فألقت إلينا بالحشى والمعاذر

فضضنا بها أبوابها ، ثم قابلت

بنا العيش فى اليرموك جمع العشائر

فتح دمشق

وقعة اليرموك كانت فى أول خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وأن الرسول جاء بموت أبى بكر وتولية عمر يوم الواقعة وأسر إلى خالد فكتم الأمر إلى تمام الوقعة وانتهائها بالفتح .

فلما انتهى أمر اليرموك ، استخلف أبو عبيدة عليها بشير بن كعب الحميرى وسار حتى نزل بالصفر ، فأتاه الخبر بأن قادة الروم نزلوا بفحل وأن الروم توافى مددهم إلى دمشق ، فكتب إلى عمر بذلك ، فأمر عمر بأن يسير فيبدأ بدمشق فإنها حصن الشام وبيت ملكهم وأن يشغل من بفحل بخيل تكون

بإزائهم حتى إذا فتح دمشق عاد إلى فحل فنازل من بها ، وقد كتبت فى سنة ١٣٣٦ (١٩٨١م) ما يأتى :

صدع أبو عبيدة بأمر عمر وهو أن يذهب إلى الشام أولا فيبدأ بها فإذا فتحت سار إلى فحل فإذا فرغ من أمرها سار هو وخالد إلى حمص وترك شرحبيل بن حسنة وعمراً بالأردن وفلسطين . فنزل جيش من المسلمين على فحل وخشى الروم أن يصل المسلمون إليهم فبثقوا الماء حولهم فوحلت الأرض وحصروا أنفسهم بأيديهم وسهلوا للمسلمين المقام على حصارهم وكانوا أول محصور.

وأقام أبو عبيدة عسكراً بين حمص ودمشق لئلا يأتى المدد من حمص إليها وأرسل جنداً آخر ليكون بين دمشق وفلسطين ليصد المدد إن جاء منها . ونزل أبو عبيدة على ناحية من دمشق وخالد على ناحية وعمرو على ناحية وكان هرقل نازلا قريب حمص .

حصر المسلمون دمشق على هذه الصورة وطمع أهلها فى أن يمدهم هرقل بالجنود فصابروا المسلمين وصبروا على هذا الحصار الشديد سبعين ليلة والمسلمون يزاحفونهم ويرمون عليهم بالمجانيق وهم معتصمون بالمدينة يرجون الغياث ، وأرسل هرقل لإنجادهم خيلا فمنعتها خيول المسلمين ألتى عند حمص ويئس القوم من المعونة .

كان خالد لا ينام ولا ينيم إلا على تعبية ولا يخفى عليه من أمر الروم بدمشق شئ وقد اتخذ حبالا كهيئة السلاليم وأوهاقا . وقد علم أنه ولد للبطريق الذى على دمشق مولود فصنع طعاما ودعا إليه حماة المدينة فأكلوا وشربوا وزالوا عن مواقفهم أمنة منهم وثقة بمنعة حصونهم . فانتهز خالد هذه الفرصة

ونهض فيمن معه من جنده ، وتقدمهم هو والقعقاع بن عمرو ومذعور بن عدى وأمثالهم وقالوا إذا سمعتم تكبيراً على السور فارقوا إلينا واقصدوا الباب ، فلما انتهى إلى الباب الذى يليه هو وأصحابه رموا الشرف بالحبال وعلى ظهروهم القرب التى قطعوا بها الخندق ، فلما ثبت لهم وهقان تسلق القعقاع ومذعور وأثبتا الأوهاق بالشرف فتسلق خالد وأصحابه . وكان المكان الذى اقتحموا منه أحسن مكان يحيط بدمشق وأشده مدخلا .

ولما استووا على السور حدر خالد عامة أصحابه وانحدر معهم وخلف من يحمى مرتقاهم وأمرهم بالتكبير فكبر الذين على رأس السور فنهد المسلمون إلى الباب ومال إلى الحبال جند كثير فارتقوا فيها ، وانتهى خالدفيمن معه إلى أول من يليه فأنامهم وانحدر إلى الباب فقتل البوابين وثار أهل المدينة لا يدرون ما دهمهم واشتغل أهل كل ناحية بمن يليهم خشية الاقتحام فلم ينجدوا أهل الناحية التى بها خالد وأصحابه وكسر خالد ومن معه إغلاق الباب بسيوفهم وفتحوا للمسلمين وأعملوا سيوفهم فى المقاتلة الذين فى ناحية خالد فلم يبق منهم أحد إلا قتل .

لما شد خالد على من يليه وأدرك منهم ما أراد عنوة اجتمع من أفلت منهم إلى الأبواب التى تلى غيره . وكانوا قبل ذلك قد أرسلوا على المشاطرة فأبو عليهم ذلك ، فلم يدر أهل تلك الأبواب من المسلمين إلا بالروم قد ألقوا إليهم بأيديهم يبذلون ما امتنعوا من الإقرار به من قبل وهو الصلح على المقاسمة وهم لا يدرون سبباً لهذا الرضا بعد التأبى والامتناع ، فلما قبلوا منهم قالوا لهم : ادخلوا فامنعوا عنا من بالجانب الآخر ، فدخل أهل باب بصلح مما يليهم ودخل خالد مما يليه عنوة ، فالتقى القواد فى وسط دمشق هذا استعراضاً وانتهاباً وهذا صلحاً وتسكيناً ، وأجروا ناحية خالد على صلح أهل الأبواب الأخرى .

وكان صلح دمشق على المقاسمة فى الدينار والعقار عن كل رأس ، هكذا ذكر من المؤرخين والظاهر أن رواية المقاسمة على العقار ليست صحيحة بدليل قول عمر لأبى عبيدة «وأما الحنطة والشعير التى وجدتموها فى دمشق وكثر مشاجرتكم فيها فهى للمسلمين وأما الذهب والفضة ففيهما الخمس» .

وبعد انتهاء فتح دمشق جاء أمر عمر لأبى عبيدة يأمره بصرف جيش العراق إلى العراق فصرفه مع هاشم بن عتبة وأبقى خالد اضاية.

غزوة فحل

لما فتح المسلمون دمشق كان وراءهم جنود الروم فى فحل ولا يتسنى لهم الإيغال فى تلك البلاد ووراءهم فى ذلك المكان قوة رومية لا يستهان بها . فقد قالوا إنهم كانوا ثمانين ألفاً قد حصرتهم المياه والوحول والمسلمون بإزائهم من ورائها ففصل أبو عبيدة بالجيوش وخلف يزيد بن أبى سفيان على دمشق وعلى الناس شرحبيل بن حسنة لأنه ولى الحرب فى الأردن . وجعل خالداً على المقدمة وأبا عبيدة وعمرا على المجنبتين ، وضرار بن الأزور على الخيل .

ولما انتهوا إلى أبى الأعور السلمى وكان بين الأردن ودمشق ليصد المدد فقدموه إلى طبرية فحاصها ونزل سائر الجيش على فحل .

ولما رأى المسلمون أن الروم فى حرز من الوحل الذى جعل الوصول إليهم مستحيلاً كتبوا إلى عمر ليأمرهم بأمره . والمسلمون ناعمون فى ريف الأردن وخيراته والروم فى حرزهم كأنهم دودة القز برجها فى الحريرى ، فهم محرومون من كل شئ فيه نعيم ولا يقدرون على الخروج إلا على غرر.

ضاقت على الروم المذاهب فرجوا أن يصيبوا من المسلمين غرة ويوقعوا بهم وظنوا بالمسلمين الغفلة فخرجوا بقيادة قائدهم سقلار غير أن شرحبيل كان

حازماً شديد اليقظة فكان لا يبيت إلا على تعبية واستعداد للحرب ، فلما هجم الروم على المسلمين خارج الوحل والماء لم ينظرهم المسلمون بل بادروهم بالشدة وقاتلوهم أشد قتال ليلتهم ويومهم فلما جن عليهم الليل حار الروم وأرادوا الرجوع إلى مكانهم الأول فضلوا ولم يهتدوا إلى الطريق الذى خرجوا منه فانهزموا حيارى وقتل قائدهمُ الأول (سقلار) وقائدهم الثانى فوقع فيهم الاختلاط وانهزموا فانتهوا فى هزيمتهم إلىَ الوحل الذى صنعوه بأيديهم ليتقوا به الموت فكان موتهم ذلك الذى جعلوه وقاية لهم ، فإنهم لما تورطوا فى الرداغ ركبهم المسلمون وهم لا يردون يد لامس وكان الوحل الذى كرهه المسلمون أكبر عون لهم على الفتك بأعدائهم .

ومن هنا ومما كان باليرموك نعلم أن القيادة فى جيوش الروم لم تكن من الحنكة والدربة على الحرب ومكائده فى وزان القيادة فى الجيوش العربية لأن النزول بهم على الواقوصة كان أشد بالا عليهم من سيوف أعدائهم .

وكذلك بثق الماء حول الجيش فى فحل كان حصاراً لهم فى مقامهم وشركاً لهم فى حربهم ، والله يحكم لا معقب لحكمه .

الوقعة بمرج الروم

علم هرقل بما أصاب جنده فى دمشق والأردن وما عزم عليه أبو عبيدة من قصد حمص فأراد أن يشغل المسلمين بجيش مع قائده ثيودر وآخر بقيادة القائد شنس. ويظهر أن القائدين كانا على اتفاق فيما يصنعان بأن يقف أحدهما لشغل جيش المسلمين فى الوقت الذى يخالف الآخر إلى دمشق وهى فى قلة من الحامية ليأخذها وينقض على المسلمين ما أبرموا .

وقد التقى الجيشان بجيش المسلمين فى مرج الروم غربى دمشق فنزل أبو عبيدة بإزاء شنس ونزل خالد بإزاء ثيودور ، ولما أصبحوا نازلهم شنس ولم يجد خالد لثيودور أثرا ، وعلم أنه قصد دمشق فأمر أبو عبيدة خالداً باقتفاء أثره .

وعلم يزيد بن أبى سفيان بمقدم جيش الروم فخرج لقتالهم ، ولم يشعر الروم بخالد ومن معه إلا وقد أتوهم من ورائهم فأخذوا من بين أيديهم ومن خلفهم فلم ينج منهم إلا الشريد . ونازل أبو عبيدة ثيودور فقتله وهزم جيشه وتبعهم المسلمون يقتلونهم ووصل فل ذلك الجيش إلى حمص .

تحقق هرقل أنهم بعد موافوه إلى حمص فيئس من بقاء الشام فى يده فودعها الوداع الأخير، وأمر عامله على حمص بالتحصن وأن يطاول المسلمين حتى يأتى الشتاء وأن لا ينازلهم إلا فى يوم بارد فلا يمر الشتاء إلا وقد أهلكهم البرد .

فتح حمص

حمص مدينة بين دمشق وحلب.

قصد أبو عبيدة حمص عن طريق بعلبك وقدم إليها السمط بن الأسود الكندى وقدم خالد إلى البقاع فافتتح خالد بلاد البقاع ، ونزل أهل بعلبك إلى أبى عبيدة فصالحوه على أن يكون لهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وكتب لهم بذلك كتابا ثم توجه إلى حمص فنزل عليها وقاتلهم قتالا وكانوا يغادرون المسلمين القتال ويراحونهم فى كل يوم شديد البرد ولقى المسلمون برداً شديداً وطال على الروم الحصار ، ولما رأوا أن الشتاء قد انصرمت مدته ولم يتصرف المسلمون عنهم اشتد عليهم الأمر ورجعوا إلى ما كان يدعوهم إليه بعض مشايخهم وهم يأبون منه وهو الصلح فطلبوا من أبى عبيدة ذلك

فصالحهم على صلح أهل دمشق . ونزل بها السمط ابن الأسود الكندى فى بنى معاوية والأشعث بن ميناس فى السكن والمقداد فى بلى ونزل بها غيرهم . وقد كان نزول المسلمين فى كل مرفوض جلا أهله أو ساحة متروكة .

وقد بعث أبو عبيدة بالأخماس والفتح إلى عمر مع عبد الله بن مسعود فكتب إليه عمر أن أقم فى مدينتك وادع أهل القوة والجلد من عرب الشام فإنى غير تارك البعث إليك بمن يكانفك إن شاء الله .

وغرض عمر من ذلك أن يكون أبو عبيدة فى قوة ومنعة تكف عادية الروم لأن بلده أقرب إلى بلادهم وهى مظنة لأن تكون غرضاً لهم ثم بعث أبو عبيدة خالداً إلى الحاضر - حاضر حلب - وكان أصناف من العرب ينزلونه وكان جمع من الروم عليهم ميناس وهو أعظمهم بعد هرقل فلاقاهم خالد بالحاضر فهزمهم وقتل قائدهم ولم يفلت من هذا العسكر أحد .

أما عرب الحاضر فاعتذروا إلى خالد بأنهم حشروا كرهاً ولم يكن من نيتهم أن يقاتلوا فقبل منهم وتركهم . ولما بلغ عمر ذلك قال : أمَّرَ خالد نفسه يرحم الله أبا بكر هو كان أعلم بالرجال منى ، وقال فى حقه وفى حق المثنى بن حارثة : إنى لم أعزلهما عن ريبة ولكن الناس عظموهما فخشيت أن يوكلوا إليهما .

ثم سار خالد حتى نزل على قنسرين فتحصن أهلها منه فقال لهم : لو كنتم فى السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا . فنظر القوم فى أمرهم وعلموا أنهم ليسوا بأقوى من أهل الأمصار قبلهم ، فصالحوه على صلح أهل حمص.

ثم فتحت قيسارية على يد معاوية بن أبى سفيان .

ثم فتحت أجنادين على يد عمرو بن العاص وكان بها قائد يقال له أرطبون هو أدهى الروم وأبعد رجالهم غوراً وأنكاهم فعالا - ولما بلغ عمر بن الخطاب قال: قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب فانظروا عم تنفرج ، وكان الأرطبون قد أراد تفريق جنود العرب فوضع بالرملة جنداً عظيما ، وبإيليا جنداً عظيماً ، فكتب عمرو إلى عمر بذلك ووجه جنوداً إلى كل ناحية فيها جند الروم وكتب عمر إلى يزيد أن يوجه معاوية إلى أهل قيسارية ليشغلهم عن عمرو بن العاص فافتتحها.

وتتابعت الإمداد على عمرو فأرسل يمد من أقامهم بإزاء جنود الروم بالرملة وأيلة ، ومكث مدة لا يقدر من الأرطبون على سقطة ولا تشفيه الرسل . فوليه بنفسه فدخل عليه كأنه رسول ، فأبلغه ما يريد وسمع كلامه وتأمل حصونه حتى عرف ما أراد .

وقع فى نفس الأرطبون أن الرسول عمرو بن العاص ، أو الرجل الذى يستشيره عمر فى أمر الحرب ، فدعا برجل من جنده وأسرَّ إليه كلاماً ، وفطن عمرو للأمر ، فقال له قد سمعت منى وسمعت منك ، فأما ما قلته فقد وقع منى موقعاً وأنا واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالى لنكاتفه ويشهدنا أموره فأرجع فآتيك بهم الآن فإن رأوا فى الذى عرضت مثل الذى أرى لقد رآه أهل العسكر والأمير ، وإن لم يروه رددتهم إلى مأمنهم وكنت على رأس أمرك فقال : نعم ، ودعا رجلا فساره وقال اذهب إلى فلان فرده فرجع إليه الرجل وقال لعمرو انطلق فجئ بأصحابك ، فخرج ورأى أن لا يعود إلى مثلها ، وبلغت عمر فقال غلبه عمرو ، لله عمرو - وقد استبعد الأستاذ الخضرى أن يغرر رجل حذور كعمرو بنفسه ويترك جيش المسلمين وهو قائده وروحه ويجعله تحت الخطر.

اقتتل الروم والمسلمون فى أجنادين قتالاً شديداً وكثرت بينهم القتلى حتى كان هذا القتال فى شدته يشبه القتال فى اليرموك ثم انهزم الأرطبون بجنوده حتى آوى إلى إيليا وأفرج له المسلمون عليها حتى دخلها وأقام بها إلى أن فتحت ونزل عمرو أجنادين .

فتح بيت المقدس

لما انتهى عمرو من أمر أجنادين ترك أهل إيليا وهى بيت المقدس فى الحصار وأخذ يتمم فتح مدن فلسطين وقراها : ففتح غزة ، ولُدّ ، ونابلس ، وبيت جبرين ، ومرج عيون ، ويافا ، فلما أتم هذا الفتح قصد بيت المقدس والأرطبون ممتنع بها ، فأخذ يخاطبه فى تسليم المدينة فأبى .

وقد جاء فى الطبرى أن عمراً دعا برجل يعرف الرومية وأمره أن يأتى أرطبون بكتاب من عمرو فيه : جاءنى كتابك وأنت نظيرى ومثلى فى قومك لو أخطأتك خصلة ، تجاهلت فضيلتى ، وقد علمت أنى صاحب فتح هذه البلاد واستعدى عليك فلانا وفلانا ، لوزرائه ، وأمر الرسول أن يقرب ويتنكر وقال استمع ما يقول حتى تخبرنى به إذا رجعت . فلما جمع أرطبون وزراءه وقرأ عليهم الكتاب أغربوا فى الضحك ، وقالوا له : من أين علمت أنه ليس بصاحبها؟ فقال صاحبها رجل اسمه عمر ثلاث أحرف ، فكتب عمرو إلى عمر يستمده ويقول إنى أعالج حرباً كؤوداً صدوماً وبلاداً قد ادخرت لك .

ورواية أخرى عن الطبرى: هى أن أبا عبيدة حصر أهل بيت المقدس فطلبوا منه أن يصالحهم على أهل الشام وأن يكون المتولى للعقد عمر بن الخطاب ، فكتب إليه بذلك فسار عن المدينة ممداً لهم بعد أن استخلف علياً عليها وقد قال له على أين تخرج بنفسك إنك تريد عدواً كلباً، فقال: إنى أبادر بجهاد

العدو موت العباس، إنكم لو فقدتم العباس لانتقض بكم الشر كما ينتقض أول الحبل .

وكان خروج عمر إلى الشام فى هذه المرة أولُ خرجة خرجها وكتب إلى أمراء الشام أن يستخلفوا على ما بأيديهم ويوافوه بالجابية فلقوه بها ، فكان أول من لقيه يزيد ابن أبى سفيان ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وخالد بن الوليد على الخيول عليهم الديباج والحرير ، فلما رأى عمر ذلك كبر عليه أن يرى القوم فى زينة وزخرف وهم قريبوا عهد برسول الله أو خاف عليهم أن يكونوا قد افتتنوا بالدنيا وزينتها - فنزل عن دابته وأخذ الحجارة ورماهم بها لا يحجزه عنهم ما لهم من مكانة شامخة وعز باذخ ، وقال : سرع ما لُفِتُّم عن رأيكم . إياى وتستقبلون بهذا الزى وإنما شبعتم منذ سنتين . سرع ما ندت بكم البطنة وتالله لو فعلتموها على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم فلم يكن من القوم إلا أن قالوا : يا أمير المؤمنين إنها يلامعة وإن علينا السلاح - قال فنعم إذن وركب حتى نزل الجابية وبينما عمر بالجابية إذ فزع الناس إلى السلاح فسأل عن شأنهم فقالوا : ألا ترى الخيل والسيوف فنظر فإذا كردوس يلمعون بالسيوف ، فقال : هذه مستأمنة فلا تراعوا وأمنوهم ، فإذا هم أهل إيلياء قد جاءوا للصلح.

ذلك أن أهل إيلياء قد اشتد عليهم الحصار وصاروا به فى ضنك شديد وأيقنوا بعد انقطاع المدد عنهم واستيلاء المسلمين على أطراف الشام ومدنها أنهم مأخوذون ولا مطمع لهم فى إنقاذ دولة الروم إياهم بعد أن دالت فى هذه الناحية دولتهم وزال عن البلاد سلطانهم وأشفقوا أن لا يعطيهم المسلمون ما أعطوا غيرهم من أهل المدن الأخرى من الأمان لما أسلفوا من شدة قتال وقوة مراس، ولما بذله المسلمون فى حربهم من الدماء، وربما كان القوم قد ظنوا أن المسلمين يرون أن مدينتهم بها البيت المقدس الذى يرى المسلمون تعظيمه،

فخافوا أن يغلبوهم عليه ويزيلوا منه معالم الأديان الأخرى وينتزعوا منهم كنيستهم العظمى قبلتهم المقدسة ويحرموهم ذلك بحق الفتح فرأوا توكيداً للأمان وزيادة فى توثيق عرى العهد أن يباشروا ذلك مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

ولما ورد أهل إيليا إلى الجابية أخبروا أنهم نواب الصلح وأن أميرى الجند الرومى قد لحقا بمصر فصالحهم عمر على إيليا وحيزها والرملة وحيزها وكتب لهم بذلك كتباً ، وكتب لأهل إيليا كتاباً خاصاً وهذا نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقض منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شئ من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود ، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم والصوت (فى رواية اللصوص ولعلها الصحيحة) فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيليا من الجزية، ومن أحب من أهل إيليا أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وعلى صلبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان (هكذا) ، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهلى إيليا من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شئ حتى يحصد حصادهم ، وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وكتب وحضر سنة ١٥ هجرية .

ولما بعث عمر بأمان بيت المقدس وسكنها الجند شخص إلى بيت المقدس من الجابية وكان فرسه قد وجى فأتى ببرذون فركبه فلما سار جعل يتخلج به فنزل عنه وضرب وجهه بطرف ردائه وقال لا علم الله من علمك هذا من الخيلاء. ودعا بفرسه فركبه حتى جاء إلى المسجد الأقصى ليلا فدخله وصلى فى محراب داوود ولم يلبث أن طلع الفجر فأمر المؤذن بالإقامة وتقدم فصلى بالناس (بسورة ص) وصدر بنى إسرائيل ثم انصرف فقال : على بكعب (كعب الأحبار) فلما أتى به قال : أين ترى أن نجعل المصلى ؟ فقال : إلى الصخرة ـ فقال : ضاهيت والله اليهودية يا كعب . وقد رأيتك وخلعك نعليك . فقال : أحببت أن أباشره بقدمى . فقال : قد رأيتك . بل نجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله ﷺ قبلة مساجدنا صدورنا اذهب إليك فإنا لم نؤمر بالصخرة ولكنا أمرنا بالكعبة . ثم قام إلى كناسة كانت قد كانت الروم دفنت فيها بيت المقدس وهو الهيكل فى زمان بنى إسرائيل وقال : يا أيها الناس اصنعوا كما اصنع وحثا فى أصلها وحثا فى قباء ، وسمع تكبيرة من خلفه ، فقالوا ما هذا : فقالوا كبر كعب فكبر الناس بتكبيره فقال : على به ، فأتى فسأله عن سبب تكبيره ، فقال : يا أمير المؤمنين إنه قد تنبأ على ما صنعت نبى منذ خمسمائة سنة .

والعبرة من هذا الفتح تظهر جلية واضحة من كتاب عمر بالأمان الذى حشوه الرفق والعدل والحرية وصيانة الدماء والحقوق فإن بيت المقدس لم يدخل مدينته أحد من الفاتحين كما دخلها خليفة المسلمين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب منذ خلقت إلى ذلك العهد . بل كان الفاتح يدخلها مخرباً مبيداً مدمراً جباراً سفاكاً لا رحمة عنده ولا شفقة عليهم لديه ، فهذا بختنصر فى الخراب الأول وطيطوس فى الخراب الثانى على رأس سبعين ميلادية قد فعلا الأفاعيل وخربا المدينة والمسجد تخريباً وأما عمر فقد دخلها كما وصفنا وأعطى أهلها من الأمان ما بينا .

ولما جاءها بعد ذلك (غودوفروا دبيون) قائد الجيوش الصليبية استن بأهلها سنة وثنى بابل ووثنى رومه فخرب المسجد وأجزر السيف تسعين ألفاً من أهلها المسلمين .

ولما جاء صلاح الدين الأيوبى وأخذها من الصليبيين دخلها دخولاً عمريا وأمن أهلها على نفوسهم وأولادهم ونسائهم وخرجوا منها على فداء طفيف يؤدونه ، وقد تجاوز أخوه أبو بكر العادل عن ذلك المقدار لكثير من النساء وكان الثناء عليه عاماً فى أوروبا وعلى أخيه صلاح الدين .

وفى سنة ١٧ هجرية ، أراد عمر رضى الله عنه أن يزور الشام للمرة الثانية فخرج إليها ومعه المهاجرون والأنصار حتى إذا نزل بسرع على حدود الحجاز والشام لقيه أمراء الأجناد فأخبروه أن الأرض سقيمة وكان الطاعون بالشام ، فقال عمر لابن عباس اجمع لى المهاجرين الأولين ، قال : فجمعتهم فاستشارهم فاختلفوا عليه ، فمنهم القائل خرجت لوجه تريد فيه الله وما عنده ، ولا نرى أن يصدك عنه بلاء عرض لك ، ومنهم القائل : إنه لبلاء وفناء ما نرى أن تقدم عليه ، فلما اختلفوا عليه قال : قوموا عنى ، ثم قال لابن عباس اجمع لى مهاجرة الأنصار ، فجمعهم له ، فاستشارهم فسلكوا طريق المهاجرين فكأنما سمعوا ما قالوا فقالوا مثله ، فلما اختلفوا عليه قال قوموا عنى . ثم قال: اجمع لى مهاجرة الفتح من قريش ، فجمعهم له فاستشارهم فلم يختلف عليه منهم اثنان وقالوا ارجع بالناس فإنه بلاء وفناء ، فقال عمر يا ابن عباس اصرخ فى الناس فقل إن أمير المؤمنين مصبح على ظهر ، وأصبحوا عليه فلما اجتمعوا قال : أيها الناس إنى راجع فارجعوا ، فقال أبو عبيدة بن الجراح : أفراراً من قدر الله ؟ قال : نعم فراراً من قدر الله إلى قدر الله أرأيت لو أن رجلاً هبط وادياً له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة ، أليس يرعى من رعى الجدبة

بقدر الله ويرعى من رعى الخصبة بقدر الله ؟ لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة ، ثم خلا به بناحية دون الناس ، فبينا الناس على ذلك إذ أتى عبد الرحمن بن عوف وكان متخلفاً عن الناس لم يشهدهم بالأمس ، فلما أخبر الخبر قال : عندى من هذا علم ، قال عمر : فأنت عندنا الأمين المصدق ، فماذا عندك ؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه وإذا وقع وأنتم به فلا تخرجوا فراراً منه لا يخرجنكم إلا ذلك ، فقال عمر : لله الحمد، انصرفوا أيها الناس . فانصرفوا .

كان حصول الطاعون فى ذلك الوقت بعد المجازر البشرية وكثرة القتلى وتعفن الجو وفساده بتلك الجيف أمراً طبيعياً وبخاصة إذا عرفنا أن وسائل الوقاية الصحية لم تكن معروفة فى ذلك الزمن ، على أن مجرى اجتماع الجيوش الكثيرة فى مكان واحد داع إلى فشو الأمراض والأوبئة . وقد اجتمع فى تلك البلاد كثير من الجنود بين الروم وعرب فكان لابد من حصول الأوبئة.

وبعد انصراف عمر حصل الطاعون الجارف المعروف بطاعون عمواس وكانت شدته بالشام فهلك به خلق كثير منهم أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير الناس ، ومعاذ بن جبل ، ويزيد بن أبى سفيان ، والحارث بن هشام وقيل استشهد باليرموك . وسهيل بن عمر ، وعتبة بن سهيل وأشراف الناس ، ولم يرتفع عنهم الوباء إلا بعد أن وليهم عمرو بن العاص فخطب الناس وقال لهم : أيها الناس إن هذا الوجع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار فتجنبوا منه فى الجبال : فخرج وخرج الناس فتفرقوا حتى رفعه الله عنه فبلغ عمر ما فعله عمرو فما كرهه.

أما السر فى اشتداد الطاعون فى دمشق دون سواها من بلدان سورية ، فهو أن أهل دمشق إنما يشربون من النهر (نهر بردى) وهو عرضة للتلوث

بجراثيم الوباء ونقل العدوى بواسطته سهل جداً وانتشارها مضمون . أما بقية البلاد فيغلب أن يكون شربهم من العيون وهى أقل قابلية للتلوث ونشر المرض وتعميمه وهو السر أيضاً فى أنهم لما ارتفعوا فى الجبال كان ذلك سبباً لزواله عنهم.

وأهل دمشق الآن لا يشربون من نهر بردى وإنما يشربون من ماء عين الفيجة ساقوه فى الأنابيب إلى بلدهم وماء نهر بردى يدخل فى جميع بيوتهم ولا ينتفعون منه بالشرب وإنما يستعملونه فى غسل الملابس والأوانى ونحوها.

رأى عمر بعد ارتفاع الطاعون أن يسير إلى الشام لينظر فى أمور الناس بعد هذا المصاب الذى دهمهم ، فسار حتى نزل الشام ونظر فى أمور الناس وولى الولاة وورث الأحياء من الأموات ، ثم خطبهم خطبة قال : «ألا وإنى قد وليت عليكم وقضيت الذى على فى الذى ولانى الله من أمركم ، إلى أن قال فمن علم علم شئ ينبغى العمل به فبلغنا نعمل به إن شاء الله ، ولا قوة إلا بالله» وحضرت الصلاة فقال الناس لو أمرت بلالا فأذن . فأمره فأذن فما بقى أحد كان أدرك رسول الله وبلال يؤذن له إلا بكى حتى بل لحيته وبكى من لم يدركه ببكائهم لذكره صلى الله عليه وسلم .

وفى عهد عمر رضى الله عنه فتحت حلب وقنسرين كما قدمنا أنطاكية وبلاد سواحل الشام كبيروت وطرابلس وغيرها ، ودانت كل هذه البلاد لحكم المسلمين .

وفى عهده كان فتح مصر على يد عمرو بن العاص السهمى.

في ذكر اجتماعهم على
تسميته بأمير المؤمنين

عن محمد بن سعد قال : قالوا لما مات أبو بكر رضوان الله عليه وكان يدعى خليفة رسول الله ﷺ قيل لعمر : خليفة خليفة رسول الله ﷺ فقال المسلمون : من جاء بعد عمر قيل له خليفة خليفة رسول الله ﷺ فيطول هذا ولكن اجتمعوا على اسم تدعون به الخليفة يدعى به من بعده من الخلفاء قال بعض أصحاب رسول الله ﷺ نحن المؤمنون وعمر أميرنا فدعى عمر «أمير المؤمنين» فهو أول من سمى بذلك[1] .

عن ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه سأل أبا بكر بن سليمان بن أبي خثمة لما كان أبو بكر رضوان الله عليه يكتب من خليفة رسول الله ﷺ ثم كان عمر بن الخطاب رضوان عليه يكتب بعده .

من عمر بن الخطاب خليفة أبي بكر من أول من كتب أمير المؤمنين ؟ فقال : حدثتني جدتي الشفاء وكانت من المهاجرات الأول وكان عمر إذا دخل السوق دخل عليها قال : كتب عمر بن الخطاب إلى كاتب العراقيين أن أبعث برجلين جلدين نبيلين أسألهما عن العراق وأهله فبعث إليه صاحب العراقيين لبيد بن ربيعة وعدى ابن حاتم فقدما المدينة فأناخار احلتيهما بفناء المسجد ثم دخلا المسجد فوجدا عمرو بن العاص فقالا له : يا عمرو استأذن لنا على أمير المؤمنين فدخل عمرو فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال له عمر : ما بدا لك في هذا الاسم يا ابن العاص ! لتخرجن مما قلت .

قال : نعم ، قدم لبيد بن ربيعة وعدى بن حاتم فقالا : إستأذن لنا على

(١) أخرجه ابن سعد ٣/٢١٣ .

أمير المؤمنين فقلت أنتما والله أصبتما اسمه لأنه الأمير ونحن المؤمنون فجرى الكتاب من ذلك اليوم وقال الضحاك : قال عمر رضوان الله عليه أنتم المؤمنون وأنا أميركم فهو سمى نفسه(١) .

فى ذكر ما رخص به فى ولايته مما لم يسبق إليه

عن ميمون بن مهران قال : دُفع إلى عمر رضوان الله عليه صك محله فى شعبان قال عمر : شعبان هذا الذى مضى أو الذى هو آت أو الذى نحن فيه ؟ ثم جمع أصحاب رسول الله ﷺ فقال لهم : ضعوا للناس شيئا يعرفونه فقال قائل اكتبوا على تاريخ الروم فقيل : إنه يطول وأنهم يكتبون من عند ذى القرنين.

قال قائل : اكتبو تاريخ الفرس كلما قام ملك طرح ما كان قبله فاجتمع رأيهم على أن ينظروا كم أقام رسول الله ﷺ فوجدوه أقام بالمدينة عشر سنين فكتب التاريخ على هجرة رسول الله ﷺ (٢).

عن عثمان بن عبد الله قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : جمع عمر بن الخطاب المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم أجمعين فقال : متى نكتب التاريخ ؟ فقال له على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، منذ خرج النبى ﷺ من أرض الشرك يعنى من يوم هاجر ، قال : فكتب ذلك عمر بن الخطاب رضوان الله عليه (٣).

---

(١) أخرجه العسكرى فى «الأوائل» والطبرانى فى «الكبير» والحاكم ٣/٨١ ، وقال الذهبى : صحيح ، وقال الهيثمى فى «المجمع» ٩/٦١ ، رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح .

(٢) أخرجه ابن سعد ٣/٢٢٤ والطبرى فى «التاريخ» ٤/٢٠٩ .

(٣) أخرجه الحاكم ٣/١٤ ، وقال : صحيح الاسناد ووافقه الذهبى .

عن ابن المسيب قال : أول من كتب التاريخ عمر رضوان الله عليه لسنتين ونصف من خلافته فكتب لست عشرة من المحرم بمشورة على بن أبى طالب رضوان الله عليه قال أبو الزناد استشار عمر بن الخطاب فى التاريخ فاجتمعوا على الهجرة(١).

عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه قال : كان مقام إبراهيم عليه السلام لاصقاً بالكعبة حتى كان زمن عمر بن الخطاب فقال عمر : والله إنى لأعلم ما كان موضعه ههنا ، ولكن قريش خافت من السيل فوضعته هذا الوضع ولو أنى أعلم موضعه الأول لأعدته فيه فقال رجل من آل عائذ ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم أنا والله يأمير المؤمنين أعلم موضعه الأول كنت لما حوله قريش أخذت قدر موضعه الأول بحبل وضعت طوفه عند ركنى البيت أو عند الركن أو الباب ثم عقدت فى وسطه عند موضع المقام فعندى ذلك الحبل فدعى عمر بذلك الحبل فقدروا به فلما عرفوا موضعه الأول أعاده عمر فيه قال عمر رضوان الله عليه : إن الله عز وجل يقول : ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾.

عن محمد بن سعد قال : قالوا : إن أول من سُمى بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب وأنه أول من كتب التاريخ فى شهر ربيع الأول سنة ست عشرة فكتبه من هجرة النبى ﷺ من مكة إلى المدينة وهو أول من سن قيام شهر رمضان وهو أول من جمع القرآن فى المصحف وهو أول من جمع الناس على قيام شهر رمضان وكتب به إلى البلدان وجعل بالمدينة قارئين ، قارئا يصلى بالرجال وقارئا يصلى بالنساء وهو أول من ضرب فى الخمر ثمانين وأحرق بيت رويشد الثقفى وكان حانوتاً يعنى نباذاً .

(١) أخرجه البيهقى والبخارى فى «التاريخ» انظر الفتح ٧/٢١٥ .

وهو أول من عس فى عمله بالمدينة وحمل الدُّرة وأدب بها وقيل بعده : لدرة عمر أهيب من سيفكم وهو أول من فتح الفتوح ، فتح العراق كله ، السواد والجبال وأذربيجان وكور البصرة وأرضها وكور الأهواز وفارس وكور الشام كلها ماخلا أجنادين فإنها فتحت فى خلافه أبى بكر رضوان الله عليه وفتح عمر كور الجزيرة والموصل ومصر والإسكندرية .

وقتل رضى عنه وخيله على الرى قد فتحوا عامتها وهو أول من مسح السواد وأرض الجبل ووضع الخراج على الأرض والجزية على جماجم أهل الذمة مما فتح من البلدان ووضع على الغنى ثمانية وأربعين درهماً وعلى الفقير إثنى عشر درهما وقال : لا يعوز رجل منهم درهما فى كل شهر فبلغ خراج السواد والجبل على عهد عمر رضوان الله عليه مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف ألف وألوف درهم ودانقين ونصف .

وهو أول من مصر الأمصار ، الكوفة والبصرة والجزيرة والشام ومصر والموصل وأنزلها العرب وخط الكوفة والبصرة وهو أول من استقضى القضاة فى الأمصار وهو أول منْ دون الدواوين وكتب للناس على قبائلهم وفرض لهم الأعطية من الفئ وفرض لأهل بدر وفضلهم على غيرهم وفرض للمسلمين على أقدارهم وتقدمهم فى الإسلام وهو أول من حمل الطعام فى السفن من مصر فى البحر حتى ورد أنجار ثم حمل من انجاز المدينة وقد قاسم غير واحد من عماله ماله إذا عزله منهم سعد بن أبى وقاص وأبو هريرة .

وكان يستعمل قوماً ويدع أفضل منهم لبصرهم بالعمل وكان يقول : أكره أن أدنس هؤلاء بالعمل وهدم مسجد رسول الله ﷺ وزاد وأدخل دار العباس فيما زاد فيه وهو الذى أخرج اليهود من الحجاز وأجلاهم من جزيرة العرب إلى الشام وحضر فتح بيت المقدس واستعمل أول سنة وليّ على الحج عبد الرحمن

بن عوف رضى الله عنه ثم لم يزل عمر يحج بالناس فى خلافته كلها فحج بهم عشر سنين وحج بأزواج النبى ﷺ آخر حجة حجها واعتمر فى خلافته ثلاث مرات وأخر المقام إلى موضعه اليوم وكان ملتصقا بالبيت(١).

قال عبد الله بن إبراهيم : وألقى الحصى فى مسجد رسول الله ﷺ وكان الناس إذا رفعوا رؤوسهم فى السجود نفضوا أيديهم فأمُر عمر بالحصى فجئ به من العقيق فبسط مسجد رسول الله ﷺ (٢).

وعن مصعب بن سعد : أن عمر رضوان الله عليه من فرض الأعطية فرض لأهل بدر من المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم ستة آلاف ستة آلاف وفرض لأزواج النبى ﷺ ففضل عليهم عائشة فرض لها إثنى عشر ألفا ولسائرهن عشرة آلاف عشرة آلاف غير جويرية وصفية لهما ستة آلاف ستة آلاف وفرض للمهاجرين الأول ، أسماء بنت عميس وأسماء بنت أبى بكر الصديق وأم عبد الله ابن مسعود ألفا ألفا(٣).

عن عروة قال : أول من بطح المسجد يعنى مسجد رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضوان الله عليه وقال أبطحوه من الوادى المبارك يعنى العقيق(٤) .

جمعه الناس فى التراويح على إمام

عن عروة بن الزبير رضى الله عنه أن عائشة زوج النبى ﷺ أخبرته أن رسول الله ﷺ خرج ليلة فى جوف الليل فصلى فى المسجد فصلى رجال بصلاته فأصبح الناس يتحدثون بذلك فاجتمع أكثر منهم فخرج فى الليلة الثانية

(١) أخرجه ابن سعد ٣/٢١٣ ، والطبرى ٤/٢٠٩، والبخارى نحوه فى ٥/٨١ فتح.

(٢) رواه ابن سعد ٣/٢١٥ واسناده ضعيف .

(٣) رواه ابن سعد ٢/٢٣١ والبخارى نحوه فى «باب هجرة الصحابة».

(٤) رواه البيهقى فى «سننه» ٢/٤٤١ .

فصلى فصلوا بصلاته وأصبح الناس يتحدثون بذلك وكثر أهل المسجد فى الليلة الثالثة فخرج رسول الله ﷺ فصلى وصلوا بصلاته فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله فلم يخرج إليهم فطفق رجال يقولون : الصلاة فلم يخرج إليهم حتى خرج لصلاة الفجر فلما قضى الصلاة أقبل على الناس بوجهه ثم تشهد وقال :

أما بعد ، فإنه لم يخف على شأنكم الليلة لكنى خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها فكان رسول الله ﷺ يرغبهم فى قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة ويقول : من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه وتوفى رسول الله ﷺ والأمر على ذلك ثم كان الأمر على ذلك فى خلافة أبى بكر رضوان الله عليه وصدراً من خلافه عمر رضوان الله عليه .

قال عروة فأخبرنى عبد الرحمن بن القارئ وكان من عمال عمر وكان يعمل مع عبد الله بن الأرقم على بيت مال المسلمين أن عمر خرج ليلة فى رمضان وهو معه فطاف فى المسجد وأهل المسجد أوزاع متفرقون يصلى الرجل لنفسه ويصلى الرجل فيصلى بصلاته الرهط فقال عمر والله إنى لأظن لو جمعنا هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ثم عزم أن يجمعهم على قارئ واحد فأمر أبى بن كعب رضى الله عنه أن يقوم بهم فى رمضان فخرج عمر رضى الله عنه والناس يصلون بصلاة قارئهم ومعه عبد الرحمن بن القارئ فقال له عمر: نعمت البدعة هذه والتى ينامون عنها أفضل من التى يقومون يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله(١) .

---

(١) أخرجه مالك (ص ٤٩٣) والبخارى (٤/٢٠٣ ـ ٢٠٤) وابن خزيمة (٢٢٠٧) والبيهقى (٢/٤٩٣) وأخرجه البخارى ومسلم عن أبى هريرة ، والجزء الأخير من قول عروة ، أخرجه البخارى وعبد الرزاق (٧٧٢٣).

عن أبى عثمان أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه دعا ثلاثة قراء فى شهر رمضان فأمر أسرعهم قراءة أن يقرأ ثلاثين آية وأمر أوسطهم أن يقرأ بخمس وعشرين آية وأمر أبطأهم أن يقرأ عشرين آية (١).

عن عبد الله بن حكيم الجهنى قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا دخل شهر رمضان صلى بنا صلاة المغرب ثم تشهد بخطبة خفيفة ثم قال : أما بعد فإن هذا الشهر شهر كتب الله عليكم صيامه ولم يكتب عليكم قيامه من استطاع منكم أن يقوم فإنها من نوافل الخير التى قال الله عز وجل : ومن لم يستطع منكم أن يقوم فلينم على فراشه وليتق إنسان منكم أن يقول : أصوم إن صام فلان وأقوم إن قام فلان من صام منكم أو قام فيجعل ذلك لله عز وجل وأقلّوا اللغو فى بيوت الله واعلموا أن أحدكم فى صلاة ما انتظر الصلاة ألا لا يتقدم الشهر منكم أحد ثلاث مرات ألا لا تصوموا حتى تروه ثم صوموا حتى تروه ألا وإن غُم عليكم فلن يغم عليكم العدد فعدوا ثلاثين ثم افطروا ألا ولا تفطروا حتى تروا الغسق على الظراب(٢).

عن أبى إسحاق الهمدانى قال : خرج علىّ رضوان الله عليه أول ليلة من شهر رمضان فسمع القراءة من المساجد ورأى القناديل تزهر قال نور الله لعمر فى قبره كما نورَ مساجد الله بالقرآن(٣) .

وعن مجاهد قال : خرج علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ذات ليلة فى شهر رمضان فسمع تهافت الناس بقراءة القرآن فى المساجد فقال علىّ : نوَّر الله على عمر قبره كما نوّر مساجدنا .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى «مصنفه» ٧٧٣٢ والبيهقى (٤٩٧/٢) وفى الشعب (٣٠٠٤) وابن نصر فى «قيام الليل» (ص ١٦٠).

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى «مصنفه» (٧٧٤٨) واسناده ضعيف والظراب - الروابى الصغير.

(٣) أخرجه ابن شاهين فى «شرح السنة» والخطيب فى «أماليه» وابن عساكر نحوه عن اسماعيل بن زياد .

حدة فطنته وذكائه وفراسته

عن نافع عن ابن عمر قال : بينما عمر جالس إذ رأى رجلاً فقال : قد كنت مرّة ذا فراسة وليس لى رأى إن لم يكن قد كان هذا الرجل ينظر ويقول فى الكهانةِ إدعوه لى فدعوه فقال : هل كنت تنظر وتقول فى الكهانة شيئاً ؟ قال : نعم.

عن يحيى بن سعيد أن عمربن الخطاب قال لرجل : ما اسمك ؟ قال : حمزة ، قال : أب من ؟ قال : أبو شهاب ، قال : ممن ؟ قال : من الحرقة ، قال: أين مسكنك ؟ قال بحرة النار ، قال : بأيتها ؟ قال : بذات لظى قال عمر : أدرك أهلك فقد احترقوا فكان كم قال عمر رضى الله عنه [(١)].

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : بينا عمر بن الخطاب يُعرض عليه الناس إذ مر به رجل له ابن على عاتقة فقال عمر : ما رأيت غراباً بغراب أشبه من ذلك بهذا ! .

فقال : أما والله يا أمير المؤمنين لقد ولدته أمه وهى ميتة ، قال : ويحك فكيف ذلك ؟ قال : خرجت فى بعث كذا وكذا فتركتها حاملاً فقلت : أستودع الله ما فى بطنك فلما قدمت من سفرى أخبرت أنها قد ماتت فبينا أنا ذات ليلة قاعد فى البقيع مع بنى عم لى إذ نظرت فإذا ضوءٌ شبه السراج فى المقابر فقلت لبنى عمى ، ماهذا ؟ قالوا : لاندرى غير أنا نرى هذا الضوء كل ليلة عند قبر فلانة فأخذت معى فأساً ثم انطلقت نحو القبر فإذا القبر مفتوح وإذا هذا فى

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٩٨٦٤) ومالك واسناده ضعيف ، وعزاه السيوطى فى «تاريخ الخلفاء» (ص ٨٥) لابن بشران فى فوائده من طريق موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر .

حجر أمه فدنوت فنادانى مناد أيها المستودع خذ وديعتك أما لو استودعتنا أمه لوجدتها فأخذت الصبى وانضم القبر[1].

اهتمامه برعيته وملاحظته لهم

عن الشعبى قال : لما سمع الناس قول عمر رضوان الله عليه ورأوا عمله يمشى فى الأسواق ويطوف فى الطرقات ويقضى بين الناس فى قبائلهم ويعلمهم فى أماكنهم ويخلف الغزاة فى أهليهم ذكروا أبا بكر والنبى ﷺ فقالوا : كان النبى أعلم بأبى بكر رضوان الله عليه وأبو بكر أعلم بعمر فجرى أبو بكر وعمر مجرى واحداً وقد كانوا يخافون من لين هذا وشدة ذا فكان أبو بكر مع لينة أقواهم فيما لانوا عنه وألينهم فيما ينبغى وكان عمر ألينهم فيما ينبغى وأقواهم على أمرهم[2].

عن ابن شهاب قال : قال ثعلبة بن أبى مالك : قسم عمر مروطاً بين نساء أهل المدينة فبقى منها مرط جيد فقال له بعض من حضر يا أمير المؤمنين أعط هذا أبنة رسول الله ﷺ التى عندك يريدون أم كلثوم بنت علىّ رضى الله عنه فقال : أم سليط أحق به فإنها ممن بايع رسول الله ﷺ وكانت تزفر للناس القرب يوم أحد[3].

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : خرجت مع عمر بن الخطاب رضوان الله

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى «الهواتف» (٥٩) وفى «مجابى الدعوة» (٤٧) . وفى «من عاش بعد الموت» (٢٤) واسناده جيد .

(٢) رواه البيهقى .

(٣) رواه البخارى فى كتاب «الجهاد» باب «حمل النساء القرب إلى الناس فى الغزو» (١٢٧/٥) وفى باب «ذكر أم سليط» وقوله : تزفر أى تحمل للناس القرب.

عليه إلى السوق فلحقته امرأة شابة فقالت : يا أمير المؤمنين هلك زوجى وترك صبية صغاراً وما ينضجون كراعاً ولا لهم زرع ولا ضرع وخشيت عليهم الضبع وأنا ابنة خفاف بن أيمن الغفارى وقد شهد أبى الحديبية مع رسول الله ﷺ فوقف معها عمر لم يمض وقال : مرحباً بنسب قريب ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطاً فى الدار فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاماً وجعل بينهما نفقة وثياباً ثم ناولها خطامه وقال : إقتاديه فلن يفنى هذا حتى يأتيكم الله بخير فقال رجل : يا أمير المؤمنين أكثرت لها فقال عمر : ثكلتك أمك ووالله إنى رأيت أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصناً زماناً فافتتحاه ثم أصبحنا نستفئ سهامهما فيه[1].

عن الأوزاعى أن عمر خرج فى سواد الليل فرآه طلحة رضى الله عنه فذهب عمر فدخل بيتاً ثم دخل بيتا آخر فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت وإذا بعجوز عمياء مقعدة فقال لها : مابال هذا الرجل يأتيك ؟ فقالت : إنه يتعهدنى منذ كذا وكذا يأتينى بما يصلحنى ويخرج عنى الأذى فقال طلحة : ثكلتك أمك طلحة أعثرات عمر تتبع [2].

عن نافع عن ابن عمر قال : قدمت رفقة من التجار فنزلوا المصلى فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف : هل لك أن تحرسهم الليلة من السرق فباتا يحرسانهم ويصليان ما كتب الله لهما فسمع عمر بكاء صبى فتوجه عمر نحوه فقال لأمه : اتق الله وأحسنى إلى صبيك ثم عاد إلى مكانه فلما كان من آخر الليل سمع بكاءه فأتى أمه ، فقال : ويحك إنى لأراك أم سوء مالى أرى ابنك

---

(١) أخرجه مالك (٢/٨٩٤/٢٢) أخرجه البخارى فى «غزوة الحديبية» (٥/١٥٨) ومسلم فى كتاب باب الطاعون حديث رقم ٩٨ .

(٢) رواه أبو نعيم فى «الحلية» (١/٤٨) وفيه انقطاع .

لايقر منذ الليلة ؟ قالت : ياعبد الله قد أبرمتني منذ الليلة إني أرغمه عن الفطام قال : ولم ؟ قالت : لأن عمر لا يفرض إلا للفطيم قال : وكم له ؟ قالت : كذا وكذا شهراً قال : ويحك لا تعجليه فصلى ومايستبين الناس قراءته من غلبه البكاء فلما سلم قال : يابؤساً لعمر كم قتل من أولاد المسلمين ثم أمر منادياً فنادى أن لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام وكتب بذلك إلى الآفاق أن يفرض لكل مولود في الإسلام[1].

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : خرجنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنها إلى حرة وأقام حتى إذا كنا بصرار[2] إذا نار فقال : يا أسلم إني أرى ههنا ركباً قد ضربهم الليل والبرد انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم فإذا بامرأة معها صبيان وقدر منصوبة على نار وصبيانها يتضاغون[3] فقال عمر : السلام عليكم يا أصحاب الضوء وكره أن يقول يا أصحاب النار فقالت : «وعليكم السلام» فقال : أدنو ؟ فقالت : ادن بخير أو دع ، فدنا منها فقال : ما بالكم ؟ قالت ضربنا الليل والبرد قال : وما بال هؤلاء الصبية يتضاغون قالت : الجوع قال : أي شئ في هذا القدر ؟ قالت : ماء أسكتهم به حتى يناموا والله بيننا وبين عمر ، قال : أي رحمك الله وما يدري عمر بكم ؟ قالت : يتولى أمرنا ثم يغفل عنا ؟ قال : فأقبل عليّ فقال : انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق فأخرج عدلاً من دقيق وكبة من شحم فقال : احمله عليّ فقلت :أنا أحمله عنك فقال : أنت تحمل وزري يوم القيامة ؟ لا أم لك فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه إليها نهرول فألقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيئاً فجعل يقول لها : ذري عليّ وأنا احرك لك «وجعل ينفخ تحت القدر، ثم أنزلها فقال : ابغني

(١) أخرجه ابن سعد (٣/٢٢٨) وذكره ابن كثير في «التاريخ» (٥/١٤٩).

(٢) الصرار الأماكن المرتفعة لا يعلوها الماء وصرار اسم جبل صحاح .

(٣) الصياح والبكاء من الجوع.

شيئاً، فأتته بصحفة، فأفرغها فيها فجعل يقول لها : «أطعميهم وأنا أسطح لهم فلم يزل حتى شبعوا وترك عندها فضل ذلك وقام وقمت معه فجعلت تقول : جزاك الله خيراً كنت بهذا الأمر أولى من أمير المؤمنين فيقول : قولى خيراً إذا جئت أمير المؤمنين وجدتنى هناك إن شاء الله ثم تنحى ناحية عنها ثم استقبلها فريض مربضاً فقلت : لك شأن غير هذا ؟ فلا يكلمنى حتى رأيت الصبية يصطرعون ناموا وهدأوا فقال : يا أسلم إن الجوع أسهرهم وأبكاهم فأحببت أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيت(1) .

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : كان عمر رضوان الله عليه يصوم الدهر فكان عام الرمادة إذا أمسى أتى بخبز فاثرد بالزيت إلا أنه نحر يوماً من الأيام جزوراً فأطعمها الناس وغرفوا طيبها، فأتى به فإذا قدر من سنام ومن كبد فقال: أنى هذا ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين من الجزور التى نحرنا اليوم فقال : بخ بخ بئس الوالى أنا إن أكلت طيبها وأطعمت الناس كراديشها ارفع هذه هات لنا غير هذا الطعام فأتى بخبز وزيت فجعل يكسر ويثرد فى ذلك الزيت قال : ويحك يايرفأ احمل هذه الجفنة حتى تأتى بها أهل بيت بثمغ فإنى لم آتهم منذ ثلاثة أيام واحسبهم مقفرين فضعها بين أيديهم(2).

عن سهيل بن عوف بن الحارث قال : إنما سُمى عام الرمادة لأن الأرض كلها صارت سوداء فشبهت بالرماد وكانت تسعة أشهر(3) قال ابن سعد : ونظر عمر عام الرمادة إلى بطيخة فى يد بعض ولده فقال : بخ بخ يا ابن أمير

---

(1) أخرجه الطبرى فى «التاريخ» (4/205 - 206) . وقال فى «الكنز» (4/415) رواه الدينورى وابن شاذان، وابن عساكر وانظر البداية والنهاية (7/136)

(2) أخرجه ابن سعد (3/227) ويرفأ هو مولى لعمر ، وثمغ مال وقفه عمر بالمدينة .

(3) أخرجه ابن سعد (3/225) وفى الأصل عن عوف بن الحارث عن أبيه .

المؤمنين تاكل الفاكهة وأمة محمد هزلى ! فخرج الصبى هارباً وبكى فقالوا : اشتراها بكف نوى[1].

قال عياض بن خليفة رأيت عمر عام الرمادة وهو أسود اللون ولقد كان أبيض كان رجلاً عربياً ياكل السمن واللبن فلما أمحل الناس حرمها حتى يحيوا فاكل الزيت حتى غير لونه وجاع أكثر[2].

عن أسلم قال : كنا نقول لو لم يرفع الله سبحانه وتعالى المحل عام الرمادة لظننا أن عمر يموت هماً بأمر المسلمين[3].

عن عبد الله بن عمر أن عمر رضوان الله عليه قال عام الرمادة وكانت سنة شديدة ملمة[4] بعدما اجتهد فى إمداد الأعراب بالإبل والقمح والزيت من الأرياف كلها حتى (محلت الأرياف كلها)[5] مما جهدها ذاك فقال عمر يدعو «اللهم رزقهم على رؤوس الجبال فاستجاب الله له وللمسلمين» فقال حين نزلت الغيث ، الحمد لله فوالله لو أنّ الله تعالى لم يفرجها ما تركت أهل بيت المسلمين لهم سعة إلا أدخلت عليهم أعدادهم من الفقراء فلم يكن إثنان يهلكان من الطعام على ما يقيم الواحد[6].

---

(١) أخرجه ابن سعد (٣/٢٤٠) وليس هو من كلام ابن مسعود ولكن رواه عن عيسى بن معمر وهو لين الحيث غير أنه بينه وبين عمر مفارز ، فإسناده ضعيف مع انقطاعه .

(٢) أخرجه ابن سعد (٣/٢٣٩) وفى الأصل وقال عبد الله بن مسعود وهو خطأ والصواب عبد الله بن يزيد عن عياض .

(٣) أخرجه ابن سعد (٣/٢٣٩) واسناده ضعيف .

(٤) فى الأصل محلة .

(٥) زيادة ليست فى الأدب المفرد .

(٦) أخرجه البخارى فى «الأدب المفرد» (٥٦٢) وقال الألبانى فى «صحيح الأدب» (٤٣٨) صحيح الإسناد .

عن طاووس عن أبيه ، قال : أجدب الناس على عهد عمر فما أكل سمناً ولا دسماً حتى أكل الناس[1].

عن يحيى بن سعيد قال : اشترت امرأة عمر بن الخطاب لعمر فرقاً من سمن لستين درهماً فقال عمر : ما هذا ؟ فقالت امرأته : هو من مالى ليس من نفقتك فقال عمر رضى الله عنه : ما أنا بذائقه حتى يحيى الناس[2].

عن أبى مليكة قال : قال أبو محذورة : كنت جالساً عند عمر إذ جاء صفوان بن أميّة بجفنة يحملها نفر فى عباءة فوضعوها بين يدى عمر فدعى عمر ناساً مساكين وأرقاء من أرقاء الناس حوله فأكلوا معه ثم قال عند ذلك : «فعل الله بقوم أو قال : لحا الله قوماً يرغبون عن أرقائهم أن يأكلوا معهم» فقال صفوان بن أمية : أما والله ما نرغب عنهم ! ولكنا نستأثر عليهم ولانجد من الطعام الطيب ما نأكل ونطعمهم»[3].

عن محمد بن زيادة قال : كان جدى مولى عثمان بن مظعون (رضى الله عنه). وكان يلى أرضاً لعثمان ، فيها بقل وقثاء قال : فربما أتانى عمر بن الخطاب نصف النهار واضعاً ثوبه على رأسه ، يتعاهد الحمى أن لا يعضد شجره ولا يخبط قال : فيجلس إلى فيحدثنى فأطعمه من القثاء والبقل قال : فقال لى يوماً : «أراك لا تبرح مما ههنا ؟ » قلت أجل قال إنى استعملك على ماههنا فمن رأيته يعضد شجره أو يخبط فخذ فأسه وحبله قال : «آخذ رداءه» قال : لا.

---

(١) أخرجه فى الطبقات (٣/٢٣٨) وابن المبارك فى «الزهد» (٥٨٠) وفيه انقطاع .

(٢) أخرجه ابن سعد (٣/٢٣٦) وفيه عن يحيى بن سعيد عن محمد بن يحيى بن حبان .

(٣) أخرجه البخارى فى «الأدب المفرد» (٢٠١) وقال الألبانى فى «صحيح الأدب» (١٤٨) صحيح الاسناد وقوله لحا أى قبحهم الله .

عن سعيد بن المسيب رحمه الله أن عمر رضوان الله عليه رد عليه نسوة من البيداء خرجن محرمات فى عدتهن .

عن الفضل بن عميرة أن الأحنف بن قيس قدم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى وفد من العراق قدموا عليه فى يوم صائف شديد الحر وهو معتجر بعباءة يهنأ بعيراً من إبل الصدقة فقال : «يا أحنف ضع ثيابك وهلم فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير ، فإنه من إبل الصدقة فيه حق اليتيم والأرملة والمسكين فقال رجل من القوم : يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ! فهلا تأمر عبداً من عبيد الصدقة فيكفيك ؟ فقال عمر : وأى عبد هو أعبد منى ومن الأحنف ؟ إنه من ولى أمر المسلمين يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيده فى النصحية وأداء الأمانة[1].

عن زيد بن أسلم قال : أخبرنى أبى قال : كنا نبيت عند عمر أنا ويرفأ قال: فكانت له ساعة من الليل يصليها وكان إذا استيقظ قرأ هذه الآية ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ الآية حتى إذا كان ذات ليلة قام فصلى ثم انصرف ثم قال : «قوموا فصلينا فوالله ما أستطيع أن أصلى ولا أستطيع أن أرقد وإنى لأفتح السورة فما أدرى فى أولها أنا فى آخرها قلنا : ولم يا أمير المؤمنين ؟ قال : «من همى بالناس منذ جاءنى هذا الخبر»[2].

عن أبى عبيدة عن شعيب عن إبراهيم النخعى قال : لما ولى عمر قال لعلىّ رضوان الله عليهما : «اقض بين الناس وتجرد للحرب»[3].

---

(١) أخرجه ابن سعد .

(٢) أخرجه ابن سعد .

(٣) منقطع .

عن حنش بن الحارث عن أبيه[1] قال : كان الرجل منا تنتج فرسه فينحره ويقول أنا أعيش حتى أركب هذا ؟ فجاءنا كتاب عمر رضوان الله عليه أن أصلحوا ما رزقكم الله فإن فى الأمر تنفس[2].

عن عبد الله بن عمر[3] قال : بينا الناس يأخذون أعطياتهم بين يدى عمر إذ رفع رأسه فنظر إلى رجل فى وجهه ضربة فسأله فأخبره أنه كان أصابته فى غزاة كان فيها فقال : «عدوا له ألفاً أخرى» فأعطى الرجل ألف درهم فقال : «عدوا له ألفاً» فأعطى الرجل ألفاً أخرى قال له ذلك أربع مرات كل مرة يعطيه ألف درهم فاستحى الرجل من كثرة ما يعطيه فخرج قال : فسأل عنه فقيل له : «إنا رأينا أنه استحى من كثرة ما نعطيه فخرج فقال : أما والله لو مكث مازلت أعطيه ما بقى منها درهم رجل ضرب ضربة فى سبيل الله حفرت فى وجهه[4] .

عن سعيد بن يربوع بن مالك أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه أخذ أربعمائة دينار فجعلها فى صرة فقال للغلام : إذهب بها إلى أبى عبيدة بن الجراح ثم تلة فى البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع فذهب بها الغلام وقال : يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه فى بعض حاجاتك فقال : «وصله الله ورحمه» ثم قال : تعالى يا جارية إذهبى بهذه السبعة إلى فلان وبهذه الخمسة إلى فلان حتى أنفذها فرجع الغلام إلى عمر فأخبره فوجده قد مثلها لمعاذ بن جبل فقال :

---

(١) فى الأصل حبش بن الحرث وهو تصحيف وصوابه حنش بن الحارث عن أبيه وهو الحارث بن لقيط .

(٢) أخرجه البخارى فى «الأدب المفرد» (٤٧٨) وصححه الشيخ الألبانى فى «صحيح الأدب» (٣٧٠) وفى «الصحيحة» (٩).

(٣) صوابه : عبد الله بن عبيد بن عمير .

(٤) أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» (٢/٣٥٥) .

إذهب بهذه إلى معاذ بن جبل «وتله فى البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع فذهب بها إليه فقال : يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه فى بعض حاجاتك» فقال : رحمه الله ووصله تعالى يا جارية إذهبى إلى بيت فلان بكذا واذهبى إلى بيت فلان بكذا «فانطلقت امرأة معاذ فقالت : ونحن والله مساكين فأعطنا ولم يبق فى الخرقة شئ إلا ديناران فرمى بهما إليها فرجع الغلام إلى عمر فأخبره فسر بذلك وقال : إنهم أخوة بعضهم من بعض رضوان الله عليهم»[1].

عن عدى بن حاتم[2] قال أتيت عمر بن الخطاب فى أناس من قومى فجعل يفرض للرجل من طئ فى الفئ ويعرض عنى قال : فاستقبله فأعرض عنى ثم أتيته فى حيال وجهه فأعرض عنى فقلت : يا أمير المؤمنين أما تعرفنى ؟ فضحك حتى استلقى على قفاه ثم قال : نعم والله إنى لأعرفك آمنت إذ كفروا وأقبلت إذ أدبروا ووفيت إذ غدروا وأن صدقة بيضت وجه رسول الله ﷺ ووجوه أصحابه صدقة طئ جئت بها إلى رسول الله ﷺ ثم أخذ يعتذر ثم قال : إنما فرضت لقوم أجحفت بهم الفاقة وهم فاقة عشائرهم لما ينوبهم من الحقوق[3] .

عن الكلبى قال بينا عمر رضوان الله عليه نائم فى المسجد إذ قد وضع رداءه مملوءاً حصى تحت رأسه إذا بهاتف يا عمراه «فانتبه مذعوراً فعدا إلى

---

(١) أخرجه ابن المبارك فى «الزهد» (٥١١) والطبرانى فى «الكبير» وقال فى «الترغيب» (١٧٧/٢) رواته إلى مالك الدار ثقات مشهورون ، وقال الهيثمى فى «المجمع» (١٢٥/٣) رواه الطبرانى فى «الكبير» ومالك الدار لا أعرفه وبقية رجال ثقات ، وقال الحافظ فى «الاصابة» (٤٨٤/٣) مالك بن عياض مولى عمر هو الذى يقال له مالك الدار له ، إدراك وسمع من أبى بكر ، وأخرجه أبو نعيم (٢٣٧/١) مثله عن مالك الدارنى .

(٢) فى الأصل على بن حاتم .

(٣) أخرجه ابن سعد وأحمد (٣١٦) والبيهقى (١٠/٧) وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح ، روى بعضه مسلم فى صحيحه .

الصوت وإذا الأعرابى ممسك بخطام بعير والناس حوله فلما نظر إلى عمر قال الناس : هذا أمير المؤمنين فقال عمر : «من آذاك» ؟ فظن أنه مظلوم فأنشأ يقول فذكر أبياتاً يشكو فيها الجدب فوضع عمر يده على رأسه ثم صاح واعمراه ! واعمراه ! تدرون ما يقول يذكر جدباً واسناتا[1] وابن عمر يشبع ويروى والمسلمن فى جدب وأزل[2] من يوصل إليهم من الميرة والتمر ما يحتاجون إليه ؟ فوجه رجلين من الأنصار ومعهما إبل كثيرة عليها الميرة والتمر فدخلا اليمن فقسما ما كان معهما إلا فضلة بقيت على بعير قالا : بينا نحن ماران نريد الإنصراف فإذا نحن برجل قائم وقد التفت ساقاه من الجوع يصلى فلما رآنا قطع وقال : هل معكما شئ ؟ فصببنا بين يديه وأخبرناه بخبر عمر فقال : والله لئن وكلنا الله إلى عمر لنهلكن ثم ترك ما كان بين يديه وعاد إلى الصلاة ومد يديه فى الدعاء فما ردهما إلى نحره حتى أرسل الله السماء[3].

عن عبد الرحمن بن أبى بكر عن أبيه قال : أتى عمر بخبز وزيت فجعل يأكل منه ويمسح بطنه ويقول : والله لتموتن أيتها البطن على الخبز والزيت ، مادام السمن يباع بالأواق[4].

عن حيوة بن شريح أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه كان إذا بعث الجيش أوصاهم بتقوى الله ثم قال عند عقد الألوية : بسم الله وعلى عون الله إمضوا بتأييد الله والنصر ولزوم الحق والصبر قاتلوا فى سبيل الله من كفر بالله

---

(١) اسنت القوم أجدبوا .

(٢) الأزل : الضيق .

(٣) رواه البيهقى .

(٤) أخرجه ابن سعد (٣/٢٣٨) وأحمد فى «فضائل الصحابة» (٤٧١) وأبو داود فى «الزهد» (٥٩) والبيهقى.

ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ثم لا تجبنوا عند اللقاء ولا تمثلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ولا تتكلموا عند الجهاد ولا تقتلوا امرأة ولا هرماً ولا وليداً وتوقوا قتلهم إذا التقى الجمعان وعند حمه النهضات وفي شن الغارات ولا تغلوا عند الغنا ونزهوا الجهاد عن عرض الدنيا وأبشروا بالأرباح في البيع الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم(١).

عن زيد بن وهب قال : خرج عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ذات يوم إلى سوق المدينة فجاء رجل فجعل يقول : واعمراه ! قال : فسألنا عن خبره فقيل إن عاملاً من عماله أمر رجلاً أن ينزل في واد ينظركم عمقه فقال الرجل إني أخاف فعزم عليه فنزل فلما خرج كز فمات فنادى : ياعمراه فبعث عمر إلى الوالي أما لولا إني أخاف الله أن تكون سنة بعدي لضربت عنقك ولكن لا تبرح حتى تؤدي دينه والله لا أوليك أبداً(٢).

عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال : لما أتاني عمر بفتح تُستُر قال : هل كان شئ ؟ قالوا : نعم رجل ارتد عن الإسلام قال فما صنعتم به ، قلنا : قتلناه قال: فهلا ادخلتموه بيتاً وأغلقتم عليه وأطعمتموه كل يوم رغيفا فاستتبتموه فإن تاب وإلا قتلتموه ثم قال اللهم إني لم أشهد ولم آمر ولم أرض إذ بلغني(٣).

عن زيد بن أسلم عن أبيه أن أبا عبيدة بن الجراح كتب إلى عمر رضوان الله عليهما فذكر جموعاً من الروم وشدة فكان يصلي من الليل ثم يوقظني فيقول: قم فصلي فإني لأقوم فأصلي وأضطجع فما يأتيني النوم ثم يعدو إلى الثنية فيستخبر.

---

(١) أخرجه البيهقي (٣٢٣/٨) .

(٢) أخرجه البيهقي (٣٢٣/٨) .

(٣) أخرجه مالك (١٦/٧٣٧/٢) والشافعي وعبد الرزاق والبيهقي (٢٠٦/٨) وفيه انقطاع.

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال قلت لعمر : إن فى الظهر لناقة عمياء قال عمر ندفعها إلى أهل بيت ينتفعون بها قال قلت : كيف وهى عمياء ؟ قال : يقطرونها بالإبل قال قلت كيف تاكل من الأرض قال : أردتم والله أكلها ؟ كانت له صفحات تسع ولا يأكل طريفة ولا فاكهة إلا جعل منها لأزواج النبى ﷺ وآخر من بعث إليه حفصة فإن كان نقصان كان فى حقها قال : فنحرنا تلك الجزور فبعث إلى أزواج النبى ﷺ ووضع ما فضل منه فدعى إليه المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم[1] .

عن سعيد بن المسيب رحمه الله أن بعيراً من المال سقط فأهدى عمر إلى أزواج النبى ﷺ ثم صنع مابقى وجمع عليه ناساً من المسلمين فيهم العباس عم رسول الله ﷺ فقال العباس يا أمير المؤمنين لو صنعت لنا مثل هذا كل يوم فأكلنا وتحدثنا عندك فقال عمر : لا أعود لمثل هذا إنه مضى صاحبان لى فعملا عملا وسلكا طريقا وإنى إن عملت بغير عملها سُلك بى غير طريقهما[2].

عن أبى سهيل بن مالك عن أبيه أن عمر بن الخطاب قال ليرفأ كم تعلفون هذا الفرس ؟ لفرس كان ترد عليه نعم الصدقة ، قال يرفأ : ثلاثة أمداد أو صاعاً قال عمر : إن هذا لكاف أهل بيت من العرب والذى نفسه بيده لتعالجن غور البقيع[3].

عن عبد الملك عن ابن عمر قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : من استعمل رجلاً لمودة أو لقرابة لا يستعمله إلا لذلك فقد خان الله ورسوله والمؤمنين.

---

(١) رواه البيهقى فى «سننه» (٣٥/٧) .

(٢) أخرجه مالك وأحمد فى «الزهد» (ص ١٤٥) والبيهقى (٣٠/٧) وابن سعد (٢١٩/٣) ومسدد كما فى «المطالب العالية (٣٩٠٩) .

(٣) أخرجه أحمد فى «الزهد» (ص ١٥٦) وابن سعد (٢٣٧/٣) .

وعن عمران بن سليم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : من استعمل فاجراً وهو يعلم أنه فاجر فهو مثله .

عن أبى عمران الجونى قال : أهدى أبو موسى الأشعرى إلى عمر هدية فيها سلال فاستفتح عمر سلة منها قال : «ردوه ردوه لا تراه ولا تتوقه قريش فتتذابح عليه» .

عن أنس بن مالك قال : كنت عند عمر بن الخطاب فجاءته امرأة من الأنصار فقالت : إكسنى يا أمير المؤمنين فقال : ما هذا أوان كسوتك ؟ قالت : والله ما على ثوب يوارينى قال : فقام عمر فدخل خزائنه فأخرج درعاً قد خيط أبيض وجاءت فألقاه إليها وقال : «هذا لبسى وانظرى خلقك فارقعيه وخيطيه والبسيه على برمتك وعملك فإنه لا جديد لمن لا خَلِق له .

عن عبيد بن عمير أن بن الخطاب رضوان الله عليه رأى رجلاً يقطع من شجر الحرم ويعلفه بعيراً له فقال : على بالرجل فأتى به فقال : «يا عبد الله إن مكة حرام لا يُعضد عُضاها ولا يُنفر صيدها ولا تُحل لُقطتها إلا لمعُرِّف» فقال : يا أمير المؤمنين ما حملنى على ذلك إلا أن معى نضواً» إنى خشيت أن لا يبلغنى وما معى زاد ولا نفقة قال : فرق له عمر بعدما هم به وأمر له ببعير من إبل الصدقة فوقر طحيناً فأعطاه إياه وقال : «لاتعد تقطع من شجر الحرم شيئاً».

عن عبد الله بن المبارك رحمه الله قال : اشترى عمر بن الخطاب رضوان الله عليه أعراض المسلمين من الحطيئة بثلاثة آلاف درهم فقال الحطيئة :

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع ... شتماً يضر ولا مديحاً ينفع

ومنعتنى عِرْض البخيل فلم يخف ... شتمى وأصبح آمناً لا يفزع

عن إسحاق بن إبراهيم قال : قال الفضيل عياض رضى الله عنه يوبخ نفسه : ما ينبغى لك أن تتكلم بفمك كله تدرى من يتكلم بفمه كله ؟ عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يطعمهم الطيب ويأكل الغليظ ويكسوهم اللين ويلبس الخشن وكان يعطيهم حقوقهم ويزيدهم وأعطى رجلاً أربعة آلاف درهم ، وزاده ألفاً فقيل له : ألا تزيد ابنك كما زدت هذا ؟ قال : إن أبا هذا ثبت يوم أحد ولم يثبت أبو هذا».

عن ابن عمر قال : كان عمر يأتى مجزرة الزبير بن العوام رضى الله عنه بالبقيع ولم يكن بالمدينة مجزرة غيرها فيأتى معه بالدِّرة فإذا رأى رجلاً اشترى لحماً يومين متتابعين ضربه بالدِّرة وقال : «ألا طويت بطنك يومين» !

عن ابن شهاب أن القاسم بن محمد أخبره أن رجلاً ضاف ناساً من هُذيل فخرجت لهم جارية واتبعها ذلك الرجل فراودها عن نفسها فتعافسا فى الرمل فرمته بحجر ففضت كبده فبلغ ذلك عمر رضوان الله عليه فقال : «ذلك قتيل الله لا يودى أبداً»[1].

عن عبد الله بن صالح قال : حدثنى الليث قال : أتى عمر بن الخطاب رضوان الله عليه بفتى أمرد قد وجد قتيلا ملقى على وجهه بالطريق فسأل عمر عن أمره واجتهد فيمن يقف على خبر ولم يعرف له قاتل فشق ذلك على عمر وقال : اللهم أظفرنى بقاتله حتى إذا كان رأس الحول أو قريباً من ذلك وجد صبى مولود ملقى بموضع القتيل فأتى به عمر : «فقال ظفرت بدم القتيل إن شاء الله» فدفع الصبى إلى امرأة وقال لها قومى بشأنه وخذى منا نفقته وانظرى من يأخذه منك فإذا وجدت امرأة تقبله وتضمه إلى صدرها فاعلمينى بمكانها فلما شبَّ الصبى جاءت جارية فقالت للمرأة «سيدتى بعثتنى إليك تبعثنى

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٧٩/٩) والبيهقى (٣٣٧/٨).

بالصبى لتراه وترده إليك» قالت : «نعم إذهبى به إليها وأنا معك» فذهبت بالصبى والمرأة معها حتى دخلت على سيدتها فلما رأته أخذته فقبلته وضمته إليها فإذا هى بنت شيخ من الأنصار ومن أصحاب رسول الله ﷺ فأخبرت عمر خبر المرأة فاشتمل عمر على سيفه ثم أقبل إلى منزلها فوجد أباها متكئا على باب داره فقال : يا أبا فلان ما فعلت ابنتك فلانة ؟ قال : يا أمير المؤمنين جزاها الله خيراً هى من أعرف الناس بحق الله تعالى وحق أبيها مع حسن صلاتها وصيامها والقيام بدينها قال عمر : قد أحببت أن أدخل إليها فأزيدها رغبة فى الخير أحثها على ذلك فقال : جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين إمكث مكانك حتى أرجع إليك فاستأذن لعمر فلما دخل أمر عمر كل من كان عندها فخرج وبقيت هى وعمر فى البيت ليس معهما أحد فكشف عمر عن السيف وقال : لتصدقنى وإلا قتلتك «وكان عمر لا يكذب فقالت » على رسلك يا أمير المؤمنين فوالله لأصدقن أن عجوزاً كانت تدخل على فاتخذتها أُماً وكانت تقوم فى أمرى بما تقوم به الوالدة وكنت لها بمنزلة البنت فامضت بذلك حيناً ثم إنها قالت لى يابنية إنه قد عرض لى سفر ولى بنت فى موضع أتخوف عليها أن تضيع قد أحببت أن أضمها إليك حتى أرجع من سفرى فعمدت إلى ابن لها شاب أمرد فهيأته كهيئة الجارية وأتتنى به لا أشك أنه جارية فكان يرى منى ما ترى الجارية من الجارية حتى اغتفلنى يوماً وأنا نائمة فما شعرت حتى علانى وخالطنى فمددت يدى إلى شفرة كانت إلى جنبى فقتلته ثم أمرت به فألقى إلى حيث رأيت فاشتملت منه على هذا الصبى فلما وضعته ألقيته فى موضع أبيه فهذا والله خبرهما على ما أعلمتك قال عمر : صدقت بارك الله فيك ثم أوصاها ووعظها ودعا لها وخرج وقال لأبيها بارك الله فى ابنتك فنعم الإبنة ابنتك وقد وعظتها وأمرتها فقال الشيخ : وصلك الله يا أمير المؤمنين وجزاك الله خيراً عن رعيتك .

عن ابن الزناد قال : قال رضوان الله عليه : لو أدركت عفراء وعروة لجمعت بينهما .

عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال : سمع عمر رضوان عليه فى جوف الليل غناء فأقبل نحوه فسكت عنه حتى إذا طلع الفجر قال : إيه الآن اسكتوا اذكروا الله تعالى .

وعن عاصم بن عبيد الله بن عبد الله بن عامر ابن ربيعة قال : سمع عمر، صوت ابن المغترف أو ابن الغرف الحادى ، فى جوف الليل ونحن منطلقون إلى مكة ، فأوضع عمر راحلته ، حتى دخل مع القوم ، فإذا هو مع عبد الرحمن ، فلما طلع الفجر فقال : إيه اسكت الآن قد طلع الفجر ، اذكروا الله تعالى .

عن إسماعيل بن الحسن قال : قال عمر بن الخطاب : «إن قريشاً تريد أن تكون مغويات لمال الله تعالى دون عباد الله وأنا حى فلا والله ! ألا وأنى آخذ بحلاقهم قريش عن باب الحرة أمنعهم من الوقوع فى النار ألا وأنى سننت فى الإسلام سن البعير يكون حقاً ثم يكون ثنياً ثم يكون رباعياً ثم يكون سديسا ثم يكون بازلا ألا وإن الإسلام قد بزل فهل ينتظر من البازل إلا النقصان ؟

عن إسماعيل بن إسحاق مغويات بتسكين الغين واللغويون يقولون بتشديد الواو ومعناه مُهلكات وهو مأخوذ المغواة وهى المهلكة والأصل فيها بئر تحفر ويعلق فيها جَدْى فإذا جاءها الذئب فيتدلى إلى الجدى أصطيد وهى كالزبية للأسد إلا أن الزبية تجعل للأسد فى مكان مرتفع يقال قد بلغ السيل الزبى إذا علا وارتفع حتى يبلغ هذه الحفائر .

عن ابن الأعرابى : يقال من حفر مغواة وقع فيها وأنشد :

لا تحـــفرن بـــئراً تريد أخـاً بها   فإنك فيهـا أنــت من دونــه تقــع

كذاك الذى يبغى على الناس ظالماً   تصبه على رغم عواقب ما صنع

عن قتادة قال : ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال : «لقد هممت أن أبعث إلى الأمصار فلا يوجد رجل قد بلغ سناً وله سبغة ولم يحج إلا ضربت عليه الجزية والله ما أولئك بمسلمين والله وما أولئك بمسلمين »[1].

عسسه بالمدينة

وبعض ما جرى له فى ذلك

عن جابر بن عبد الله قال: عسسنا مع عمر بن الخطاب ذات ليلة بالمدينة حتى انتهينا إلى خيمة فيها نويرة تقدح أحياناً وتطفأ أحياناً وإذا صوت حزين فقال : «أقيموا مكانكم» ومضى حتى انتهى إلى الخيمة فإذا عجوز تقول :

على محمد صلاة الأبرار   صلى عليه المصطفون الأخيار

قد كنت قواما تلى الأسحار   فليت شعرى والمنايا أطوار

هلى تجمعنى وحبيبى الدار

فبكى عمر رضوان الله عليه حتى ارتفع صوته ومضى حتى انتهى إلى الخيمة فقال : السلام عليكم السلام عليكم عليكم فأذنت له فى الثالثة فإذا عجوز فقال لها عمر : أعيدى على قولك فأعادت عليه قولها بصوت حزين فبكى عمر ثم قال : «وعمر لاتنسيه رحمك الله ، فقالت : وعمر فاغفر له إنك أنت الغفار[2].

عن السائب بن جبير مولى ابن عباس رضى الله عنه وكان قد أدرك

(١) أخرجه عبد الرزاق عن ابن جريج كما فى «الكنز» (٢٠٨/٨) والبيهقى (٢٩/٩) من طريق مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر .

(٢) أخرجه ابن المبارك فى «الزهد» (١٠٢٤).

أصحاب رسول الله ﷺ قال : مازلت أسمع حديث عمر رضوان الله عليه أنه خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة وكان يفعل ذلك كثيراً إذ مر بامرأة من نساء العرب مغلقة عليها بابها وهى تقول :

تطاول هذا الليل تسرى كواكبه ... وأرقنى أن لا ضجيع ألاعبه

ألا عبه طوراً وطوراً كأنما ... بدا قمر فى ظلمة الليل حاجبه

يسر به من كان يلهو بقربه ... لطيف الحشى لا تجتويه أقاربه

فوالله لولا الله لا شئ غيره ... لينقض من هذا السرير جوانبه

ولكننى أخشى رقيبا موكلا ... بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه

ثم تنفست الصعداء وقالت : لهان على عمر بن الخطاب وحشتى وغيبة زوجى عنى وعمر واقف يسمع قولها فقال لها عمر : يرحمك الله ثم وجه إليها بكسوة ونفقة وكتب لها أن يقدم عليها زوجها[1] .

وعن الشعبى قال : بينما عمر يعس ذات ليلة إذ مر بامرأة جالسة على سرير وقد أجافت الباب وهى وتقول :

تطاول هذا الليل وأخضل جانبه ... وأرقنى أن لا خليل ألاعبه

فوالله لولا الله لا شئ غيره ... لحرك من هذا السرير جوانبه

فقال عمر رضوان الله عليه أوه ثم خرج حتى دخل على حفصة أم المؤمنين رضى الله عنها فقالت : يا أمير المؤمنين ما جاء بك فى هذا الوقت ؟ قال : أى بنية كم تحتاج المرأة إلى زوجها ؟ فقالت : فى ستة أشهر فكان لا يغزى جيشاً له أكثر من ستة أشهر .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق وابن سعد والبيهقى (٢٩١٩) .

عن أسلم قال : بينما أنا مع عمر بن الخطاب وهو يعس بالمدينة إذ عسى فاتكأ على جانب جدار فى جوف الليل وإذا امرأة تقول لإبنتها : يا بنتاه قومى إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء قالت لها : يا أمتاه أو ما علمت بما كان من عزمة أمير المؤمنين ؟ قالت : وما كان من عزمته يابنية قالت: إنه أمر مناديه فنادى لا يشاب اللبن بالماء فقالت لها يا بنية قومى إلى اللبن فامذقيه بالماء فإنه بوضع لا يراك عمر ولا منادى عمر فقالت الصبية لأمها : يا أمتاه والله ماكنت لأطيعه فى الملأ وأعصيه فى الخلاء وعمر يسمع ذلك كله فقال : يا أسلم علم الباب واعرف الموضع ثم مضى فى عسسه فلما أصبح قال يا أسلم إمض إلى الموضع فانظر من القائلة ومن المقول لها وهل لهن من بعل ؟ فاتيت الموضع فنظرت فإذا الجارية أيم لا بعل لها وإذا تيك أمها ليس لها بعل فاتيت عمر وأخبرته فدعا عمر ولده فجمعهم فقال : هل فيكم من يحتاج امرأة فأزوجه ؟ لو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه الجارية فقال عبد الله : لى زوجة وقال عبد الرحمن لى زوجة وقال عاصم يا أبتاه لا زوجة لى فزوجنى فبعث إلى الجارية فزوجها من عاصم فولدت لعاصم بنتاً وولدت البنت عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه[1] .

عن أنس بن مالك قال : بينا عمر رضوان الله عليه يعس المدينة إذ مر برحبة من رحابها فإذا هو ببيت من شعر لم يكن بالأمس فدنا منه فسمع أنين امرأة ورأى رجلاً قاعداً فدنا منه فسلم عليه ثم قال : من الرجل ؟ فقال : رجل من أهل البادية جئت إلى أمير المؤمنين أصيب من فضله فقال: ما هذا الصوت الذى أسمعه فى البيت ؟ فقال : إنطلق رحمك الله لحاجتك قال : على ذاك ماهو؟ قال : امرأة تمخض قال : هل عندها أحد ؟ قال : لا قال : فانطلق حتى أتى

---

(١) أخرجه ابن حبان فى «العقلاء» (ص ٥٤).

منزاً فقال لامرأته أم كلثوم بنت عليّ رضوان الله عليهما : هل لك فى أجر ساقه الله إليك ؟ قالت : وما هو ؟ قال : امرأة غريبة تمخض ليس عندها أحد قالت : نعم إن شئت قال: فخذى معك ما يصلح المرأة لولادتها من الخرق والدهن وجيئينى ببرمة وشحم وحبوب قال : فجاءت به فقال لها : انطلقى وحمل البرمة ومشت خلفه حتى انتهى إلى البيت فقال لها ادخلى إلى المرأة وجاء حتى قعد إلى الرجل فقال له : أوقد لى ناراً ففعل فأوقد تحت البرمة حتى أنضجها وولدت المرأة فقالت امرأته : يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام فلما سمع بأمير المؤمنين كأنه هابه فجعل يتنحى عنه فقال له : مكانك كما أنت فحمل البرمة فوضعها على الباب ثم قال : أشبعيها ففعلت ثم أخرجت البرمة فوضعتها على الباب فقام عمر رضوان الله عليه فأخذها فوضعها بين يدى الرجل فقال : «كل ويحك فإنك قد سهرت من الليل ففعل ثم قال لامرأته : أخرجى وقال للرجل : إذا كان غداً فأتنا نأمر لك بما يصلحك» ففعل الرجل فأجازه وأعطاه[1].

عن عبد الله بن بريدة الأسلمى قال : بينما عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يعس ذات ليلة فإذا امرأة تقول :

هل من سبيل إلى خمر فأشربها   أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج

فلما أصبح سأل عنه ، فإذا هو من بنى سليم ، فأرسل إليه فإذا هو أحسن الناس شعراً وأصبحهم وجهاً فأمر عمر أن يُجَمّ شعره ففعل فخرجت جبهته فازداد حسناً فأمره عمر أن يعتم ففعل فازداد حسنا فقال عمر : «لا والذى نفسى بيده لا يجامعنى بأرض أنا فيها فأمر له بما يصلحه وسيره إلى البصرة»[2].

---

(١) أخرجه ابن المبارك مختصراً ، والبيهقى مطولا .

(٢) أخرجه ابن سعد (٣/٢١٦) .

وروى أن عمر رضوان الله عليه بينما ذات ليلة يطوف فى سكه من سكك المدينة سمع امرأة وهى تهتف من خدرها وتقول :

هل من سبيل إلى خمـر فاشربها   أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج

إلى فتى ما جـد الأعـراق مقتـل   سـهل المحيـا كريـم غير ملجـاج

فقال عمر : «لا أرى معى رجلاً تهتف به العواتق فى خدورهن على بنصر ابن الحجاج» فأتى به فإذا هو أحسن الناس وجهاً وأحسنهم شعراً فقال : «على بالحجام فجز شعره فخرجت وجنتان كأنهما شقتا قمر» فقال : اعتم فافتنّ الناس فقال عمر: «والله لا تساكنى فى بلد أنا فيه» قال : «ولم ذاك يا أمير المؤمنين؟ » قال : هو ما قلت لك . «فسيَّره إلى البصرة وخشيت المرأة التى سمع منها عمر أن يبدر إليها بشئ فدست إليه أبياتاً تقول فيها :

قل للإمـام الـذى تخـشى بوادره   مالى وللخمر أو نصر بن الحجاج

إنى عنيـت أبا حفـص بغيرهمـا   شرب الحليب وطرف فاتر ساجى

إن الهـوى زمـه التقـوى فقيـده   حتى أقـر بالجـام واســراج

لا تجعـل الظـن حقـا لاتبـينه   إن السبيل سبيل الخائف الراجى

فبعث إليها عمر رضوان الله عليه قد بلغنى عنك خير إنى لم أخرجه من أجلك ولكن بلغنى أنه يدخل على النساء فلست آمنهن ، وبكى عمر وقال : الحمد لله الذى قيد الهوى وقد أقر بالجام واسراج(1) ثم كتب إلى عامله بالبصرة كتاباً فمكث الرسول عنده أياماً ثم نادى مناديه إلا أن بريد المسلمين يريد أن يخرج فمن كانت له حاجة فليكتب فكتب نصر بن الحجاج كتاباً ودسه فى الكتب :

(1) أخرجه ابن سعد (٢١٦/٣).

بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله عمر أمير المؤمنين سلام الله عليك أما بعد :

لعمرى لئن سيرتنى أو فضحتنى ... وما نلته منى عليك حرام

فأصبحت منفياً على غير ريبة ... وقد كان لى بالمكتبين مقام

أإن غنت الزلفاء يوما بمنية ... وبعض أماني النساء غرام

ظننت بى الظن الذى ليس بعده ... بقاء فما لى فى الندى كلام

ويمنعنى مما تظن تكرمى ... وآباء صدق سالفون كرام

يمنعها مما تظن صلاته ... وحال لها فى قومها وصيام

فهذان حالانا فهل أنت راجعى ... فقد جب منى كاهل وسنام

إمام الهدى لاتبتلى الطرد مسلما ... له حرمة معروفة وزمام

قال عمر أما ولى سلطان فلاء فما رجع إلى المدينة إلا بعد عمر رضوان الله عليه ويقال أن المتمنية هى أم الحجاج وطال مكث نصر بالبصرة فخرجت أمه يوماً بين الأذان والإقامة معترضة لعمر فإذا عمر قد خرج فى إزار ورداء بيده الدِّرة فقالت : يا أمير المؤمنين والله لأقفن أنا وأنت بين يدى الله عز وجل وليحاسبنك الله تعالى يبيت عبد الله إلى جنبك وعاصم وبينى وبين ابنى الجبال والفيافى والأودية! فقال : عمر : إن إبنىَّ لم يهتف بهما العواتق فى خدروهن»[1].

عن عبد الله بن بريدة أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه خرج يعس المدينة فإذا هو بنسوة يتحدثن فإذا هن يقلن أى أهل المدينة أصبح فقالت امرأة: أبو ذئب فلما أصبح سأل عنه فإذا هو من بن سليم فأرسل إليه فإذا هو من أصبح الناس فلما نظر عمر إليه قال : وأنت والله دينهن أنت والله دينهن - مرتين

(١) أخرجه ابن سعد (٣/٢١٦).

أو ثلاثا - لا والذى نفسى بيده لا تجامعنى بأرض أنا بها فقال : إن كنت لابد مسيرى فسيرنى حيث سيرت ابن عمى فأمر له بما يصلح وسيره إلى البصرة .

عن أبى سُعيد قال : كان عمر بن الخطاب يعس فى المسجد بعد العشاء الآخرة فلا يدع أحداً إلا رجلاً قائما يصلى فمر ذات ليلة على نفر جلوس من أصحاب النبى ﷺ فيهم أبى بن كعب رضى الله عنه فقال : «من أنتم» ؟ فقال أبى : نفر من أهلك يا أمير المؤمنين قال : «فما خلفكم بعد الصلاة ؟ » فقال : «إنا جلسنا لذكر الله عز وجل» قال : فجلس معهم ثم قال لأدناهم منه رجلاً خذ قال فدعا ثم استقراهم رجلاً رجلاً يدعون حتى انتهى إلىّ وأنا إلى جنبه فقال : «ادع فحصرت وأخذتنى الرعدة حتى جعل يجد مس ذلك فقال : «لو أن يقول اللهم اغفر لنا ، اللهم ارحمنا» قال : ثم أخذ عمر يدعو فما كان فى القوم أكثر دمعة منه ولا أشد بكاء منه ثم قال لهم : «الآن تفرقوا»[1].

عن جعفر بن زيد العبدى قال خرج عمر رضوان الله عليه يعس المدينة ذات ليلة فمر بدار رجل من الأنصار فوافقه قائماً يصلى ، فوقف يسمع قراءته فقرأ والطوور حتى بلغ ﴿إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع﴾ فقال قسم ورب الكعبة حق فنزل عن حماره فاستند إلى حائط فمكث ملياً ثم رجع إلى منزله فمرض شهراً يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه[2].

(١) ابن سعد (٣/٢٢٣).

(٢) رواه ابن المبارك فى «الزهد».

غزواته مع رسول الله ﷺ

وانفاذه إليه فى سرية

اتفق العلماء على أن عمر رضوان الله عليه شهد بدراً وأُحد والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ لم يغب عن غُزاة غزاها رسول الله ﷺ ، وعن ابن سعد قال : قالوا يعنى العلماء بالسير شهد عمر رضوان الله عليه بدراً وأُحداً والمشاهد كلها فأما خروجه فى السرية فقد بعثه رسول الله ﷺ إلى تربة(1).

قال ابن سعد بعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب إلى تربة فى شعبان سنة سبع من مهاجرة النبى ﷺ فى ثلاثين رجلاً إلى عجز هوزان بتربة وهى بناحية العبلا على أربع مراحل من مكة فخرج وخرج معه دليل من بنى هلال يسير الليل ويكمن النهار فأتى الخبر هوزان فهربوا ، وجاء عمر محالهم فلم يلق منهم أحداً فانصرف راجعاً إلى المدينة(2) .

آراء المستشرقين فى عمر

قال موير فى كتابه (الخلافة) ما ترجمته :

«كانت البساطة والقيام بالواجب من أهم مبادئ عمر، وأظهر ما اتصفت به إدارته عدم التحيز، والتعبد، وكان يقدر المسئولية حق قدرها» وقال «وكان شعوره بالعدل قويا ولم يحاب أحداً فى اختيار عماله، ومع أنه كان يحمل سوطه ويعاقب المذنب فى الحال - حتى قيل إن سوط عمر أشد من سيف غيره - إلا أنه كان رقيق القلب، وكانت له أعمال سجلت له شفقته . من ذلك شفقته على الأرامل والأيتام» .

(1 ، 2) أخرجه ابن سعد (٢٠٦/٣).

وقالت عنه دائرة المعارف البريطانية : «كان عمر حاكماً عاقلا ، بعيد النظر وقد أدى للإسلام خدمة عظيمة».

وكتب الأستاذ واشنجتون ايرفنج فى كتابه (محمد وخلفاؤه) «إن حياة عمر من أولها إلى آخرها تدل على أنه كان رجلا ذا مواهب عقلية عظيمة وكان شديد التمسك بالاستقامة والعدالة وهو الذى وضع أساس الأمبراطورية الإسلامية ونفذ رغبات النبى وثبتها وآزر أبا بكر بنصائحه أثناء خلافته القصيرة ، ووضع قواعد متينة للإدارة الحازمة فى جميع البلاد التى فتحها المسلمون وإن اليد القوية التى وضعها على أعظم قواده المحبوبين لدى الجيش فى البلاد النائية وقت انتصاراتهم لأظهر دليل على كفاءته الخارقة للحكم وكان ببساطة أخلاقه واحتقاره للأبهة والترف مقتديا بالنبى وأبى بكر وقد سار على أثرهما فى كتبه للقواد».

بعض خطب عمر رضى الله عنه

أيها الناس إنى قد وليت عليكم ولولا رجاء أن أكون خيركم وأقواكم عليكم وأشدكم استضلاعا بما ينوب من مهم أموركم ما وليت ذلك منكم ولكفى عمر مهما محزنا انتظار موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف آخذها ووضعها أين أضعها وبالسير فيكم كيف أسير فربى المستعان ، فإن عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله عز وجل برحمته وعونه وتأييده .

إن الله عز وجل قد ولانى أمركم وقد علمت انفع ما بحضرتكم لكم وإنى اسأل الله تعالى أن يعيننى عليه وأن يحرسنى عنده كما حرسنى عند غيره وأن يلهمنى العدل فى قسمكم كالذى أمر به وإنى امرؤ مسلم وعبد ضعيف إلا ما أعان الله عز وجل ولن يغير الذى وليت من خلافتكم من خلقى شيئاً إن شاء الله.

إنما العظمة لله عز وجل وليس للعباد منها شئ فلا يقولن أحد منكم إن عمر تغير منذ ولى ، اعقل الحق من نفسى واتقدم وابين لكم امرى فايما رجل كانت له حاجة أو ظلم مظلمة أو عتب علينا فى خلق فليؤذنى فإنما أنا رجل منكم فعليكم بتقوى الله فى سركم وعلانيتكم وحرماتكم وأعراضكم واعطوا الحق من أنفسكم ولا يحمل بعضكم بُعضا على أن تحاكموا إلى فإنه ليس بينى وبين أحد من الناس هوادة[1] وأنا حبيبٌ إلىّ صلاحكم عزيز علىّ عتبكم وأنتم أناس عامتكم حضر فى بلاد الله وأهل بلاد لا زرع فيه ولا ضرع إلا ما جاء الله به إليه وإن الله عز وجل قد وعدكم كرامة كثيرة وأنا مسئول عن أمانتى وما أنا فيه مطلع على ما بحضرتى بنفسى إن شاء الله لا أكله إلى أحد ولا استطيع ما بعد منه إلا بالأمناء وأهل النصح منكم للعامة ولست اجعل أمانتى إلى أحد سواهم إن شاء الله [2].

أيها الناس إن بعض الطمع فقر ، وإن بعض اليأس غنى وأنكم تجمعون مالا تاكلون وتأملون مالا تدركون وأنت مؤجلون فى دار غرور كنتم على عهد رسول الله ﷺ تؤخذون بالوحى ، فمن اسر شيئاً أخذ بسريرته ومن أعلن شيئاً أخذ بعلانيته ، فاظهروا لنا أحسن أخلاقكم والله اعلم بالسرائر فإنه من أظهر لنا شيئاً وزعم أن سريرته حسنة لم نصدقه ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسنا واعلموا أن بعض الشح شعبة من النفاق فانفقوا خيراً لأنفسكم ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ أيها الناس أطيبوا مثواكم واصلحوا أموركم واتقوا الله ربكم ولا تلبسوا نسائكم القباطى فإنه إن لم يشف فإنه يصف ، أيها الناس إنى لوددت أن أنجو كفافا لالى ولا علىّ وإنى لارجو إن

---

(١) الهوادة : اللين والرفق .

(٢) الطبرى .

عمرت فيكم يسيراً أو كثيراً أن اعمل بالحق فيكم إن شاء الله وأن لا يبقى أحد من المسلمين وإن كان فى بيته إلا اتاه حقه ونصيبه من مال الله ولا يعمل إليه نفسه ولم ينصب إليه يوما واصلحوا أموالكم التى رزقكم الله ، ولقليل فى رفق خير من كثير فى عنف والقتل حتف من الحتوف يصيب البر والفاجر ، والشهيد من احتسب نفسه . وإذا أراد أحدكم بعيراً فليعمد إلى الطويل العظيم فليضربه بعصاه فإن وجده حديد الفؤاد فليشتره[1].

تكلم عمر رضى الله عنه فى هذه الخطبة فى عدة أمور فقد أشار إلى أن الوحى قد انقطع بموت رسول الله فلا سبيل إلى معرفة الباطن والسرائر إلا بما يظهره الإنسان ، وذم الشح ونهى عن تبرج النساء.

إن الله سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشكر واتخذ عليكم الحج فيما أتاكم من كرامة الآخرة والدنيا عن غير مسألة منكم له ولا رغبة منكم فيه إليكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئاً لنفسه وعبادته وكان قادراً أن يجعلكم لأهون خلقه عليه فجعل لكم عامة خلقه ولم يجعلكم لشئ غيره وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وحملكم فى البر والبحر ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ثم جعل لكم سمعا وبصراً ومن نعم الله عليكم نعم عم بها بنى آدم ومنها نعم اختص بها أهل دينكم ثم صارت تلك النعم خواصها وعوامها فى دولتكم زمانكم وطبقتكم وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرئ خاصة إلا لو قسم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم اتعبهم شكرها وفدحهم حقها إلا بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله فأنتم مستخلفون فى الأرض قاهرون لأهلها قد نصر الله دينكم فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أمتان أمة مستعبدة للإسلام وأهله يجزون لكم يستضعفون معائشهم وكدائحهم

(١) الطبرى .

ورشح جباههم عليهم المؤونة ولكم المنفعة وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته فى كل يوم وليلة قد ملأ الله قلوبهم رعباً فليس لهم معقل يلجأون إليه ولا مهرب يتقون به قد دهمتهم جنود الله عز وجل ونزلت بساحتهم مع رفاغة العيش واستفاضة المال وتتابع البعوث وسد الثغور بإذن الله مع العافية الجليلة العامة التى لم تكن هذه الأمة على أحسن منها منذ كان الإسلام والله المحمود مع الفتوح العظام فى كل بلد فما عسى أن يبلغ مع هذا شكر الشاكرين وذكر الذاكرين واجتهاد المجتهدين مع هذه النعم التى لا يحصى عددها ولا يقدر قدرها ولا يستطاع أداء حقها إلا بعون الله ورحمته ولطفه فنسأل الله الذى لا إله إلا هو الذى أبلانا هذا أن يرزقنا العمل بطاعته والمسارعة إلى مرضاته واذكروا عباد الله بلاء الله عندكم واستتموا نعمة الله عليكم وفى مجالسكم مثنى وفرادى فإن الله عز وجل قال لموسى اخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم واذكروا إذا أنتم قليل مستضعفون فى الأرض فلو كنتم إذ كنتم مستضعفين محرومين خير الدنيا على شعبة من الحق تؤمنون بها وتستريحون إليها مع المعرفة بالله ودينه وترجون بها الخير فيما بعد الموت لكان ذلك ولكنكم كنتم أشد الناس معيشة وأثبتهم بالله جهالة فلو كان هذا الذى استشلاكم به لم يكن معه حظ فى دنياكم غير أنه ثقة فى آخرتكم التى إليها المعاد والمنقلب وأنتم من جهد المعيشة على ما كنتم عليه أحرياء أن تشحوا على نصيبكم منه وأن تظهروه على غيره قبله ما أنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا وكرامة الآخرة ومن شاء أن يجمع له ذلك منكم فاذكركم الله الحائل بين قلوبكم إلا ما عرفتم حق الله فعملتم له وقسرتم أنفسكم على طاعته وجمعتم مع السرور بالنعم خوفا لها ولانتقالها ووجلا منها ومن تحويلها فإنه لا شئ أسلب للنعمة من كفرانها وإن الشكر أمن للغير ونماء للنعمة واستيجاب للزيادة ، هذا لله على من أمركم ونهيكم واجب» .

يذكر عمر رضى الله عنه المسلمين بما فتح الله عليهم من الفتوح العظيمة وإخضاعهم الأمم على قوتها وشدة بأسها وكثرة عددها وغناها ولذلك يحثهم على شكر الله الذى نصرهم على عدوهم وأغناهم بعد الفقر وأعزهم بعد الذل ، ولولا عناية الله وقدرته ما استطاعوا غزو هذه الأمم وإخضاعها .

أيها الرعية إن لنا عليكم حقا : النصيحة بالغيب المعاونة على الخير ، إنه ليس من حلم أحب إلى الله ولا أعم نفعا من حلم إمام ورفقه ، أيها الرعية إنه ليس من جهل أبغض إلى الله ولا أعم شراً من جهل إمام وخرقه . أيها الرعية إن من يأخذ بالعافية لمن بين ظهرانية يؤته الله العافية من فوقه .

كتب عمر كتابا فى القضاء إلى شريح :

«أما بعد ، إذا جاءك شئ فى كتاب الله فاقض به ولا يلفتنك عنه الرجال ، فإن جاءك أمر ليس فى كتاب الله فانظر سنة رسول الله ﷺ فاقض بها، فإن جاءك أمر ليس فى كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به، فإن جاءك ما ليس فى كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله ولم يتكلم فيه أحد قبلك فاختر أى الأمرين شئت إن شئت أن تجتهد رأيك وتقدم فتقدم وإن شئت أن تأخر فتأخر ولا أرى التأخير إلا خير لك»[1].

وكتب كتابا فى القضاء أيضا إلى أبى موسى الأشعرى :

«أما بعد ، فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم إذا أدلى إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له آس بين الناس فى مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا يخاف ضعيف من جورك والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر[2] والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا حرم حلالا وأحل

(١) كنز العمال وكتاب أشهر مشاهير الإسلام والكتب الذى يليه من البيان والتبين .

(٢) قيل إن أول من قال «البينة على من ادعى واليمين على من أنكر» قس بن ساعدة الأيادى.

حراماً ، ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه . فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل الفهم الفهم عند ما يتلجلج فى صدرك مما لم يبلغك فى كتاب الله ولا سنة النبى ﷺ، اعرف الأمثال والأشباه وقس الأمور عند ذلك ثم اعمد إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق فيما ترى واجعل للمدعى حقاً غائباً أو بينه أمداً ينتهى إليه فإن أحضر بينته أخذت له بحقه وإلا وجهت عليه القضاء فإن ذلك أنفى للشك وأجلى للعمى وأبلغ فى العذر ، المسلمون عدول ، بعضهم على بعض إلا مجلوداً فى حد أو مجربا عليه ـ شهادة زور أو ظنيناً فى ولاء أو قرابة فإن الله قد تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالشبهات ، ثم إياك القلق والضجر والتأذى بالناس والتنكر للخصوم فى مواطن الحق التى يوجب الله بها الأجر ويحسن بها الذخر فإنه من يخلص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين بما يعلم الله خلافه منه هتك الله ستره وأبدى فعله والسلام».

وأوصى أبا موسى الأشعرى فى كتاب له :

« أما بعد ، فإن للناس نفرة عند سلطانهم فأعوذ بالله أن تدركنى وإياك عمياء مجهولة وضغائن محمولة وأهواء متبعة ودنيا مؤثرة فأقم الحدود ولو ساعة من نهار وإذا عرض لك أمران أحدهما لله ، والآخر للدنيا فآثر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا فإن الدنيا تنفد والآخرة تبقى وكن من خشية الله على وجل وأخف الفساق واجعلهم يداً يداً ورجلاً رجلاً . وإذا كانت بين القبائل ثائرة وتداعوا بآل فلان ، فإنما تلك نجوى الشيطان فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا إلى أمر الله وتكون دعواهم إلى الله والى الإمام ، وقد بلغ أمير المؤمنين أن ضبة تدعو بآل ضبة وإنى والله ما أعلم أن ضبة ساق الله بها خيراً قط ولا منع بها من سوء قط ، فإذا جاءك كتابى هذا فانهكهم عقوبة حتى يفرقوا أن لم

يفقهوا والصق بغيلان بن خرشة من بينهم وعد مرضى المسلمين واشهد جنائزهم وافتح بابك وباشر أمرهم بنفسك فأنما أنت امرؤ منهم غير أن الله جعلك اثقلهم حملا ، وقد بلغ أمير المؤمنين أنه فشا لك ولأهل بيتك هيئة فى لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة التى مرت بواد خصب فلم يكن لها همة إلا السمن ، وإنما حتفها فى السمن ، واعلم أن للعامل مردا إلى الله فإذا زاغ العامل زاغت رعيته وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته والسلام»[1].

وأبو موسى الأشعرى استعمله عمر على البصرة بعد المغيرة ابن شعبة.

حكم عمر وكلماته المأثورة

١ - أحكم إلينا قبل أن نخبركم ، أحسنكم صمتا ، فإذا تكلم فأثبتكم منطقا فإذا اختبرنا فأحسنكم فعلا .

٢ - أشكو إلى الله ضعف الأمين وخيانة القوى .

٣ - أعقل الناس ، أعذرهم للناس .

٤ - اقدعوا هذه النفوس عن شهواتها فإنها طلاعة تنزع إلى شر غاية ، إن هذا الحق ثقيل مرئٌ، وإن الباطل خفيف وبئٌ. وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة ، ورب نظرة زرعت شهوة ، وشهوة ساعة أورثت حزنا طويلا .

٥ - إن كان الشغل محمدة ، فإن الفراغ مفسدة .

٦ - إياكم والبطنة فإنها ثقل فى الحياة ، نتن فى الممات .

٧ - إياكم والمعاذير فإن كثيرا منها الكذب .

(١) مفتاح لأفكر .

٨ – أيما عامل لى ظلم أحداً فبلغتنى مظلمته فلم أغيرها فأنا ظلمته .

٩ – تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه ليتواضع لكم من تعلمونه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم.

١٠ – تعلموا المهنة فإنه يوشك أحدكم أن يحتاج إلى مهنتة .

١١ – ثلاث من النوافر ، جار مقامة إن رأى حسنة دفنها وإن رأى سيئة أذاعها ، وامرأة إن دخلت إليها لسنتك ، وإن غبت لم تأمنها ، وسلطان لم يحمدك وإن أسأت قتلك .

١٢ – ثلاث مهلكات ، شح مطاع ، وهوى متبع . وإعجاب المرء بنفسه.

١٣ – حسب الرجل ماله ، وكرمه دينه ، ومروءته خلقه .

١٤ – خالطوا الناس بالأخلاق ، وزايلوهم بالأعمال .

١٥ – الدخول على الأغنياء فتنة للفقراء .

١٦ – الرجال ثلاثة : رجل ترد إليه الأمور فيسددها برأيه ، ورجل يشاور فيما أشكل عليه وينزل حيث يأمره أهل الرأى ، ورجل حائر بأمره لا يأتمن رشداً ولا يطيع مرشداً .

١٧ – الرجال ثلاثة ، والنساء ثلاثة ، فامرأة عفيفة سلمة ، هينة لينة ودود، ولود، تعين أهلها على الدهر ولا تعين على أهلها وقلما تجدها، وأخرى وعاء للولد لاتزيد على ذلك شيئاً، وأخرى غل[1] قمل يجعلها الله فى عنق من يشاء، والرجال رجل عاقل إذا أقبلت الأمور واشتبهت تأمل فيها أمره ونزل عند رأيه وآخر ينزل به الأمر فلا يعرفه فيأتى ذوى الرأى فينزل عند رأيهم، وآخر حاير باير لا يأتمر رشداً ولا يطيع أمراً .

(١) الغل : بالضم طوق من حديد يجعل فى العنق والجمع أغلال .

١٨ - لاتصغرن هممكم فإنى لم أر أقعد عن المكرمات من صغر الهمم .

١٩ - لا تهكوا وجه الأرض فإن شحمها فى وجهها .

٢٠ - لاشئ أسلب للنعمة من كفرانها وإن الشكر أمن للغير ونماء للنعمة واستيجاب للزيادة .

٢١ - لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ، وأن الله تعالى إنما يرزق بعضهم من بعض وتلا قوله تعالى : ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ .

٢٢ - لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً .

٢٣ - لقاء الأخوان ، جلاء الأحزان .

٢٤ - لو أن للصبر بعيران ما باليت أيهما ركبت .

٢٥ - لو مات جمل ضياعاً على شط الفرات لخشيت أن يسألنى الله عنه.

٢٦ - ما الخمر صرفاً بأذهب لعقول الرجال من الطمع .

٢٧ - المحسن على المسئ أمير .

٢٨ - من دخل على الملوك ، خرج وهو ساخط على الله .

٢٩ - من كتم سره كان الخيار بيده .

٣٠ - من كثر ضحكه قلت هيبته .

٣١ - الناس طالبان ، فطالب يطلب الدنيا فارفضوها فى نحره فإنه ربما أدرك الذى يطلبه منها فهلك بما أصاب منها ، وطالب يطلب الآخرة . فإذا رأيتم طالبا يطلب الاخرة فنافسوه فيها .

٣٢ – يا معشر القراء التمسوا الرزق ولا تكونوا عالة على الناس .

٣٣ – نظر عمر بن الخطاب إلى رجل يحمل طفلا على عنقه . فقال ما هذا منك ؛ قال ابنى يا أمير المؤمنين ، قال أما إنه إن عاش فتنك . وإن مات حزنك .

٣٤ – وسأل رضى الله عنه رجلا أراد أن يستعين به على عمل عن اسمه واسم أبيه ، فقال ظالم بن مسروق . فقال تظلم أنت ويسرق أبوك . فلم يستعن به فى شئ .

٣٥ – أقبل رجل إلى عمر بن الخطاب فقال له عمر ما اسمك ؟ فقال شهاب بن حرقة . قال ممن ؟ قال من أهل حرة النار قال وأين مسكنك ؟ قال بذات لظى . قال اذهب . إن أهلك قد احترقوا .

٣٦ – وكتب إلى أبى موسى الأشعرى : مر ذوى القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا .

٣٧ – وقال دلونى على رجل استعمله . قالوا . كيف تريده ؟ قال : إذا كان فى القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم . وإذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم ، قالوا : ما نعلمه إلا الربيع بن زياد الحارثى . قال صدقتم .

٣٧ – لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث . لا تتعلمه لتمارى به ولا لتباهى به ولترائى به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل به.

٣٩ – إن الناس لم يزالوا مستقيمين ما استقامت لهم أئمتهم وهداتهم .

٤٠ – الرعية مؤدية إلى الإمام ما أدى الإمام إلى الله . فإذا رتع الإمام رتعوا.

٤١ - أحب الناس إلىّ من رفع إلىّ عيوبى .

٤٢ - لا تظنن بكلمة خرجت من فى أخيك سوأ وأنت تجد لها فى الخير محملا .

٤٣ - وكتب عمر إلى قضاته «إن النساء يعطين رغبة ورهبة فأيما امرأة أعطيت ثم أرادت أن ترجع فذلك لها » .

٤٤ - وقام خطيباً فقال : «أيها الناس لاتغالوا بصداق النساء فلو كانت مكرمة فى الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله ﷺ . ما أصدق امرأة من نسائه أكثر من اثنتى عشرة أوقية » فقامت إليه امرأة فقالت له يا أمير المؤمنين لم تمنعنا حقاً جعله الله لنا والله يقول ﴿ وآتيتم أحداهن قنطارا ﴾ فقال عمر : كل أحد أعلم من عمر ، ثم قال لأصحابه تسمعوننى أقول مثل هذا القول فلا تنكرونه علىّ حتى ترد علىّ امرأة ليست من أعلم النساء .

نلاحظ ونفهم من كلمات عمر ووصاياه أنه رجلا عملياً يبغض أن يكون الإنسان خالياً من العمل ، عالة على غيره لأن الفراغ مفسدة وقد أمر المنقطعين إلى العبادة أن يعملوا ويحصلوا على أرزاقهم . قال (إن كان الشغل محمدة فالفراغ مفسدة) ، وقال (تعلموا المهنة فإنه يوشك أحدكم أن يحتاج إلى مهنته) ، وقال (لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ، وأن الله تعالى إنما يرزق الناس بعضهم من بعض) ، وقال يحث القراء على العمل (يا معشر القراء التمسوا الرزق ولا تكونوا عالة على الناس) فالإسلام دين عمل ونشاط وسعى وليس دين كسل وقعود وتوان وغفلة . قال تعالى ﴿ هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشوور ﴾ [سورة تبارك] ، وليس السعى لطلب الرزق

ينافى الاعتقاد بالقضاء والقدر ويجب التماس الرزق من الوجوه التى أحلها الله واجتناب ما حرمه الله كالسرقة والربا والرشوة وبيع المحرمات وأكل أموال الناس بالباطل والظلم . وكان عمر يمقت الطمع لذلك قال (ما الخمر صرفا بأذهب لعقول الرجال من الطمع) ، إن التماس الرزق مطلوب لكن الطمع ممقوت منهى عنه لما يترتب عليه من الرذائل وقال (ثلاث مهلكات : شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه) أما إعجاب المرء بنفسه فمن المهلكات حقاً إذ يمنعه من استشارة غيرة والاستفادة بالنصح وإطاعة من هم أكبر منه سناً وعقلاً وأكثر تجربة فيستبد برأيه ومن استبد برأيه هلك . وقد كان رسول الله ﷺ يستشير أصحابه وهو أفضل الخلق .

كان عمر رضى الله عنه مع عظم شأنه ورجاحة عقله واشتهار عدله وفضله وتمسكه بكتاب الله وسنة رسوله متواضعا يحب أن يعرف عيوبه إن كانت له عيوب حتى يصلحها ولا يتمادى فى الخطأ إذ قد يصيب أحداً بظلم وهو لا يدرى لذلك كان يقول (أحب الناس إلىّ من رفع إلىّ عيوبى) ، ولما اعترضت عليه امرأة اعترف بالخطأ فى الحال وقال (كل أحد أعلم من عمر) ولام أصحابه على سكوتهم قائلا (تسمعوننى أقول مثل هذا القول فلا تنكرونه على حتى ترد على امرأة ليست من أعلم النساء) . إننا لم نر أحداً منزها عن العيوب والمرء قد لا يرى عيوبه بنفسه فإذا أرشد إليها عالجها وأصلحها مادام راغبا فى الخير والإصلاح غير معجب بنفسه على أن لا يكن الإرشاد بصيغة الشتم والسخرية لأن النفوس تأبى ذلك ، قال تعالى ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ .

كان عمر حاكما ولكن لا ككل الحكام بل كان حاكما يرى الحكم ثقيلا ومسئوليته عظيمة فعليه أنينظر فى أمر رعيته وينصفهم ولا يظلمهم شيئاً ويتضح

ذلك قوله ﴿أيما عامل لى ظلم أحدا فبلغتنى مظلمته فلم أغيرها فأنا ظلمته﴾ فانظر كيف أنه كان يعتبر نفسه ظالما إذا لم يغير المظلمة وهذا درس لكل حاكم. والرعية كما قال عمر مؤدية إلى الإمام ما أدى الإمام إلى الله فإذا رتع الإمام رتعوا، لأن الناس إنما يقتدون بحكامهم ورؤسائهم فإن أساء الحاكم أساء المحكومون وإن أحسنُ أحسنوا .

قوله وفعله فى بيت المال

عن قتادة قال : آخر ما قدم على عمر رضوان الله عليه ألف درهم من البحرين فما قام حتى أمضاه ولم يكن للنبى ﷺ بيت مال ولا لأبى بكر الصديق رضوان الله عليه وأول من اتخذ بيت المال عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

عن مالك بن أوس كان عمر رضوان الله عليه يحلف على أيمان ثلاث يقول : «والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد وما أنا أحق له من أحد ووالله ما من المسلمين من أحد إلا وله فى هذا المال نصيب إلا عبداً مملوكاً ولكنا على منازلنا من كتاب الله تعالى وقسمنا من رسول الله ﷺ فالرجل وبلاؤه فى الإسلام والرجل وقدمه فى الإسلام والرجل وغناؤه فى الإسلام والرجل وحاجته والله لئن بقيت لهم ليأتين الراعى بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو يرعى مكانه[1].

عن موسى بن على عن أبيه أن عمر بن الخطاب خطب بالناس بالجابية[2]

---

(١) أخرجه أحمد (٢٩٢) وقال أحمد شاكر اسناده صحيح وابن سعد (٣/٢٢٧) والبيهقى (٦/٢٤٦).

(٢) الجابية قرية من أعمال دمشق .

فقال : «من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبى بن كعب ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتنى فإن الله جعلنى خازناً وقاسماً وإنى بادئ بأزواج النبى ﷺ ومعطيهن ثم المهاجرين الأولين وأصحابى أخرجنا من مكة من ديارنا وأموالنا ثم الأنصار الذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم»[1].

ثم قال : «فمن أسرع إلى الهجرة أسرع به إلى العطاء ومن أبطأ عن الهجرة أبطئ به العطاء ولا يلو من رجل إلا مناخ راحلته»[2].

عن نافع عن ابن عمر قال : قدم على عمر رضوان الله عليه مال من العراق فأقبل يقسمه فقام رجل فقال : «يا أمير المؤمنين لو بقيت من هذا المال لعدو إن حضر أو نائبة إن نزلت» فقال عمر : «مالك قاتلك الله نطق بها على لسانك شيطان ؟ كفانى الله حجتها والله لا أغصبن اليوم لغد ولكن أعد لهم كما أعد رسول الله ﷺ».

عن أبى هريرة قال : قدمت على عمر بن الخطاب من عند أبى موسى الأشعرى بثمانمائة ألف درهم فقال لى : بماذا قدمت ؟ قلت : قدمت بثمانمائة ألف درهم ، قال : إنما قدمت بثمانين ألف درهم ، قلت : قدمت بثمانمائة ألف درهم ! قال : لم أقل إنك يمان أحمق إنما قدمت بثمانين ألف درهم فكم ثمانمائة ألف درهم ؟ فعددت مائة ألف ومائة ألف حتى عددت ثمانمائة ألف فقال : أطيب ويلك ! قلت : نعم قال : فبات عمر ليلته أرقاً حتى إذا نودى لصلاة الفجر قالت له امرأته : «يا أمير المؤمنين ما نمت الليلة ! قال : كيف ينام عمر بن الخطاب وقد جاء الناس مالم يكن جاءهم مثله منذ كان الإسلام فما يؤمن

(١) رواه البيهقى فى «السنن».

(٢) أخرجه الحاكم (٦/٢٤٩) والبيهقى (٦/٢١٠).

عمر لو هلك وذلك المال عنده لم يضعه فى حقه، فلما صلى الصبح اجتمع إليه نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال لهم : «إنه قد جاء الناس الليلة مالم يأتهم منذ كان الإسلام وقد رأيت رأياً فأشيروا علىّ أن أكيل للناس بالمكيال» فقالوا : «لا تفعل يا أمير المؤمنين إن الناس يدخلون فى الإسلام ويكثر المال ولكن أعطهم على كتاب فكلما كثر الإسلام وكثر المال أعطيتهم ، قال : فأشيروا علىّ بمن أبدأ منهم ؟ قالوا : بك يا أمير المؤمنين إنك ولى ذلك ومنهم من قال : أمير المؤمنين أعلم . قال : «لا ولكن أبدأ بآل رسول الله ﷺ ثم الأقرب فالأقرب فالأقرب إليه فوضع الديوان على ذلك قال عبيد الله بدأ بهاشم والمطلب فأعطاهم ثم أعطى لبنى عبد شمس ثم بنى نوفل بن عبد مناف»(١).

عن الأحنف قال كنا جلوساً بباب عمر فمرت جارية فقالوا : سرية أمير المؤمنين فقالت : ماهى لأمير المؤمنين بسرية وماتحل له إنها من مال الله فقلنا : فماذا يحل له من مال فما هو إلا قدر أن بلغت فجاء الرسول فدعانا فأتيناه فقال: ماذا قلتم ؟ فقلنا : لم نقل بأساً مرت جارية فقلنا هذه سرية أمير المؤمنين فقالت : ما هى لأمير المؤمنين بسرية وماتحل له إنها من مال الله فقلنا : ماذا يحل له من مال الله ؟ فقال : أنا أخبركم با أستحل منه حُلتان : حُلة فى الشتاء وحلة فى القيظ وما أحُج عليه وأعتمر من الظهر وقوت أهلى كقوت رجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم ثم أنا بعد رجل من المسلمين يصيبنى ما أصابهم(٢).

وعن عروة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لا يحل لى من هذا المال إلا ما كنت آكلاً من صلب مالى ، وعن محمد بن إبراهيم قال : كان عمر

---

(١) أخرجه البيهقى (٦/٣٦٤).

(٢) رواه ابن سعد (٣/٢٠٨-٢٠٩) والبيهقى (٦/٣٥٢) .

رضى الله عنه يستنفق كل يوم درهمين له ولعياله وأنفق فى حجته ثمانين ومائة درهم[1].

وعن ابن سعد بإسناده عن عمر أنه قال : «أنزلت مال الله عندى بمنزلة مال اليتيم فإن استغنيت عففت عنه وإن افتقرت أكلت بالمعروف»[2].

وعن عمر أنه كان إذا احتاج أتى صاحب بيت المال فاستقرضه فربما أعسر فيأتيه صاحب بيت المال يتقاضاه فيلزمه فيأتيه به عمر وربما خرج عطاؤه فقضاه وخرج يوماً حتى أتى المنبر وقد كان اشتكى شكوى فبعث له بيت المال عكة[3] فقال : «إن أذنتم فيها أخذتها وإلا فإنها علىّ حرام» فأذنوا له فيها [4].

وقال عمر رضوان الله عليه ما مثلى ومثل هؤلاء إلا كقوم سافروا فدفعوا نفقاتهم إلى رجل معهم فقالوا : أنفق علينا فهل يحل له يستأثر منها بشئ ؟ قالوا : لا يا أمير المؤمنين قال : فكذلك مثلى ومثلهم[5] .

وقال أبو امامة بن سهل مكث عمر رضوان الله عليه زماناً لا يأكل من المال شيئاً حتى دخلت عليه فى ذلك خصاصة فأرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فاستشارهم فقال : «قد شغلت نفسى فى هذا الأمر فما يُصلح لى منه ؟» فقال عثمان رضى الله عنه : «كل وأطعم» وقال ذلك سعيد بن زيد رضى الله عنه وقال لعلى رضوان الله عليه : «وما تقول أنت ؟ » قال : «غداء وعشاء» فأخذ بذلك عمر[6].

---

(١) أخرجه ابن سعد (٣/٢٣٤) .

(٢) أخرجه ابن سعد (٣/٢٠٩) والبيهقى (٦/٥) .

(٣) عكة : أنية السمن .

(٤) أخرجه ابن سعد (٣/٢٠٩).

(٥ ، ٦) أخرجه ابن سعد (٣/٢١٣).

عن ابن عمر قال : جمع عمر الناس بالمدينة حتى انتهى إليه فتح القادسية ودمشق فقال : «إني كنت امرأ تاجراً وقد شغلتموني بأمركم هذا وما ترون أنه يحل لي من هذا المال ؟ » فاكثر القوم وعلى رضوان الله عليه ساكت فقال : «ياعليّ ما تقول ؟» قال : «مايصلحك ويصلح عيالك بالمعروف ليس لك من هذا الأمر غيره ، فقال : «القول ما قال على بن أبي طالب » كرم الله وجهه [1].

عن أسلم قال : قام رجل إلى عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فقال : «ما يحل لك من هذا المال ؟» فقال : «مايصلحني ويصلح عيالي بالمعروف وحلة للشتاء وحلة للصيف وراحلة للحج والعمرة ودابة لحوائجه وجهاده»[2].

عن الزهري قال انكسرت قلوص[3] من إبل الصدقة فنحرها عمر ودعا الناس فقال له العباس رضوان الله عليه : «لو كنت تصنع بنا هكذا» فقال عمر : «إنا والله ماوجدنا إلى هذا المال سبيلاً إلا أن يؤخذ من حق فيوضع من حق ولا يمنع لحق[4].

عن حارثة بن مضرب قال : قال عمر رضوان الله عليه : إني أنزلت نفسي من هذا المال منزلة ولي اليتيم إن استغنيت وإن احتجت استقرضت فإذا أيسرت قضيت[5].

عن عمر رضوان الله عليه أنه قال الناس قد فضل عندنا فضل من هذا المال فقال الناس : يا أمير المؤمنين قد شغلناك عن أهلك وصنعتك وتجارتك وهو

---

(١) أخرجه البيهقي .
(٢) روى نحوه ابن سعد (٣/٢٢٤).
(٣) القلوص : الشابة من الإبل .
(٤) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٠٠٣٨).
(٥) أخرجه البيهقي (٦/٥) و(٦/٣٥٤).

لك فقال لعلى : ما تقول أنت ؟ فقال : قد أشار عليك القوم قال : قل فقال : لم تجعل يقينك ظناً فقال : لتخرجن مما قلت فقال : أجل والله لأخرجن منه أتذكر حين بعثك نبى الله ﷺ ساعياً فأتيت النبى ﷺ فمنعك صدقته وكان بينكما شئ فقلت : انطلق معى إلى نبى الله فوجدناه خاثراً[1] فرجعنا ثم عدنا فوجدناه طيب النفس فأخبرته الذى صنع فقال لك : «أما علمت أن عم الرجل صنو أبيه» وذكرنا الذى رأينا من خثورة فى اليوم الأول والذى رأيت من طيب نفسه فى اليوم الثانى فقال : «إنكما أتيتمانى فى اليوم الأول وقد بقى عندى من الصدقة ديناران فكان الذى رأيتما من خثورى له، وأتيتمانى اليوم وقد وجهتها فذلك الذى رأيتما من طيب نفسى» فقال عمر: «صدقت والله لأشكرن الأولى والآخرة»[2].

عن الربيع بن زياد الحارثى أنه وفد عمر رضوان الله عليه فأعجبته هيئته فشكى عمر وجعاً به من طعام أكله فقال - أى الربيع - «يا أمير المؤمنين إن أحقّ الناس بطعام طيب وملبس لين ومركب وطئ لأنت» وكان - عمر - متكئاً وبيده جريدة فاستوى جالساً فضرب بها رأس الربيع بن زياد وقال : «والله ماأردت بهذا إلا مُقاربتى وإن كُنت لأحسب فيك خيراً ! ألا أخبرك بمثلى هؤلاء إنما كمثل قوم سافروا فدفعوا إلى رجل منهم فقالوا له انفق علينا فهل له يستأثر عليهم بشئ؟ قال : لا[3] .

عن الحسن رحمه الله قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه :

---

(١) الخثور أصله نقيض الرقة ، يقال : هو خاثر النفس أى ثقليها غير طيب ولا نشيط ، والخاثر والمخثر : الذى يجبر الشئ القليل من الوجع والفترة .

(٢) إسناده ضعيف أخرجه أحمد (٩٤/١) وفيه انقطاع ، لأن أبا البخترى لم يدرك على ، وأحديثه عن على مرسلة كما قال الشيخ أحمد شاكر فى تعليقه على «المسند رقم ٧٢٥».

(٣) أخرجه ابن سعد (٢١٢/٣).

«السنة ثلاثمائة وستون يوماً إن حقاً على عمر يكسح[1] بيت المال فى كل سنة يوماً عذراً إلى الله عز وجل إنى لم أدع فيه شيئاً»[2].

وعن الحسن رحمه الله أن عمر وعثمان بن عفان رضى الله عنهما كانا يرزقان الأئمة والمؤذنين والمعلمين والقضاة[3].

وعن الحسن رضى الله عنه قال : بينما عمر رضوان الله عليه يمشى فى سكة من سكك المدينة إذ هو بصبية تطيش على وجه الأرض تقوم مرة وتقع أخرى قال عمر : «ياحويتها يابؤسها من يعرف هذه منكم ؟ فقال عبد الله بن عمر : أما تعرفها يا أمير المؤمنين ؟ قال لا ومن هى ؟ قال : «هذه إحدى بناتك» قال : «وأى بناتى هذه ؟ » قال : هذه فلانة بنت عبد الله بن عمر » قال : «ويحك وماصيرها إلى ما أرى ؟ » قال : منعُك ماعندك» قال : «ومنْعى ماعندى منعَك أن تطلب لبناتك ما طلب القوم لبناتهم والله مالك عندى غير سهمك فى المسلمين وسعك أو أعجزك ـ هذا كتاب الله بينى وبينكم»[4].

عن مالك بن أوس قال : قال عمر : «ما أحد إلا وله فى هذا المال حق إلا ما ملكت أيمانكم» .

عن عاصم بن عمر رضى الله عنهما قال : بعث إلىّ عمر عند الهجير أو عند صلاة العصر فأتيته فوجدته جالساً فى المسجد فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإننى لم أكن أرى شيئاً من هذا المال يحل له قبل أليه إلا بحقه ثم ما كان أحرم على منه حين وليته عاد أمانتى وإن كنت أنفقت عليك من مال الله شهراً ولست بزائدك (ولكنى مُعينك بثمر مالى بالغابة فأجدده فبعه ثم

---

(١) الكسح : الكنس .

(٢ ، ٣) مرسل .

(٤) مرسل أخرجه ابن المبارك فى «الزهد» (١٠٦٢) .

ائت رجلاً من قومك من تجارهم فقم إلى جنبه ، فإذا اشترى شيئا فاستشركه فاستنفق وأنفق على أهلك)[1].

عن قُتادة قال : كان معيقيب على بيت مال عمر فكسح بيت المال يوماً فوجد فيه درهماً فدفعه إلى ابن عمر قال معيقيب ثم انصرفت إلى بيتى فإذا رسول عمر قد جاء يدعونى فجئت فإذا الدرهم فى يده فقال: «ويحك يا معيقيب! أوجدت علىّ فى نفسك سبباً ؟ أو مالى ولك ؟ فقلت : ماذاك ؟ قال : «أردت أن تخاصمنى أمة محمد ﷺ فى هذا الدرهم يوم القيامة ! ».

(عن زيد بن اسلم عن أبيه)[2] أن عبد الله بن الأرقم قال لعمر : «إن عندنا (جلبة من جلبة)[3] جلولاء وآنية وفضة فانظر ماذا تأمرنا فيها فقال : «إذا رأيتنى فارغاً فآذانى فجاءه يوماً فقال : «يا أمير المؤمنين إنى أراك اليوم فارغاً» قال : أبسط لى نطعاً» فبسط ثم أتى بذاك المال فصب عليه فأتى فوقف فقال «اللهم إنك ذكرت هذا المال فقلت : ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة﴾[4] وقلت : ﴿لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾[5] اللهم إنا لا نستطيع إلا نفرح بما زينت لنا اللهم إنى أسألك أن تضعه فى حقه وأعوذ بك من شره» قال : فأتى بابن له يقال له عبد الرحمن بن [بهية][6] فقال : «يا أبتاه هب لى خاتماً فقال :

---

(١) أخرجه ابن سعد (٣/٢١٠) وما بين القوسين مُصحح من الطبقات .

(٢) من الزهد .

(٣) فى الكتاب «حلية من حلية» والتصحيح من الزهد .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٤ .

(٥) سورة الحديد : الآية ٢٣ .

(٦) فى الأصل «لهية» والتصويب من الزهد .

إذهب إلى أمك تسقيك سويقاً» فما أعطاه شيئاً [1].

قال القاسم: خطب عمر بالناس فقال : إن أمير المؤمنين يشتكى بطنه من الزيت فإن رأيتم أن تحلوا ثلاثة دراهم من عكة سمن من بيت مالكم فافعلوا»[2]

عن ناسرة بن سمى المزنى[3] قال : سمعت عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يقول يوم الجابية وهو يخطب الناس : «إن الله عز وجل جعلنى خازناً لهذا المال وقاسمه ثم قال : «بل الله يقسمه وأنا بادئ بأهل النبى ﷺ ثم أشرفهم ففرض لأزواج النبى ﷺ ألف درهم إلا جويرية وصفية وميمونة»[4].

قالت عائشة رضى الله عنها : «إن رسول الله ﷺ كان يعدل بيننا فعدل بينهن عمر ثم قال : «إنى بادئ بأصحابى المهاجرين الأولين فإنا أخرجنا من ديارنا ظلماً وعدواناً ثم أشرفهم» ففرض لأصحاب بدر منهم خمسة آلاف ولمن كان شهد بدراً من الأنصار أربعة آلاف، قال : ومن أسرع فى الهجرة أسرع به العطاء ومن أبطأ فى الهجرة أبطأ به العطاء فلا يلومن رجل إلا مناخ راحلته وإنى أعتذر إليكم من خالد بن الوليد إنى امّرته أن يجلس هذا المال على ضعفة المهاجرين فأعطاه ذا البأس وذا الشرف وذا اللسان فنزعته وأمّرت أبا عبيدة بن الجراح»[5].

عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب رحمهما الله أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه كتب المهاجرين على خمسة آلاف والأنصار على أربعة آلاف

---

(١) أخرجه أحمد فى «الزهد» (ص ١٤٣ ، ١٤٤) والبيهقى فى «سننه» (٦/٣٥٢).

(٢) أخرجه ابن سعد (٣/٢٤٧).

(٣) فى الأصل «ياسرة بن سمى» وهو خطأ والصواب ما أثبتناه .

(٤) أخرجه أحمد موصولا بما بعد وابن سعد (٣/٢٢٥) وانظر حديث رقم(١) فى (ص١٠٨).

(٥) أخرجه أحمد والبيهقى (٩/٣٤٩) وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/٣) رجاله ثقات.

فمن لم يشهد بدراً من أبناء المهاجرين على أربعة آلاف كان منهم عمر بن أبى سلمة ابن عبد الأسد المخزومى وأسامة بن زيد ومحمد بن عبد الله بن جحش الأسدى وعبد الله بن عمر فقال عبد الرحمن بن عوف إن ابن عمر ليس من هؤلاء وإنه فقال ابن عمر : «إن كان لى حق فأعطنى وإلا فلا تعطنى» فقال عمر لابن عوف رضىَ الله عنهما : «اكتبه على خمسة آلاف اكتبن على أربعة آلاف» فقال عبد الله : «لا أريد هذا» فقال عمر : «والله لا أجتمع أنا وأنت فى خمسة آلاف»[1].

فرض عمر رضوان الله عليه لأهل بدر عربيهم ومولاهم فى خمسة آلاف وقال : «لأفضلنهم على من سواهم»[2].

وعن الزهرى قال : فرض عمر للعباس رضوان الله عليهما عشرة آلاف.

عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : قال عمر رضوان الله عليه : «إنى متخذ المسلمين على الأعطية ومدونهم ومنجز الحق فقال عبد الرحمن وعثمان وعلىّ رضوان الله عليهم : «إبدأ بنفسك» قال : «لا بل أبدأ بعم رسول الله ﷺ ثم الأقرب فالأقرب منهم من رسول الله ففرض للعباس فبدأ به ثم فرض لأهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ثم فرض لمن بعد الحديبية إلى أن أقلع أبو بكر رضوان الله عليه عن أهل الردة ثلاثة آلاف ثلاث آلاف ودخل فى ذلك من شهد الفتح ثم فرض لأهل القادسية وأهل الشام أصحاب اليرموك ألفين ألفين وفرض لأهل البلاء البارع منهم ألفين وخمسمائة فقيل له : لو ألحقت أهل القادسية

---

(١) أخرجه البيهقى (٦/ ٣٥٠ ـ ٣٥١) وهكذا ، بتقديم أنس وأخير سعيد بن المسيب ، ولعله مالك بن أنس عن سعيد بن المسيب وهو مرسل . وأخرجه البخارى (٨١/٥) عن ابن عمر.

(٢) أخرجه البخارى (٥/ ١١٠) والبيهقى (٣٤٩/٦).

بأهل الشام فقال : لم أكن لألحقهم بدرجة من لم يدركوا لاها الله ذا وقيل له قد سويتهم على بعد دارهم ممن قربت داره قال : هم كانوا أحق بالزيادة لأنهم كانوا ردءاً لهتوف[1] وشجى لعدو وأيم الله ما سويتهم حتى استبطنتهم وللروافد الذين بعد فتح القادسية اليرموك ألفاً ألفاً الروادف الثنى خمسمائة ثم الروادف الثلاث بعدهم ثلاثمائة سوى كل طبقة فى العطاء ليس بينهم فيما بينهم تفاضل قويهم وضعيفهم عربيهم وعجميهم فى طبقاتهم سواد حتى إذا حوى أهل الأمصار ما حووا من سباياهم وردفت الربع من الروادف الخمس على مائتين وكان آخر من فرض له عمر بن الخطاب رضى الله عنه أهل هجر على مائة ومات عمر على ذلك وأدخل عمر فى أهل بدر أربعة من غير أهل بدر الحسن والحسين وأبا ذر وسلمان رضوان الله عليهم[2].

وعن أبى زهرة بن أبى سلمة قال : فرض للعباس على خمسة وعشرين ألفاً.

وقال الزهرى : على اثنى عشر ألفاً وجعل نساء أهل بدر على خمسمائة خمسمائة ونساء من بعد بدر إلى الحديبية على أربعمائة أربعمائة ونساء من بعد ذلك إلى الأيام على ثلاثمائة وثلاثمائة ثم نساء القادسية على مائتين مائتين ثم سوى بين النساء بعد ذلك وجعل الصبيان من أهل بدر وغيرهم سواء مائة مائة[3].

وعن أبى زهرة بن أبى سلمة وفرض لأزواج النبى ﷺ عشرة آلاف عشرة آلاف إلا من جرى عليه الملك - توفى - وفضل عائشة رضوان الله عليها

(١) الهتوف : طالب النجدة .

(٢) هذا مرسل ورواه البيهقى (٦/٣٥٠) موصولاً نحوه .

(٣) أخرجه البيهقى (٦/٣٥٠) موصولاً عن أبى هريرة ورواية المؤلف مرسلة .

بالَّفين فأبت فقال : «بفضل ميزانك عند رسول الله ﷺ فإذا أخذت فشانك»[1].

عن أبى سلمة ومحمد والمهلب وطلحة قالوا : لما أعطى عمر رضوان الله عليه وذلك فى سنة خمس عشرة كان صفوان بن أمية قد رأى ما أخذ أهل بدر ومن بعدهم إلى الفتح فأعطاه فى أهل الفتح قال : «لست آخذاً أقل ما أخذ من هو دونى» فقال : «إنما أعطيتهم على السابقة فى الإسلام لا على الأحساب» قال : «نعم إذن» فأخذ وقال : «أهل ذلك هم» ولما بلغ القسم سهيل بن عمرو والحارث بن هشام قالا : «أنت تعرف قريشاً وتقصر بنا !» قال : «إنما القسم على السابقة وقد سُبقتما» قالا : «نعم إذن ، إن كنا سُبقنا إلى ذلك لا تسبق إلى الجهاد واحداً»[2].

عن عبد الملك بن عمر قال : أصاب المسلمون يوم المدائن بساط بهار كسرى ثقل عليهم أن يذهبوا له وكانوا يعدونه للشتاء إذا ذهبت الرياح فكانوا إذا أرادوا الشرب شربوا عليه وكأنهم فى رياض بساط واحد ستين فى ستين ، أرضه بذهب ، ووشيه بفصوص وثمره بجوهر وورقة من حرير وماء ذهب فلم يقسم سعد فيهم فضل ولم يتفق قسمه فجمع سعد المسلمين فقال :

«الله تعالى قد ملأ أيديكم وقد عسر قسمُ هذا البساط ولا يقدر على شرائه أحد فأرى أن تطيبوا به نفساً لأمير المؤمنين يضعه حيث شاء ففعلوا فلما قدم على عمر رضوان الله عليه بالمدينة رأى رؤيا فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه واستشارهم فى البساط وأخبرهم خبره فمن بين مشير بقصة وآخر مفوض إليه وآخر مرفق فقام علىّ رضوان الله عليه حين رأى عمر فأتى انتهى

---

(١) كسابقه .

(٢) أخرجه الطبرى فى «تاريخه» (٣/٦١٣ ـ ٦١٤) وقد سبق نحوه .

إليه فقال : «لم تجعل علمك جهلاً ويقينك شكاً إنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت فأمضيت أو لبست فأبليت أو أكلت فأفنيت» قال «صدقتنى» فقطعه فقسمه بين الناس فأصاب علياً رضوان الله قطعة منه فباعها بعشرين ألفاً وماهى أجود تلك القطع.

عن الزهرى أن عمر كسا أصحاب النبى ﷺ فلم يكن فيها ما يصلح للحسن والحسين رضوان الله عليهما فبعث إلى اليمن فأتى لهما بكسوة فقال: الآن طابت نفسى .

وعن أبى وائل قال : استعملنى ابن زياد على بيت المال فأتى رجل بصك فقال فيه : أعط صاحب المطبخ ثمانمائة درهم فقلت له مكانك ودخلت على ابن زياد فحدثته فقلت أن عمر استعمل عبد الله بن مسعود على القضاء وبيت المال وعثمان بن حنيف على ماء سقى الفرات وعمار بن ياسر على الصلاة والجند ورزقهم كل يوم شاة فجعل نصفها وسقطها وأكارعها لعمار لأنه كان فى الصلاة والجند وجعل لعبد الله بن مسعود ربعها وجعل لعثمان بن حنيف ربعها ثم قال أن مالاً يؤخذ منه كل يوم شاة إن ذلك فيه لسريع» فقال ابن زياد : «ضع المفتاح واذهب حيث شئت»[1].

حذره من المظالم

عن الأحنف بن قيس قال : وفدنا إلى عمر رضوان الله عليه بفتح عظيم فقال : أين نزلتم ؟ فقال : فى مكان كذا فقام معنا حتى انتهينا إلى مناخ رواحلنا فجعل يتخللها ببصره ويقول : ألا اتقيتم الله فى ركابكم هذه ؟ أما علمتم أن لها عليكم حقاً ؟ ألا خليتم عنها ؟ فأحببنا التسرع إلى أمير المؤمنين وإلى

---

(١) أخرجه البيهقى (٦/٣٥٤).

المسلمين بما يسرهم ثم انصرف راجعاً ونحن معه فلقيه رجل فقال يا أمير المؤمنين إنطلق معى فاعدنى على فلان فإن ظلمنى قال : فرفع الدرة فخفق بها رأسه وقال تدعون عمر وهو معرض لكم حتى إذا اشتغل بأمر من أمور المسلمين أتيتموه اعدنى اعدنى ! فاصرف الرجل وهو يتذمر فقال عمر : على بالرجل فألقى إليه المخففة فقال : إمسك واضربنى . قال : لا ولكن ادعها لله ولك قال : ليس كذلك ، أما تدعها لله وإرادة ماعنده أو تدعها لى فاعلم ذلك قال : أدعها لله قال : انصرف ثم جاء يمشى حتى دخل منزله ونحن معه فافتتح الصلاة فصلى ركعتين ثم جلس فقال : يا ابن الخطاب كنت وضيعاً فرفعك وكنت ضالاً فهداك الله وكنت ذليلاً فأعزك الله ، ثم حملك على رقاب المسلمين فجاءك رجل يستعديك فضربته ما تقول لربك غداً إذا أتيته ؟» فجعل يعاتب نفسه معاتبة ظننت أنه من خير أهل الأرض.

عن إياس بن سلمة عن أبيه قال : مر عمر بن الخطاب رضوان الله عليه وأنا فى السوق وهو مار فى حاجة له ومعه الدرة قال هكذا أمط عن الطريق ياسلمة قال : «ثم خفقنى بها خفقة فما أصاب إلا طرف ثوبى فأمطت عن الطريق فسكت عنى» حتى كان العام المقبل ، فلقينى فى السوق فقال : ياسلمة أردت الحج العام ؟ قلت : نعم ، يا أمير المؤمنين» فأخذ بيدى فما فارقت يدى يده حتى دخل بى بيته فأخرج كيساً فيه ستمائة درهم فقال : «ياسلمة استعن بهذه واعلم أنها من الخفقة التى خفقتك عام أول» قلت : «والله يا أمير المؤمنين ما ذكرتها حتى ذكرتنيها! قال : وأنا والله مانسيتها بعد [1].

عن عاصم بن عُبيد الله قال : قال[2] عمر بن الخطاب رضوان الله عليه

(١) أخرجه البيهقى (٥/٢٣).

(٢) قال : من القيلولة وهى نوم الظهيرة .

تحت شجرة فى طريق مكة فلما اشتدت عليه الشمس أخذ عليه ثوبه فقام فناداه رجل غير بعيد منه : يا أمير المؤمنين هل لك فى رجل قد ربدت حاجته وطال انتظاره قال : من ربدها ، قال : أنت فجاراه القول حتى ضربه بالمخفقة قال : عجلت على قبل أن تنظرنى فإن كنت مظلوماً رددت إلىّ حقى وإن كنت ظالماً رددتنى» فأخذ عمر طرف ثوبه فأعطاه المخفقة وقال له : اقتص ، قال : ما أنا بفاعل ، فقال : والله لتفعلن كما يفعل المنصف من حقه قال : «فإنى أغفرها» فأقبل عمر على الرجل فقال : أنصف من نفسى أصلح من أن يُنتصف منى وأنا كاره لو كنت فى الأراك لسمعت حنين عمر»[1] يعنى بكاءه ربتدها حبستها.

عن سالم بن عبد الله قال : نظر عمر رضوان الله عليه إلى رجل أذنب ذنباً فتناوله بالدرة فقال الرجل : يا عمر إن كنت أحسنت فقد ظلمتنى وإن كنت أسأت فما علمتنى فقال : صدقت فاستغفر الله لى فاقتص من عمر فقال الرجل: أهبها لله غفر الله لى ولك»[2].

فإن قال قائل كيف جاز لعمر أن يقول لمن ضربه اقتص منى والقصاص لا يكون فى الضرب بالعصا إجماعاً.

وأبلغ من هذا ما روى محمد بن سعد من حديث الفضل بن العباس أن النبى ﷺ قال فى مرضه : أيما رجل كنت أصبت من عرضه شيئاً فهذا عرضى فليقتص أو من ماله شيئاً فهذا مالى فليأخذ واعلموا أن أولادكم بى رجل كان له من ذلك شئ فأخذه وحللنى فلقيت ربى وأنا محلل لى»[3].

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبرى فى تاريخه .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبرى فى تاريخه .

(٣) أخرجه ابن سعد (٢/١٩٦) مطولاً وإسناده ضعيف ـ وقد صح من وجه آخر راجع الصحيحة ٨٣ ، ٨٤ ، ١٧٥٨ .

فالجواب أما النبى ﷺ فإنه منزه أن يكون ضرب أحداً بغير حق إنما أبان بما قال الواجب على من ضرب أحداً بغير حق أن يعزر والتعزير ضرب لكنه لا يقع قوداً لكن تعزيراً لذلك قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه من كنت ضربته يعنى بغير حق - فليضربنى على وجه التعزير لا معنى القصاص فإن عمر هو الإمام وإذا وجب لبعض رعيته عليه حق جاز أن يأذن له فى استيفائه وإقامته . فأما القصاص فى الضرب بالعصا فقد اجمع الفقهاء أنه لا قصاص فى ذلك ولا يعزل الإجماع المعصوم بخبر محتمل .

ثم لا يجوز للنبى ﷺ ولا لعمر أن يبيحا من أنفسهما ما لم يبحه الله تعالى من الضرب كما لا يجوز لأحد أن يقول لآخر اجرحنى أو اقتلنى لأن النفوس محرمة لحق الله تعالى وإنما أبيح القصاص فى الجراح والقتل .

ملاحظته لعماله وو صيته لهم

والبحث عن أحوالهم

عن عمرو بن ميمون قال: رأيت عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قبل أن يُصاب بالمدينة وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف فقال: «كيف فعلتما؟» [أتخافان][1] أخاف أن تكونا حمَّلتما الأرض مالا تطيق؟ قالا : [حملناها أمراً هى له مطيقة، ما فيها كبير فضل - قال : انظر أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق قالا][2] : لا فقال عمر : «لئن سلمنى الله لأدعن أرامل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدى أبداً» فما أتت عليه إلا رابعة حتى أصيب[3].

(١) فى الأصل أخاف - والتصويب من البخارى .

(٢) ما بين القوسين سقط من الكتاب واستدركتها من الأصل .

(٣) أخرجه البخارى (٤٨/٧ ، ٤٩) فتح ، باب «قصة البيعة» من كتاب «فضائل أصحاب النبى ﷺ رقم (٣٧٠٠) .

عن عمارة بن خزيمة بن ثابت رحمه الله قال : كان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه إذا استعمل عاملاً كتب عليه كتاباً وأشهد عليه رهطاً من الأنصار أن لايركب برذوناً ولا يأكل نقياً ولا يلبس رقيقا ولا يغلق بابه دون حاجات المسلمين ثم يقول اللهم أشهد[1] .

عن عمر بن مرة قال : كان عمر رضوان الله عليه يكتب إلى أمراء الأنصار أن لكم معشر الولاة حقاً على الرعية ولهم مثل ذلك فإنه ليس من حلم أحب إلى الله ولا أعم نفعاً من حلم إمام ورفقه وأنه ليس جهل أبغض إلى الله ولا أعم ضراً من جهل إمام وخرقه وأنه من يطلب العافية فيمن هو بين ظهرانيه ينزل الله عليه العافية من فوقه :

عن ابن سعد قال : كان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قد استعمل النعمان على ميسان كان يقول الشعر فقال :

ألا هل أتى الحسناء أن خليلها بميسان يسقى فى زجاج وحنتم[2]

إذا شئت غنتنى دهاقين قرية ورقاصة تحثو على كل منسم

فإن كنت ندمانى فبالأكبر اسقنى ولا تسقنى بالأصغر المتثلم

لعل أمير المؤمنين يسوءه تنادمنا بالجوسق المتهدم[3]

فلما بلغ عمر قوله قال : نعم الله إنه ليسوءنى من لقيه فليخبره إنى قد عزلته فقدم عليه رجل من قومه فأخبره بعزله فقدم على عمر فقال : والله ماصنعت شيئاً مما قلت ولكن كنت أمرأ شاعراً وجدت فضلاً من قول فقلت فيه

---

(١) أخرجه الطبرى (٢٠٧/٤).

(٢) الحنتم : الجرة الخضراء .

(٣) الجوسق : القصر.

الشعر «فقال عمر» والله لا تعمل لى على عمل مابقيت وقد قلت ما قلت[1] .

عن عثمان الخزامى عن أبيه قال : لما بلغ عمر بن الخطاب هذا الشعر كتب إلى النعمان بن نضلة .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير﴾ أما بعد فقد بلغنى قولك :

لعل أمـير المؤمنـين يسـوءه   تنادمنـا بالجوسـق المتهـدم

وأيم الله أنه ليسوءنى وعزله فلما قدم على عمر بكته بهذا الشعر فقال : يا أمير المؤمنين ماشربتها قط وماذلك الشعر إلا شئ طفح على اللسان فقال عمر: أظن ذاك ولكن لا تعمل لى عملاً أبداً .

جاء فى الشعر تحثو وتحذر والصحيح يحذو معناه ينتصب والمنسم استعارة وهو من البعير بمنزلة الظفر من الإنسان والجوسق فارسى معرب وهو تصغير كُوشك أى قصر صغير.

عن محمد بن الغفار قال : استعمل عمر بن الخطاب رضوان الله عليه رجلاً من قريش فبلغه أنه قال :

إسـقنى شربـة ألذ عليـها   واسق بالله مثلها ابن هشام

فأشخصه إليه وذكر إنما أشخصه من أجل البيت فضم إليه آخر فلما قدم عليه قال ألست القائل :

إسـقنى شربـة ألذ عليـها   واسق بالله مثلها ابن هشام

---

(١) ذكر الحافظ فى «الإصابة» (٦/٢٤٦) ولم يذكر من رواه .

قال نعم يا أمير المؤمنين :

عسلا بارداً بماء سحاب إننى لا أحب شرب المدام

فقال : الله . قال : الله ، قال : إرجع إلى عملك .

عن ابن المسيب رحمه الله عن عمر رضوان الله عليه قال : أيما عامل لى ظلم أحداً وبلغنى مظلمته ولم أغيرها فأنا ظلمته .

عن عياض الأشعرى قال : قدم على عمر فتح من الشام فقال لأبى موسى ادع كاتبك يقرأه على الناس فى المسجد قال أبو موسى : «إنه نصرانى لا يدخل المسجد قال عمر : ولم استكتبت نصرانياً»(1).

عن أسق قال : كنت عبداً نصرانياً لعمر فقال : أسلم حتى نستعين بك على بعض أمور المسلمين فإنه لا ينبغى لنا أن نستعين على أمورهم من ليس منهم «فأبيت فأعتقنى وقال : إذهب حيث شئت.

عن الأحنف بن قيس قال : قدمت على عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فاحتبسنى عنده حولاً فقال : يا أحنف قد بلوتك وخبرتك فرأيت أن علانيتك حسنة وأنا أرجو أن تكون سريرتك على مثل علانيتك وإنا كنا لنحدث إنما يهلك هذه لأمة كل منافق عليم».

وعن الأحنف بن قيس أنه قدم على عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فاحتبسه حولاً ثم قال : أتدرى لم احتبستك ؟ إن رسول الله ﷺ خوفنا كل منافق عليم اللسان ولست منهم(2) .

---

(1) أخرجه البيهقى (١٠/١٢٧).

(2) المتن صحيح أخرجه ابن عدى عن عمر ، والطبرانى والبزار وابن حبان عن عمران ، وصححه الألبانى فى «صحيح الجامع» (٢٣٩).

عن عبد الرحمن بن أبى عطية قال : كتب إلينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن ميرس بالفارسية هى الأمان فمن قلتم له ذلك ممن لا يفقه لسانكم فقد أمنتموه .

عن عبد الرحمن بن سابط قال : بلغ عمر رضوان الله عليه أن عمالاً من عماله إشتكوا فأمرهم أن يوافوه فلما أتوه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيتها الرعية إن لنا عليكم حقاً : النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير . أيتها الرعاة إن للرعية عليكم حقاً : اعلموا أنه لا حلم إلى الله أحب ولا أعم نفعاً من حلم إمام ورفقه ، وأنه ليس جهل أبغض إلى الله ولا أعم من جهل إمام وخرقه اعلموا أنه من يأخذ بالعافية ممن بين ظهرانية يرزق العافية ممن هو دونه[1].

عن قيس بن كعب قال : بعث عمر جريراً مسمعاً على الجيش أنه من يسمع يسمع الله به فسقط رجل رجل من المسلمين من البرد فبلغ عمر فارسل إليه جريراً مسمعا أنه من يُسمّع يسمع الله به[2].

يعنى أنك خرجت فى البرد لكى يقال قد غزا فى البرد .

عن محارب بن دثار عن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه أنه قال لرجل قاض : من أين أنت ؟ قاضى دمشق قال : كيف تقضى ؟ قال : أقضى بكتاب الله. قال : فإذا جاءك ما ليس فى كتاب الله ؟ قال : أقضى بسنة رسول الله . قال : فإذا جاءك ما ليس فى سنة رسول الله . قال : أجتهد برأيى وأوامر جلسائى . فقال أحسنت ! قال : وإذا جلست فقل اللهم إنى أسألك أن افتى بعلم وأن اقضى بحلم وأسألك العدل فى الغضب والرضا قال : فسار الرجل ماشاء

---

(١) أخرجه وكيع فى «الزهد» (٤١٩) وهناد فى «الزهد» (١٢٨١).

(٢) أخرجه وكيع (٣٠٩) وهناد (٨٧٣) وأحمد (٤٤) كلهم فى «الزهد» وإسناده صحيح .

الله أن يسير ثم رجع إلى عمر : ما أرجعك؟ قال : رأيت الشمس والقمر يقتتلان مع كل واحد منهما جنود من الكواكب قال : مع أيهما كنت ؟ قال : مع القمر قال : يقول الله عز وجل ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة﴾[1] لاتلى لى عملا وتمامه فلما اقتتل علىّ ومعاوية كان مع معاوية .

عن الحسن رحمه الله قال : قال عمر : أعيانى أهل الكوفة فإن استعملت عليهم ليناً استضعفوه وإن استعملت عليهم شديداً شكوه ولوددت أنى وجدت رجلا قوياً أميناً مسلماً استعمله عليهم فقال رجل : يا أمير المؤمنين أنا والله أدلك على الرجل القوى الأمين المسلم فأثنى عليه قال : من هو ؟ قال : عبد الله بن عمر . قال عمر : قاتلك الله والله ما أردت الله بها[2] .

وعن الحسن قال : قال عمر رضوان الله عليه : هات شيئاً أصلح به قوما أبدلهم أمير مكان أمير[3] .

عن عبد الملك أن عمر كتب إلى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أن شاور طلحة الأسدى وعمرو بن معدى كرب فى أمر حربك ولا تولهما من الأمر شيئاً فإن كل صانع هو أعلم بصنعته .

عن عاصم بن أبى بهدلة قال : كان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه جالساً مع أصحابه فمرّ به رجل فقال له : ويل لك يا عمر من النار فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ألا ضربته فقال له : رجل أظنه علياً رضوان الله عليه ألا سألته فقال عمر : علىّ بالرجل فقال له عمر لم ؟ قال الرجل : تستعمل العامل وتشترط عليه شروطاً ولا تنظر فى شروطه فترك ما أمرته به وانتهك ما نهيته عنه».

---

(١) سورة الإسراء : الآية ١٢ .

(٢ ، ٣) مرسل .

وكان عمر رضوان الله عليه إذا استعمل عاملاً اشترط عليه أن لا يركب دابة ولا يلبس رفيعاً ولا يأكل نقياً ولا يغلق بابه دون حوائج الناس ومايصلحهم قال : فأرسل إليه رجلين فقال : سلا عنه فإن كان كذب عليه فأعلمانى وإن كان صدق فلا تملكاه من أمره شيئاً حتى تأتيانى به فسألا عنه فوجداه صدق عليه فأستأذنا ببابه فقال : إنه ليس عليه إذن فقال : ليخرجن إلينا أو لنحرقن بابه وجاء أحدهما بشعلة من نار فلما رأى ذلك آذنه أخبره فخرج إليهما فقالا : أنا رسولا عمر لتأتيه قال : إن لى حاجة بتزود قالا : ما أنت بالذى أهلك فاحتملاه فأتيا به عمر رضوان الله عليه فسلم عليه فقال : من أنت ويلك ؟ قال : عاملك على مصر وكان رجلاً بدويا فلما رأى من زيت مصر أبيض وسمن فقال : استعملتك وشرطت عليك شروطاً فتركت ما أمرتك به وانتهكت مانهيتك عنه أما والله لا عاقبنك عقوبة أبلغ إليك فيها إيتونى بدراعة من كساء وعصا وثلثمائة شاة من شاء الصدقة قال : ألبس هذه الدراعة وقد رأيت أباك وهذه خير من دراعته وهذه خير من عصاه إذهب بهذه الشاة فارعها فى مكان كذا وكذا وذلك فى يوم صائف ولا تمنع السائل من ألبانها شيئاً واعلم إنا آل عمر لم نُصب من شاء الصدقة ومن ألبانها ولحومها شيئاً فلما أمعن رده قال : أفهمت ماقلت لك ؟ وردد عليه الكلام ثلاثا فلما كان فى الثالثة ضرب بنفسه الأرض بين يديه وقال : ما أستطيع ذلك فإن شئت فاضرب عنقى قال : فإن رددتك فأى رجل تكون ؟ قال : لا ترى إلا ماتحب فرده فكان خير عامل(١) .

عن المصفق أن عمر رضوان الله عليه كتب لرجل عهداً وجاء بعض ولده فأقعده فى حجره فقال الرجل : ما أخذت ولداً لى قط قال : فما ذنبى إن كان الله عز وجل نزع الرحمة من قلبك وإنما يرحم الله من عباده الرحماء ثم انتزع العهد من يده .

---

(١) مرسل ، فإن عاصم بن بهدلة لم يدرك عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

عن أبى عثمان قال : استعمل عمر رضوان الله عليه رجلا من بنى أسد على عمل فدخل ليسلم عليه فأتى عمر ببعض ولده فقبله فقال الأسدى : أتقبل هذا يا أمير المؤمنين ؟ فوالله ماقبلت ولداً لى قط فقال عمر : فأنت والله بأولاء الناس أقل رحمة لا تعمل لى عملاً أبداً فرد عهده(1).

عن الشعبى قال : قال عمر : ألا وأى رجل فضلنى على أبى بكر إلا جلدته أربعين قال فكان عمر إذا بعث عاملاً كتب ماله(2).

عن ابن سيرين رحمه الله قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : والله لأنزعن القضاء فلاناً ولأستعمل على القضاء رجلاً إذا رآه الجاهل فرقه(3).

وعن زيد بن وهب قال : خرج جيش فى زمن عمر رضوان الله عليه نحو الجبل فانتهوا إلى نهر ليس عليه جسر فقال أمير ذلك الجيش لرجل من أصحابه: إنزل فانظر لنا مخاضة نجوز فيها وذلك فى شديد البرد فقال الرجل : إنى أخاف إن دخلت الماء أن أموت فاكرهه فدخل فقال : ياعمراه يا عمراه ، ثم لم يلبث أن هلك فبلغ ذلك عمر وهو فى سوق المدينة فقال : ياالبيكاه ياالبيكاه وبعث إلى أمير الجيش فنزعه وقال : لولا أن تكون سنة بعدى لأقدت منك لاتعمل لى عملاً أبداً (4).

وعن الحسن رحمه الله قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : لئن عشت إن شاء الله لأسيرنَّ فى الرعية حولاً فإنى أعلم أن الناس حوائج تقطع

---

(1) أخرجه عبد الرزاق (20590) والبخارى فى «الأدب المفرد» (99) والبيهقى (41/9) وقال الشيخ الألبانى فى «صحيح الأدب» (72) حسن الإسناد.

(2) أخرجه ابن سعد (223/3) وهو منقطع .

(3) منقطع كسابقه .

(4) أخرجه البيهقى (323/8) وإسناده ضعيف .

عنى أما هم فلا يصلون إلىّ وأما عمالهم فلا يرفعونها إلى فأسير إلى الشام فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين (١).

وروى ابن أبى شيبة أن عمر رضى الله عنه عتب على بعض عماله فكلم امرأة عمر فقالت له : «يا أمير المؤمنين فيم وجدت عليه ؟ قال : يا عدوة الله وفيم أنت وهذا ؟ وإنما أنت لعبة يلعب بك ثم تتركين» وكان عمر يقول : «أشكو إلى الله جلدا الخائن وعجز الثقة .

حذره من الابتداع وتحذيره منه وتمسكه بالسنة

عن المسور بن مخرمة أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال : سمعت هشام ابن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان فقرأ فيها حروفاً لم يكن النبى ﷺ أقرانيها فأردت أساوره وأنا فى الصلاة فلما فرغ قلت : «من أقرأك هذه القراءة ؟ فقال : رسول الله ﷺ فقلت : «كذبت والله ما أقرأك هكذا رسول الله فأخذت بيده أقوده فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ فقلت : «يا رسول الله إنك أقرأتنى سورة الفرقان وإنى سمعت هذا يقرأ فيها حروفاً لم تكن أقرأتنيها» فقال رسول الله ﷺ : إقرأ يا هشام «فقرأ كما يقرأ فقال رسول الله ﷺ » : هكذا أنزلت ثم قال : «إقرأ ياعمر» فقرأت فقال : «هكذا أنزلت» ثم قال رسول الله ﷺ إن القرآن أنزل على سبعة أحرف(٢).

---

(١) مرسل .

(٢) أخرجه مالك (٥/٢٠١/١) والشافعى فى «الرسالة» (فقرة ٧٥٢) وعبد الرزاق (٢٠٣٦٩)

عن عابس بن ربيعة قال : رأيت عمر نظر إلى الحجر فقال : أما والله لولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك ثم قبله(١).

وعن عبد الله بن سرجس قال : كان الأصلع يعنى عمر إذا استلم الحجر قال : «إنى لأعلم إنك حجر لاتضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك(٢).

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : حججنا مع عمر رضوان الله عليه أول حجة حجها من إمارته فلما دخل المسجد الحرام دنا من الحجر الأسود فقبله واستلمه وقال : «أعلم أنك حجر لاتضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ قبلك واستلمك ما قبلتك ولا استلمتك فقال له علىّ رضوان الله عليه : «يا أمير المؤمنين إنه ليضر وينفع ولو علمت تأويل ذلك من كتاب الله لعلمت أن الذى أقول لك كما يقول عز وجل ﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم ﴾ إلى قوله تعالى أفتهلكنا بما فعل المبطلون، فلما أقروا أنه الرب عز وجل وأنهم العبيد كتب ميثاقهم فى رق ألقمه هذا الحجر وله عينان ولسان وشفتان يشهد لمن وافاه فهو أمين الله فى هذا المكان قال عمر رضوان الله عليه : «لا أبقانى الله بأرض لست بها يا أبا الحسن».

=أحمد (١٨٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٩٧) والبخارى فى «كتاب الخصومات» باب «كلام الخصوم بعضهم فى بعض» وفى «كتاب فضائل القرآن» باب «أنزل القرآن على سبعة أحرف» وباب «من لم يرى بأساً أن يقول سورة كذا ، وفى «كتاب التوحيد» باب «قوله فاقرءوا ما تيسير منه» وكتاب «استتابة المرتدين» باب «ما جاء فى المتأولين» ومسلم «المسافرين» حديث (٨١٨) والترمذى (٢٩٤٣) والبيهقى (٢/٣٨٣).

(١) أخرجه أحمد (١/٢٦) والبخارى «كتاب الحج» باب «ماذكر فى الحجر الأسود» ومسلم (١٢٧٠) والطبرانى فى «الأوسط» (١٧٤٠ ، ٢٠٤٠) وأبو داود (١٨٧٣) والترمذى (٨٦٠).

(٢) أخرجه أحمد (١/٣٥) وقال الشيخ أحمد شاكر (٢٢٣) إسناده صحيح وابن ماجه (٢٩٤٣) وأخرجه مالك والبخارى ومسلم والخطيب فى «الفقيه» (١/١٣٢) عن ابن عمر .

قلت : وإنما قال عمر رضوان الله عليه فى الحجر ما قال لأنهم كانوا قد أنسوا بلمس الحجارة فى الجاهلية وعبادتها فأخبرنى إنما أمس هذا الحجر لأنى رأيت رسول الله ﷺ يمسه ويقبله وقال نافع : كان الناس يأتون الشجرة التى بايع رسول الله ﷺ تحتها بيعة الرضوان فيصلون عندها فبلغ ذلك عمر فأوعدهم فيها وأمر بها فقطعت .

عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى : قضى عمر رضى الله عنه بقضاء فى الأصابع ثم أخبر بكتاب كتبه النبى ﷺ لابن حزم فأخذه به وترك أمره الأول .

عن المعرور قال : خرجنا مع عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فى حجة حجها قال فقرأ بنا فى الفجر ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ ، ﴿لإيلاف قريش﴾ فلما انصرف فرأى الناس مسجداً فبادروه فقال «ماهذا؟» قالوا هذا مسجد صلى فيه النبى ﷺ فقال : «هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار أنبيائهم بيعاً من عرضت له صلاة فليصلى ومن لم تعرض به صلاة فليمض[1].

عن عبد الله بن هرون بن عنيزة عن أبيه عن جده قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه على المنبر : ألا أصحاب الرأى أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فأفتوا برأيهم فضلوا وأضلوا ألا نقتدى ولا نبتدى ونتبع ولا نبتدع ما نضل ما تمسكنا بالأثر[2].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٢٧٣٤) وابن أبى شيبة (٣٦٦/١) والبيهقى فى «الشعب» (٢٢٨٣) وفى «السنن» (٢/٣٩٠) ورجاله ثقات .

(٢) أخرجه الدار قطنى فى «السنن» (١٢/١٤٦/٤) والخطيب فى «الفقيه» (١٨١/١) وابن عبد البر فى «العلم» (١٣٥/٢) وإسناده ضعيف وأخرج نحوه أبو داود (٣٥٨٦) مرسلاً.

عن عمر بن ميمون عن أبيه قال : أتى عمر رضوان الله عليه رجل فقال : «يا أمير المؤمنين إنا لما فتحنا المدائن أصبت كتاباً فيه كلام معجب» قال : «أمن كتاب الله ؟ قال : «لا» فدعا بالدرة فجعل يضربه بها فجعل يقرأ ﴿ ألر تلك آيات الكتاب المبين . إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ ثم قال : إنما هلك من كان قبلكم إنهم أقبلوا على كتب علمائهم وأساقفتهم وتركوا التوراة والأنجيل حتى درسا وذهب مافيها من العلم .

عن ابن عون عن إبراهيم أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه بلغه أن رجلاً كتب كتاب دانيال قال : فكتب إليه يرتفع إليه فلما قدم عليه جعل عمر رضوان الله عليه يضرب بطن كفه بيده ، ويقول : ﴿ ألر تلك آيات الكتاب المبين . إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ «فقال عمر» : أقصصٌ أحسن من كتاب الله تعالى ؟ فقالك يا أمير المؤمنين أعفنى فوالله لأمحونه .

عن أسلم قال : سمعت عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يقول : فيم الرملان والكشف عن المناكب وقد أطال الله الإسلام ونفى الكفر وأهله ومع ذلك لاندع شيئاً كنا نفعله فى عهد رسول الله ﷺ .

عن السائب بن زيد أنه قال : أتى رجل عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فقال : يا أمير المؤمنين إنا لقينا رجل يسأل عن تأويل القرآن فقال : اللهم أمكنى منه قال فبينا عمر ذات يوم جالساً يغدى الناس إذ جاءه وعليه ثياب وعمامه حتى إذا فرغ فقال : يا أمير المؤمنين ﴿ والذاريات ذروا فالحاملات وقرا ﴾ فقال عمر رضوان الله عليه : أنت هو ؟ فقام إليه وحسر عن ذراعيه فلم يزل يضربه حتى سقطت عمامته فقال : والذى نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً

لضربت رأسك ألبسوه ثيابه واحملوه على قتب ثم أخرجوه حتى تقدموا عليه بلاده ثم ليقم خطيباً ثم ليقل أن ضبيعاً ابتغى العلم فأخطاه فلم يزل وضيعاً فى عمره حتى هلك[1].

قال وكان سيد قومه .

عن أبى عثمان النهدى عن ضبيع أنه سأل عمر رضوان الله عليه عن المرسلات والذاريات والنازعات فقال له عمر رضى الله عنه : ألق ما على رأسك «فإذا له ضفيرتان قال : لو وجدتك محلوقا لضربت الذى فيه عيناك» ثم كتب إلى أهل البصرة أن لا تجالسوه قال أبو عثمان فإن كان لو أتانا ونحن مائة لتفرقنا عنه[2].

وعن إبراهيم التيمى قال : جاء رجل إلى عمر يقال له ضبيع فسأل عن النازعات والمرسلات وأشبهها وعليه برنس فقام عمر بقضيبه فإذا شعر فقال له: لو كنت محلوقاً لضربت عنقك ثم كتب إلى أهل البصرة لا تجالسوه ولا تبايعوه قال فمكث حولاً حتى أصابه الجهد فقام إلى اسطوانه من أساطين المسجد فاستغاث ورجع عمر رضوان الله عليه فكتب أن لا تخالطوه وكونوا منه على حذر[3].

وعن قيس ابن أبى حازم قال : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يسأله فقال : جئت أطلب العلم قال : بل جئت تبتغى الضلالة ثم كشف عن رأسه فوجده ذا شعر فقال : لو كنت محلوقاً لضربت عنقك.

(١ ، ٢) أخرجهما ابن عساكر وابن الأنبارى والخطيب بسند صحيح وأخرج نحوهما الاسماعيلى.

(٣) أخرجه الدرامى وابن عبد الحكم وابن عساكر وابن الأنبارى انظر «الاصابة» (٢/١٩٨).

عن سعيد بن المسيب رضى الله عنه قال : جاء ضبيع التميمى إلى عمر رضوان الله عليه فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنى عن الذاريات ذروا قال: هى الريح ولولا أنى سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته، قال فاخبرنى عن الحاملات وقرا قال: السحاب ولولا أنى سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته قال: فأخبرنى عن المقسمات أمراً قال : هى الملائكة ولولا أنى سمعت رسول الله ﷺ يقوله ماقلته قال : فأمر به عمر فضُرب مائة وجُعل فى بيت فإذا برأ دُعى فضُرب مائة أخرى ثم حمله على قتب وكتب إلى أبى موسى الأشعرى [رضى الله عنه] حرم على الناس مجالسته فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى فحلف له بالأيمان المغلظة ما يجد فى نفسه مما كان شيئاً فكتب فى ذلك إلى عمر رضوان الله عليه فكتب إليه ما أخاله إلا قد صدق فخل بينه وبين مجالسته الناس(١).

عن الزهرى أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه جلد ضبيعاً التميمى عن مساءلته عن حروف من القرآن حتى اضطربت الدماء فى ظهره(٢).

عن الحسن رحمه الله أن عمران بن الحصين أحرم من البصرة فقدم على عمر رضوان الله عليه فأغلظ له ونهاه عن ذلك وقال : «يتحدث الناس أن رجلاً من أصحاب محمد ﷺ أحرم من مصر من الأمصار».

وعن نافع أن عمر رضوان الله عليه رأى على طلحة بن عبيد الله ثوبين ممشقين(٣) فقال : ما هذا ؟ فقال : إنما هو طين فقال : إنكم أصحاب محمد ﷺ يُقتدى بكم وينظر إليكم(٤) .

---

(١) أخرجه البزار والدارقطنى فى «الأفراد» وابن عساكر وابن مردويه ومسنده ضعيف ، انظر «الدر المنثور» (٦/١٣٢).

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى «مصنفه» (٢٠٩٦ ، ٢٠٩٠٧) وهو منقطع .

(٣) أى مصبوغين وهو المغرة .

(٤) مرسل - فإن نافع لم يسمع من عمر .

جمعه للقرآن في المصحف

عن الحسن رحمه الله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل عن آية من كتاب الله عز وجل فقيل : كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة فقال : إنا لله وأمر بالقرآن فجمع فكان أول من جمعه في المصحف(1) .

عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال :أراد عمر بن الخطاب رضوان الله عليه أن يجمع القرآن فقام في الناس فقال : من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأتنا به وكانوا قد كتبوا ذلك في المصحف والألواح والعسب وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شاهدان .

عن عبد الله بن فضالة قال : لما أراد عمر بن الخطاب رضوان الله عليه أن يكتب القرآن أقعد له نفراً من أصحابه فقال : إذا اختلفتم في اللغة فاكتبوها بلغة مضر فإن القرآن نزل على رجل من مضر.

عن جابر بن سمرة قال : سمعت عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يقول: لا يملين في مصاحفنا إلا غلمان قريش وغلمان ثقيف .

روى عن عروة قال : أراد عمر رضوان الله عليه أن يكتب الناس السنن فاستخار الله شهراً ثم أصبح وقد عُزم له فقال : ذكرت قوماً كتبوا كتاباً فاقبلوا عليه وتركوا كتاب الله عز وجل(2).

---

(1) مرسل أخرجه ابن سعد (٣/٢١٣).

(2) منقطع أخرجه ابن سعد (٣/٢١٧).

مكاتبته

عن أبى عثمان قال : جاءنا كتاب عمر رضوان الله عليه ونحن بأذربيجان: «يا عُتبة بن فرقد إياكم والتنعم وزى أهل الشرك ولبوس الحرير فإن رسول الله ﷺ نهانا عن لبس الحرير قال إلا هكذا فرفع رسول الله ﷺ أصبعيه»(1).

عن أبى عثمان النهدى أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال : «اتزروا وارتدوا وانتعلوا وألقوا الخفاف والسراويلات وألقوا الركب وانزوا نزوا وعليكم بالمعدية(2) وارموا الأغراض(3) وروا التنعم وزى العجم وإياكم والحرير فإن رسول الله ﷺ قد نهى عنه ولا تلبسوا الحرير إلا ماكان هكذا وأشار رسل الله ﷺ بأصبعيه(4).

عن أبى أمامة بن سهل قال : كتب عمر بن الخطاب إلى أبى عبيدة رضى الله عنهما : «علموا غلمانكم العوم ومقاتلتكم الرمى».

وعن عياض الأشعرى قال : شهدت اليرموك قال عمر رضوان الله عليه : «إذا كان قتال : فعليكم بأبى عبيدة بن الجراح» قال : فكتبنا إليه أنه قد حاش(5) إلينا الموت واستمددناه فكتب أنه قد جاءنى كتابكم تستمدونى وإننى أدلكم على من هو أعز نصراً وأحضر جنداً الله عز وجل فإن رسول الله ﷺ قد نصر فى يوم بدر فى أقل من عدتكم فإذا أتاكم كتابى هذا فقاتلوهم ولا تراجعونى» قال :

---

(1) أخرجه البخارى (١٠/٢٣٤) فتح ومسلم .

(2) إشارة إلى قلة الطعام .

(3) الغرض : الهدف .

(4) أخرجه عبد الرزاق (١٩٩٤) وسعيد بن منصور فى «سننه» (٢٩٢٥) وأحمد (٣٥١) وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

(5) حاش يحيش حيشا إذا فرغ ونفر.

فقاتلناهم وهزمناهم أربعة فراسخ وأصبنا أموالاً كثيراً.

عن موسى بن المثنى بن سلمة بن المحيق الهذلى عن أبيه عن جده قال : شهدت فتح الأبلة[1] وأميرنا قطبة بن قتادة السدوسى فاقتسمت الغنائم فدُفعت إلى قدر من نحاس فلما صارت فى يدى تبين لى أنها من ذهب وعرف ذلك المسلمون فشكونا إلى أميرنا فكتب إلى عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يخبره بذلك فكتب إليه عمر رضى الله عنه : أصر على يمينه إن لم يعلم أنها ذهب إلا بعد أن صارت إليه فإن حلف فادفعها إليه وأن أبى فاقسمها بين المسلمين فحلف فدفعها إليه وكان فيها أربعون ألف مثقال : فمنها أموالهم الذين توارثوا إلى اليوم .

عن سعيد بن أبى بردة قال : كتب عمر رضوان الله عليه إلى أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أما بعد فإن أسعد الرعاة من سعدت به رعيته وإن أشقى الرعاة عند الله من شقيت به رعيته إياك أن ترتع فترتع عمالك فيكون مثلك عند ذلك مثل البهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض فرتعت فيها تبغى بذلك السمن وإنما حتفها فى سمنها أتسلم[2].

عن عامر الشعبى قال : كتب عمر رضوان الله عليه إلى أبى موسى من خلصت نيته كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين للناس بغير ما يعلمه من قلبه شأنه الله فما ظنك بثواب عند الله فى عاجل رزقه وخزائن رجمته والسلام.

عن أبى البحترى أن عمر كتب إلى موسى رضى الله عنهما لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد فتدال عليك الأعمال فتضيع وأن للناس لنقرة عن سلطانهم أعوذ

---

(1) الأبلة : بلدة على شاطئ دجلة .

(2) أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» (١/٥٠) وإسناده ضعيف .

بالله أن تدركني وإياكم ضغائن محمولة ودنيا مؤثرة أهواء متبعة.

عن أبي عمران الجونى أن عمر إلى أبى موسى رضى الله عنهما أن كتابك الذى كتب إلىّ لحن فاضربه سوطاً (١).

وعن بريد بن حبيب أن كاتب عمرو بن العاص كتب إلى عمر رضوان الله عليه فكتب بسم ولم يكتب فيها سيناً فكتب عمر إلى عمرو أن أضربه به سوطاً فضربه فقيل له : «فى أى شئ ضربك ؟» قال : فى سين (٢).

عن الحسن رحمه الله قال كتب عمر رضوان الله عليه إلى أبى موسى وهو بالبصرة : بلغنى أنك تأذن للناس جماً غفيراً فإذا جاءك كتابى هذا فأذن لأهل الشرف وأهل القرآن والتقوى والدين فإذا أخذوا مجالسهم فأذن للعامة .

عن جعفر بن برقان أن عمر رضوان الله عليه كتب إلى بعض عماله وكان فى آخر كتابه أن حاسب نفسك فى الرخاء قبل حساب الشدة فإنه من حاسب نفسه فى الرخاء قبل حساب الشدة عاد مرجعه إلى الرضا والغبطة ومن ألهته حياته وشغلته أهواؤه عاد أمره إلى الندامة والحسرة فتذكر ما توعظ به لكيما تنتهى عما تنهى عنه وتكون عند التذكرة من أولى النهى.

عن عروة بن رويم اللخمى قال : كتب عمر بن الخطاب إلى أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنهما كتاباً فقرأه على الناس بالجابية .

«أما بعد إنه لم يُقم أمر الله فى الناس إلا حصيف العقدة بعيد الغرة لا يطلع الناس على عورة ولا يخشى فى الحق على جرأة ولا يخاف فى الله لومة لائم والسلام عليكم» وكتب عمر رضوان الله عليه إلى أبى عبيدة : «أما بعد فإنى

---

(١) أخرجه البيهقى فى «الشعب» (١٥٥٧) (٤/٢١٤).

(٢) أخرجه ابن سعد فى «الطبقات» (٣/٢١٥).

كتبت إليك بكتاب لم آلك ونفسى فيه خيراً إلزم خمس خصال يسلم لك دينك؛ وتحظ بأفضل حظك إذ حضرك الخصمان فعليك بالبينات العدول والأيمان القاطعة ثم أدن الضعيف حتى ينبسط لسانه ويجترئ قلبه وتعاهد الغريب فإنه إذا طال حبسه ترك حاجته وانصرف إلى أهله وإذا الذى أبطل حقه من لم يرفع به رأساً واحرص على الصلح مالم يبين لك القضاء والسلام».

عن أبى حريز الأزدى قال : كان رجل لا يزال يهدى لعمر فخذ جزور إلى أن جاء ذات يوم بخصم فقال : يا أمير المؤمنين إقض بيننا قضاء فصلاً كما يفصل الفخذ من سائر الجزور قال عمر : فما زال يرددها على حتى خفت على نفسى فقضى عليه عمر وكتب إلى عماله .

أما بعد فإياكم والهدو فإنها من الرشا .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : كنا مع عمر فى مسير فابصر رجلاً يسرع فى سيره فقال : إن هذا الرجل يريدنا فاناخ ثم ذهب لحاجته فجاء الرجل فبكى عمر رضوان الله عليه وقال : ماشأنك قال : يا أمير المؤمنين إنى شربت الخمر فضربنى أبو موسى وسود وجهى وطاف بى ونهى الناس أن يجالسونى فهممت أن آخذ سيفى فاضرب به أبا موسى أو آتيك فتحولنى إلى بلد لا أعرف فيه أو ألحق بأرض الشرك فبكى عمر رضوان الله عليه وقال : ما يسرنى أنك لحقت بأرض الشرك وإن لى كذا وكذا ، وقال : إن كنت لمن شرب الخمر فلقد شرب الناس الخمر فى الجاهلية ثم كتب إلى أبى موسى : إن فلاناً أتانى فذكر كيت وكيت فإذا أتاك كتابى هذا فمر الناس أن يجالسوه وأن يخالطوه وإن تاب فاقبل شهادته وكساه وأمر له بمائتى درهم[1].

---

(١) أخرجه البيهقى كما فى «حياة الصحابة» (١٢٢/٢).

عن بجالة قال : كنت كاتباً لحر بن معاوية عم الأحنف بن قيس فأتانا كتاب عمر رضوان الله عليه قبل موته بسنة اقتلوا كل ساحر وربما قال ساحرة وفرقوا بين كل محرم من المجوس وانهوهم عن الزمزمة قال : فقتلنا ثلاث سواحر وجعلنا نفرق بين الرجل وحريمته فى كتاب الله وصنع حر طعاماً كثيراً وعرض السيف على فخذه ودعا بالمجوس فالقوا وقْر بغل أو بغلين من ورق وأكلوا بغير زمزمة ولم يكن أخذ عمر رضوان الله عليه الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر(١).

عن يزيد بن الأصم أن رجلاً كان ذا بأس وكان يوفد إلى عمر لباسه وكان أهل الشام وأن عمر فقده فسأل عنه فقيل يتابع فى هذا الشراب فدعى كاتبه : اكتب من عمر بن الخطاب إلى فلان بن فلان سلام عليكم فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو غافر الذنب إلى قوله وإليه المصير ثم دعا وأمن من عنده ودعوا له أن يقبله الله عز وجل وأن يتوب عليه فلما أتت الصحيفة الرجل جعل يقرأها يقول : غافر الذنب قد وعدنى الله عز وجل أن يغفر لى ﴿ وقابل التوب شديد العقاب ﴾ قد حذرنى الله من عقابه ذى الطول والطول الخير الكثير إليه المصير فلم يزل يرددها على نفسه ثم بكى ثم نزع فأحسن النزع فلما بلغ عمر رضوان الله عليه خبره قال : هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاً لكم زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه .

عن عبد الرحمن بن عبد القادر عن أبيه عن جده أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه كتب إلى معاوية بن أبى سفيان .

---

(١) أخرجه ابن منصور (٢١٦٦) وعبد الرزاق (٩٩٧٢/٤٩١٦) وأبو داود (٣٠٢٤) والبيهقى (٢٤٧/٨) واسناده صحيح . وأخرجه البخارى (١٦٣/٦) جزء المحارم ، والترمذى (٣٩٢/٢) الجزء الأخير منه.

أما بعد فالزم الحق يبين لك الحق منال أهل الحق يوم لا يقضى إلا بالحق والسلام وعن رفيع بن حرام ابن معاوية قال : كتب إلينا عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ادبوا الخيل ولا ترفعوا بين ظهرانيكم الصليب ولا تجاورنكم الخنازير[١].

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كتب عمر رضوان الله عليه إلى عماله اكتبوا عن الزاهدين فى الدنيا ما يقولون فإن الله عز وجل وكل بهم ملائكة واضعة أيديهم على أفواههم ولا يتكلمون إلا بما هيأه الله لهم .

عن أبى عبد الله بن أدريس قال : أتيت سعيد بن أبى بردة فسألته عن رسائل عمر رضوان الله عليه التى كان يكتب بها إلى أبى موسى وكان أبو موسى قد أوصى إلى بردة قال : فأخرج إلى كتباً فرأيت فى كتاب منها.

أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم إذا أدلى إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق ، لا نفاذ له آس[٢] بين الاثنين فى مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا ييأس وضيع وربما قال ضعيف من عدلك الفهم الفهم فيما يتلجلج فى صدرك وربما فى نفسك فيشكل عليك مما لم ينزل فى كتاب الله ولم تجر فيه سنة فاعرف الأشياء والأمثال ثم قس الأمور بعضها ببعض وانظر أقربها إلى الله عز وجل وأشبهها بالحق فاتبعه اعمد إليه ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس راجعت فيه بنفسك وأهديت فيه لرشدك فإن مراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل المسلمون عدول على بعض إلا مجلوداً فى حد أو مجرباً عليه شهادة زور أو ظنيناً فى ولاء أو قرابة اجعل لمن ادعى حقاً غائباً أمداً ينتهى إليه أو بينة عادلة فإنه أثبت فى الحجة وأبلغ فى العذر فإن أحضر

(١) أخرجه عبد الرزاق (٢١٠١٢ ، ١٠٠٠٣) والبيهقى (٢٠١/٩).

(٢) آس وآسية أى سويته والمعنى سوى بين الاثنين .

بينة إلى ذلك الأجل أخذ بحقه وإلا وجهت عليه القضاء البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، إن الله تولى منكم السرائر ودرأ عنكم الشبهات وإياك والقلق والضجر والتأذى بالناس ، والتنكر للخصم فى مجالس القضاء الذى يوجب الله تعالىٰ بها الأجر ويحسن فيها الذخر من خلصت نيته وبين الله وجل كفاه ما بينه وبين الناس والصلح جائز بين الناس الأصلحا أحلّ حراماً أو حرم حلالاً ومن تزين للناس بما يعلم الله عز وجل خلافه شانه الله فما ظنك فى ثواب غير الله فى عاجل دنيا زو أجل آخره(١).

عن أبى عمران الجونى قال : كتب عمر بن الخطاب رضوان الله عليه إلى أبى موسى الأشعرى أنه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائجهم للناس فأكرم وجوه الناس فيستحى المسلم الضعيف من العدل والقسمة (٢).

---

(١) أخرجه الدارقطنى (٤/٢٠٩/١٥) والبيهقى (١٠/١٣٥ ، ١٥٠) وابن عبد البر (ص ٣٦) والخطيب فى «الفقيه» (١/ ٢٠٠) واسناده ضعيف . وقال ابن القيم فى «إعلام الموقعين» (٨٦/١) : هذا كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول وبنوا عليه أصول الحكم والشهادة ، والحاكم والمفتى أحوج شئ إليهٰ والى تأمله والتفقه فيه «وقد شرحه رحمه الله شرحاً مبسطاً »

(٢) أخرجه الطبرى (٤/٢٠٣)

أبو بكر رضى الله تعالى عنه أنه لم يتخذ قاضياً فى أيام خلافته ، بل كان القضاء فى يده ، فكان الأمير والقاضى والمنفذ . وبعبارة أوضح كانت فى يده القوات الثلاث : وهى القوة التشريعية ، والقوة القضائية ، والقوة التنفيذية . وليس معنى إن القوة التشريعية فى يده ـ أنه كان يأتى الناس بشرع جديد . وإنما معنى ذلك أنه الأمير الذى ينظر فى الكتاب والسنة ويجتهد فى الوقائع التى ليس فيها شئ من النص، وهو الذى يحكم بمقتضى ذلك فهو بهذه المثابة قاض، ثم إنه يمضى ذلك الحكم فهو منفذ .

وقد قدمنا أيضاً أنه كان يفوض إلى عمر النظر فى الوقائع التى كان يدلى بها الخصوم إليه ـ غيرأنه لم يختصه بذلك ويفرغه له ، ولم يكن لعمر اسم قاض فى زمنه .

أما عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقد كان له فى مسائل الفتوح وتدبير أمور الخلافة التى تشعبت ونمت نمواً عظيما فى عهده ، ما يشغله عن التفرغ للقضاء فرأى أن يفرغ نفسه وبعض أمرائه لما هم بصدده فعين قضاة مختصين بفصل الخصومات بين الناس فولى أبا الدرداء معه بالمدينة ، وولى شريحاً قضاء الكوفة وولى أبا موسى الأشعرى بالبصرة وقيس بن أبى العاص السهمى قضاء مصر وهو أول قاض بها فى الإسلام . أما بقية الأمصار والولايات فكان القضاء فيها إلى الأمير الذى عليها . وإنما كان عمر حريصاً على تفرغ نفسه وبعض أولئك العمال والأمراء لما قصده من تفريغ نفسه وذلك البعض للقيام بأعباء السياسة العامة وأشغالها الكثيرة من الجهاد والفتوح وسد الثغور وحماية البيضة .

وقد كان شريح بن الحارث الكندى قاضى الكوفة من كبار التابعين ظل قاضياً بها خمسا وسبعين سنة لم يتوقف عن قضائه فيها سوى ثلاث سنين فى فتنة ابن الزبير ولما ولى الحجاج استعفاه فأعفاه . ومن طرف قضائه أن عدى بن أرطاه دخل عليه ، فقال : إنى رجل من أهل الشام ، فقال : مكان سحيق . قال : تزوجت عندكم قال : بالرفاء والبنين . قال : وأردت أن أرحلها . قال : الرجل أحق بأهله . قال : وشرطت لها دارها . قال : الشرط أملك . قال : فاحكم بيننا . قال : قد حكمت.

وقد ساق صاحب العقد الفريد حكاية تزوجه بزينب بنت جرير من بنى تميم كيف اضطرته لأن يخطب ليلة زفافها عليه لما بدأته بالخطبة وأنه ظل معها فى أهنأ عيش عشرين سنة لم يعتب عليها فى شئ إلا مرة واحدة ـ قال : وكنت لها ظالما : أخذ المؤذن فى الإقامة بعدما صليت ركعتى الفجر وكنت أمام الحى فإذا بعقرب تدب فأخذت الإناء فأكفأته عليها ثم قلت يا زينب لا تتحركى حتى آتى . فلو شهدتنى يا شعبى وقد صليت ورجعت أنا بالعقرب قد ضربتها فدعوت بالكست والملح فجعلت أمغث أصبعها وأقرأ بالحمد والمعوذتين . وكان لى جار من كندة يُفزِّع امرأته ويضربها فقلت فى ذلك :

رأيـت رجـالا يضـربون نسـاءهم فشلت يمـينى حـين أضـرب زينبـا

أأضـربها فى غـير ذنـب أتـت بـه فما العدل منى ضرب من ليس مذنبا

أما أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه فكان من أصحاب رسول الله ﷺ .

ومن أعرف من ولاهم عمر القضاء أبو موسى الأشعرى ، وكان مع ذلك ذا بلاء فى الحروب وقيادة الجند وله أثر جميل فى فتوح فارس . وقد كتب إليه عمر رضى الله عنه كتابه المشهور فى القضاء يبين كثيراً من نظام القضاء وأصوله وهو يعتبر بمثابة لائحة داخلية يعمل القضاء بمقتضاها . وهذا نصه :

عن عبد الله بن عمر قال : اشتريت إبلاً ورجعتها إلى الحمى فلما سمنت قال : فدخل عمر رضوان الله عليه السوق فرأى إبلا سماناً فقال : لمن هذه الإبل السمينة فقيل لعبد الله بن عمر فجعل يقول : يا عبد الله بن عمر بخ بخ ابن أمير المؤمنين قال : فجعلت اسعى فقلت : مالك يا أمير المؤمنين ؟ قال : ما هذه الإبل قلت : إبل اشتريتها وبعثت بها إلى الحمى أبتغي ما يبتغي المسلمون قال : يقال أرعوا إبل ابن أمير المؤمنين إسقو إبل ابن أمير المؤمنين ! يا عبد الله بن عمر أغد على رأس مالك وأجعل باقية في بيت مال المسلمين[1] .

عن جميع بن عمر التيمي قال : سمعت عبد الله بن عمر يقول : شهدت جلولاء فابتعت من الغنائم بأربعين ألفاً قال : يا عبد الله بن عمر لو انطلق بي إلى النار كنت لي مفتدى قلت : نعم بكل شئ أملك قال : فإني مخاصم وكأني بك تبايع بجلولاء يقولون هذا عبد الله بن صاحب رسول الله وابن أمير المؤمنين وأكرم أهله عليه وأن يرخصوا عليك كذا وكذا درهم أحب إليهم من أن يغلوا عليك بدرهم وسأعطيك من الربح أفضل ما ربح رجل من قريش ثم أتى باب صفية بنت أبي عبيد فقال : يا صفية بنت أبي عبيد أقسمت عليك أن تخرجي من بيتك شيئاً أو تخرجين منه وإن كان عنق طيبة قالت : يا أمير المؤمنين ذلك لك ثم تركني سبعة أيام ثم استدعى التجار ثم قال : يا عبد الله بن عمر إني مسؤول فباع من التجارة متاعاً بأربعمائة ألف فأعطاني ثمانين ألفاً وأرسل ثلاثمائة وعشرين ألفاً إلى سعد فقال : إقسم هذا المال فيمن شهد الوقعة فإن كان أحد منهم مات فابعث بنصيبه إلى ورثته[2].

---

(١) أخرجه البيهقي (١٤٧/٦).

(٢) أخرجه البيهقي واسناده ضعيف .

عن ابن عمر رضى الله عنه قال : استأذنت عمر فى الجهاد فقال : أى بنى إنى أخاف عليك الزنى فقلت : أو على مثلى تتخوف ذلك ؟ قال : تلقون العدو فيمنحكم الله أكنافهم فتقتلون المقاتلة وتسبون الذرية وتجمعون المتاع فتقام جارية فى المغنم فينادى عليها فتسوم بها فينكل الناس عنك ويقولون ابن أمير المؤمنين ولله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيها حق فتقع عليها فإذا أنت زان إجلس».

عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : قدم على عمر رضوان الله عله مسك وعنبر من البحرين فقال عمر : والله لوددت أنى آخذ امرأة حسنة الوزن تزن لى هذا الطيب حتى أفرقه بين المسلمين فقالت له امرأته عاتكة : أنا جيدة الوزن فهلم أزن لك قال : لا قالت : ولم ؟ قال : أخشى أن تأخذيه هكذا فتجعليه هكذا . وأدخل إصبعيه فى صدغيه - تمسحين به عنقك فأصيب فضلاً عن المسلمين (١).

عن نعيم بن العطارة قال : كان عمر يدفع إلى امرأته طيباً من طيب المسلمين فتبيعه امرأته قالت : فبايعتنى عطارة فجعلت تقوم وتزيد وتنقص وتكسره بأسنانها فيعلق بأصبعيها شئ منه فقالت به هكذا - بأصبعيها فى فيها - ثم مسحت به على خمارها قالت : فدخل عمر فقال : ما هذه الريح ؟ فأخبرته الذى كان فقال : طيب المسلمين تأخذينه أنت فتتطيبين به قالت : فانتزع الخمار من رأسها وأخذ جزءاً من ماء فجعل يصب الماء على الخمار ثم يدلكه فى التراب ثم يشمه ففعل ذلك ماشاء الله قالت العطارة : ثم أتيتها مرة أخرى فلما وزنت لى علق بأصبعها منه شئ فعمدت فأدخلت إصبعها فى فيها ثم مسحت بأصبعها التراب قال فقلت : ما هكذا صنعت أول مرة قالت : أو ما علمت ما

---

(١) أخرجه أحمد فى «الزهد» (ص ١٤٨).

لقيت منه ! لقيت منه كذا لقيت كذا .

عن أنس أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قرأ هذه الآية ﴿ فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا ﴾ فقال : هذه الفاكهة والقضيب وهذه الأشياء قد عرفناها فما الأب ؟ فوضع يده على رأسه ثم قال : إن هذا لهو التكلف يابن أم عمر ما عليك أن لاُ تدرى ما الأب ؟[1] ظاهر هذا الحديث يعطى الاعراض عن تفسير القرآن وليس المراد به ذلك قال أبو بكر بن مقسم ما عرف عمر عين الأب من النبت لأنه ليس من لغته وليس بالناس إلى البحث عنه حاجة فجعل ذلك مثالاً يعمل عليه خوفاً مما نظرت فيه الخوارج وأهل البدع.

عن عبد الرحمن الأشعرى أنه خرج إلى عمر رضوان الله عليه فنزل عليه وكان لعمر ناقة يحلبها فانطلق غلامه ذات يوم فسقاه لبناً فأنكره فقال : ويحك من أين هذا اللبن ؟ قال : يا أمير المؤمنين إن الناقة انفلت عليها ولدها فشرب لبنها فحلبت لك ناقة من مال الله فقال له عمر : ويحك سقيتنى ناراً ! ادع علياً بن أبى طالب قال : فدعاه فقال : إن هذا عمد إلى ناقة من مال الله فسقانى لبنها أفتحله لى ؟ قال : نعم ، يا أمير المؤمنين هو حلال لك ولحما .

خوفه من الله عز وجل

عن أبى بردة ابن عمر قال : لقى أبى أباك فقال : أبشرك أنك قد خرجت من عملك خيره وشره لا لك ولا عليك ، قال قلت : والله يا أمير المؤمنين لقد قدمت البصرة وإن الجفا فيهم لفاش فعلمتهم القرآن والسنة وغزوت فيهم فى سبيل الله وإنى لأرجو بذلك فضيلة قال : ولكن وددت أنى قد خرجت من عملى

(١) أخرجه ابن سعد (٣/٢٤٩) وقد سبق .

خيره بشره وشره بخيره كفافاً لالى ولا على ويخلص لى عملى مع رسول الله ﷺ قال : إن أباك كان خيراً من أبى [1].

عن مسروق قال : دخل عبد الرحمن على أم سلمة رضى الله عنها فقالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن من أصحابى من لا يرانى بعد أن أموت أبداً» قال فخرج عبد الرحمن من عندها مذعوراً حتى دخل على عمر فقال له : إسمع ماتقول أمك فقام عمر حتى أتاها فدخل عليها فسألها ثم قال : أنشدك الله أمنهم أنا فقالت : لا ولن أبرئ بعدك أحداً[2].

عن عبد الله بن عمر قال : كان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يقول : لو مات جدى بطف[3] الفرات لخشيت أن يحاسب الله به عمر[4].

وعن أمير المؤمنين علىّ رضوان الله عليه قال : رأيت عمر بن الخطاب رضوان الله عليه على قتب يعدو فقلت : يا أمير المؤمنين أين تذهب ؟ فقال : بعير ندّ من[5] إبل الصدقة أطلبه فقلت : لقد أذللت الخلفاء بعدك ، فقال : يا أبا الحسن لا تلمنى فوالذى بعث محمداً بالنبوة لو أن عناقاً ذهبت بشاطئ الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة.

عن طارق قال قلنا لابن عباس : أى رجل كان عمر ؟ قال : كان كالطير الحذرى الذى كان بكل طريق شركاً .

---

(١) أخرجه البخارى (٥/٨١) فى باب «هجرة الصحابة» كتاب «مناقب الأنصار» والبيهقى (٦/٢٥٩).

(٢) أخرجه أحمد (٦/٣١٢) وسنده ضعيف وأخرجه (٦/٢٩٠ـ٣١٧) من طريق شقيق .

(٣) الطف : الجانب والشاطئ .

(٤) ابن سعد (٣/٢٣٢).

(٥) ندّ : أى فر وهرب .

عن أبى سلمة قال : انتهيت إلى عمر وهو يضرب رجالاً ونساء فى الحرم على حوض يتوضئون منه حتى فرّق بينهم ، ثم قال : يا فلان قلت : لبيك قال : لا لبيك ولا سعديك ، ألم آمرك أن تتخذ حياضاً للرجال وحياضاً للنساء قال ثم اندفع فلقيه علىّ رضوان الله عليه فقال : أخاف أن أكون قد هلكت قال : ما أهلكك ؟ قال : ضربت رجالاً ونساء فى حرم الله عز وجل قال : يا أمير المؤمنين أنت را ع من الرعاة فإن كنت ضربتهم على غش فأنت الظالم المجرم(1).

وقال الحسن البصرى رضى الله عنه بينما عمر رضوان الله عليه يجول فى سكك المدينة إذ عُرضت له هذه الآية ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ﴾(2) فحدّث نفسه فقال لعلىّ أوذى المؤمنين والمؤمنات فانطلق إلى أبى بن كعب رضى الله عنه فدخل عليه بيته وهو جالس على وسادة فانتزعها ـ أى من تحته وقال : دونكها يا أمير المؤمنين قال : ولا ، ونبذها برجله وجلس فقرأ عليه هذه الآية وقال : أخشى أن أكون أنا صاحب هذه الآية أوذى المؤمنين قال : لا تستطيع إلا أن تعاهد رعيتك فتأمر وتنهى فقال عمر رضوان الله عليه : قد قلت والله أعلم (3).

عن الحسن رحمة الله قال : كان عمر رضوان الله عليه ربما توقد له النار ثم يدنى يده منها ثم يقول : ابن الخطاب هل لك على هذا صبر ؟ (4).

عن الضحاك قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : ليتنى كنت كبش أهلى سمنونى ما بدا لهم حتى إذا كنت أسمن ما أكون زارهم بعض من

---

(1) أخرجه عبد الرزاق فى «مصنفه» (٢٤٦) .

(2) سورة الأحزاب : الآية ٥٨ .

(3) مرسل .

(4) مرسل .

يحبون فجعلوا بعضى شواء وبعضى قديداً ثم أكلونى فأخرجونى عذرة ولم أك بشراً(١).

عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال : رأيت عمر بن الخطاب رضوان الله عليه أخذ تبنة من الأرض فقال : ليتنى كنت هذه التبنة لم أخلق ليت أمى لم تلدنى ليتنى لم أك شيئاً ليتنى كنت نسياً منسياً (٢).

عن قتادة قال : لما ورد عمر الشام صنع له طعام لم ير قبله مثله فلما أتى به قال: هذا لنا ، فما لفقراء المسلمين ، الذين باتوا لا يشبعون من خبز الشعير؟ فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه لهم الجنة فاغرورقت عيناه فقال : إن كان حظنا فى هذا ويذهب أولئك بالجنة لقد بانوا بونا بعيداً .

عن أبى جحيفة قال : جاء قوم إلى عمر رضوان الله عليه يشكون الجهد فأرسل عينيه بأربع ثم رفع يديه فقال : «اللهم لا تجعل هلكتهم على يدى» وأمر لهم بطعام .

عن القاسم بن محمد بن أبى بكر قال : بعث سعد بن أبى وقاص رحمه الله أيام القادسية إلى عمر رضوان الله عليه بقباء كسرى وسيفه ومنطقته وسراويله وقميصه وتاجه وخفيه قال : فنظر عمر رضوان الله عليه فى وجوه القوم فكان أجسمهم وأمدهم قامة سراقة بن جعشم المدلجى فقال : ياسراق قم فالبس قال : فطمعت فيه فقمت فلبست فقال : أدبر فأدبرت ثم قال : أقبل فأقبلت ثم قال بخ بخ ، اعرابى من بنى مدلج عليه قباء كسرى وسراويله وتاجه وخفاه رُبَّ يوم ياسراق بن مالك ولو كان عليك فيه من متاع كسرى وآل كسرى كان

(١) منقطع أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» (١/٥٢) والبيهقى فى «الشعب» (٧٦٨).

(٢) اسناده ضعيف أخرجه ابن المبارك (٢٣٤) وابن أبى شيبة (٨/١٥٢) وأبو داود (٧١) وابن سعد (٣/٢٧٤) والبيهقى فى «الشعب» (٧٦٩).

شرفاً لك ولقومك إنزع فنزعت فقال : اللهم إنك منعت هذا رسولك ونبيك وكان أحب إليك منى وأكرم عليك منى ثم أعطيتنيه فأعوذ بك أن تكون أعطيتنيه لتمكر بى ثم بكى حتى رحمه من كان عنده . ثم قال لعبد الرحمن أقسمت عليك لما بعته ثم قسمته قبل أن يمسنى(1).

عن أبى بكر بن عياش قال : جئ بتاج كسرى إلى عمر رضوان الله عليه فقال : إن الذين أدوا هذا لأمناء فقال له على رضوان الله عليه : إن القوم رأوك عففت فعفوا ولو ارتعت ارتعوا(2).

عن أبى سنان الدؤلى أنه دخل على عمر بن الخطاب رضوان الله عليه نفر من المهاجرين فأرسل عمر رضوان الله عليه إلى سفط أتى به من قلعة من العراق وكان فيه خاتم فأخذه بعض بنيه فأدخله فى فيه فانتزعه عمر رضوان الله عليه منه ثم بكى فقال من عنده : تبكى وقد فتح الله عليك ! وأظهرك على عدوك ! وأقر عينك فقال عمر : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا تفتح الدنيا على أمة إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وأنا أشفق من ذلك(3).

عن ابن ربيعة قال : لما نظر عمر رضوان الله عليه إلى مال جلولاء ونهاوند فى المسجد حين طلعت عليه الشمس فحميت الآنية وبرقت الحلية بكى فقيل : يا أمير المؤمنين ما هذا بيوم حزن وبكاء قال : قد عرفت ولكنه لم يفش المال فى قوم قط إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة(4).

---

(1) أخرجه البيهقى (٦/٣٥٨).

(2) أخرجه ابن جرير فى «التاريخ» (٣/١٢٨).

(3) أخرجه البيهقى (٦/٣٥٧).

(4) اسناده ضعيف ، أخرجه ابن أبى شيبة (٨/١٤٧) وعبد الرزاق وابن المبارك فى «الزهد» (٧٦٨) وأحمد فى «الزهد» (١٤٣) زوائد - وأبو داود فى «الزهد» (٦٨) والبيهقى (٦/١/٣٥).

عن إبراهيم بن سعد أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه أتى بكنوز كسرى فقال له عبد الله بن الأرقم اجعلها فى بيت المال حتى نقسمها فقال عمر: والله لا أويها إلى سقف حتى أمضيها فوضعها فى وسط المسجد وباتوا عليها يحرسونها فلما أصبح كشف عنها فرأى الحمراء والبيضاء فبكى عمر فقال له عبد الرحمن : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ فوالله إن هذا اليوم ليوم شكر ، ويوم فرح وسرور فقال عمر : إنه لم يعطه قوم إلا ألقيت بينهم العداوة والبغضاء(١).

عن الحسن قال : لما أتى عمر بخزائن كسرى قال : «والله لا يظلها سقف بيت دون السماء فطرحت بين صفتي المسجد صفة النساء وصفة الرجال وطرحت عليها الأنطاع وبات عليها الخزان فلما أصبح غداً عليها نظر إليها بكى فقال له عبد الرحمن بن عوف : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ أليس هذا يوم شكر فقال : لا والله ما فتح الله هذا على قوم قط إلا جعل بأسهم بينهم (٢).

عن سعيد بن المسيب رحمه الله أن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أصاب يوم جلولاء ثلاثين ألف ألف مثقال واف وأخذ منها ستة آلاف ألف فبعث بها إلى زياد الذى يدعى ابن أبى سفيان وهو يومئذ يدعى بابن عبيد فلما قدم بذلك عليه ونظر إليه قال : والله لا يجنه(٣) سقف بيت حتى أقسمه فبات عبد الله بن الأرقم وعبد الرحمن بن عوف يحرسانه فى سقائف المسجد فلما أصبح عمر رضوان الله عليه عدا عليه وكشف عن جلابيبه وهى الأنطاع فنظر إليه ثم

---

(١) اسناده ضعيف ، أخرجه ابن أبى شيبة (١٤٧/٨) وعبد الرزاق وابن المبارك فى «الزهد» (٧٦٨) وأحمد فى «الزهد» (١٤٣) زوائد - وأبو داود فى «الزهد» (٦٨) والبيهقى (٣٥/١/٦).

(٢) مرسل أخرجه البيهقى (٣٥٧/٦).

(٣) لا يجنه : لايستره .

بكى فقال له عبد الرحمن ما يبكيك فوالله إن هذا لمن مواطن الشكر قال : والله ماذاك أبكانى ولكن والله ما أعطى الله هذا قوما إلا ألقى بأسهم بينهم ثم جلس عمر فقسمها بين المهاجرين والأنصار فبدأ بأهل بدر ثم بأزواج النبى ﷺ فلما فرغ عبد الله بن عمر دون نظرائه فقال : يا أمير المؤمنين تضرب لى دون نظرائى ! فقال : يا عبد الله إن لكُ أسوة فى عمر لا يسألنى الله يوم القيامة إنى ملت إلى أحد(١).

عن ابن عباس رضى الله عنه أنه دخل على عمر وبين يديه مال فنشج حتى اختلفت أضلاعه ثم قال : وددت إنى أنجو منه كفافاً لا لى ولا علىّ (٢).

عن عبد الرحمن بن سليط قال : أرسل عمر رضوان الله عليه إلى سعيد بن عامر فقال : إنا مستعملوك على هؤلاء تجاهد معهم فقال : لا تفتنى فقال عمر : والله لا أدعكم جعلتموها فى عنقى ثم تخليتم عنى .

عن أبى عبد الله قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله تعالى لم يضيع ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ماترون .

عن عبد الرحمن بن عوف قال : أرسل إلىّ عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فأتيته فدخلت عليه فإذا بنجيب فإذا أمير المؤمنين هكذا - يصف ابن عوف أنه نائم على وجهه - فقلت : ياله ما الذى اعترى أمير المؤمنين ؟ ! قال : فوضعت يدى عليه فقلت : يا أمير المؤمنين ليس عليك بأس فأخذ بيدى فأدخلن بيتًا جفتنان بعضها فوق بعض فقال : ههنا هان آل الخطاب على الله تعالى أما

(١) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٠٣٦) والبيهقى (٦/٣٥٠).

(٢) أخرجه ابن عساكر - كما فى «الكنز» (٤/٤٠١).

والله لو كرمنا عليه لكان هذا إلى صاحبى بين يدى فاقاما لى فيه أمر أقتدى به فقلت: اجلس نتفكر قال : فكتبنا المخفين فى سبيل الله تعالى أربعة أربعة «يعنى آلاف» وأصاب أزواج رسول الله ﷺ أربعة أربعة وأصاب من دون ألفين حتى وزعنا ذلك المال [1].

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كنا عمر بن الخطاب رضوان الله عليه إذا صلى صلاة جلس الناس فمن كانت له حاجة كلمه وإن لم يكن لأحد حاجة قام فدخل فصلى صلوات لا يجلس فيها الناس فحضرت الباب فقلت : يايرفأ أبأمير المؤمنين شكاة! قال : ما بأمير المؤمنين شكاة» فجلست فجاء عثمان فجلس فخرج يرفأ فقال : قم يا ابن عفان قم يابن عباس فدخلنا على عمر فإذا بين يديه صبر من مال على كل صبرة منها كنيف[2] فقال : إنى نظرت فى أهل المدينة فوجدتكما أكثر أهلها عشيرة فخذا هذا المال فاقتسماه فما كان من فضل فرداه ثم قال : أما كان هذا عبد الله ومحمد وأصحابه يأكلون القدّ! فقلت: بلى والله لقد كان عبد الله ومحمد حى ولو عليه فُتح لصنع فيه غير الذى تصنع فغضب فقال : إذا صنع ماذا ؟ قال : قلت : إذا أكل وأطعمنا ! قال : فنشج[3] عمر حتى انتفخت أضلاعه ثم قال : وددت أنى خرجت منها كفافاً لا على ولا لى[4].

وقد كان عمر رضوان الله عليه لشدة خوفه من الله عز وجل يسأل الناس

---

(١) أخرجه البيهقى (٦/٣٥٦) وأخرجه ابن سعد (٣/٢١٩) مطولاً .

(٢) الكنيف : الساتر .

(٣) نشج : بكى .

(٤) أخرجه ابن سعد (٣/٢١٨) ورجاله ثقات وأخرجه البزار واسناده حسن قاله الهيثمى (١٠/٢٤٢).

عن نفسه فروى بشر بن عبد الله أن عمر رضوان الله عليه قال لحذيفة : نشدتك الله وبحق الولاية عليك كيف ترانى ؟ قال : ماعلمت إلا خيراً ! فنشده الله فقال : إن أخذت مال الله فقسمته فى ذات الله فأنت أنت ، وإلا فلا فقال : والله إن الله ليعلم ما آخذه إلا حصتى ولا آكل إلا وجبتى ولا ألبس إلا حلتى.

وقد قال مالك صاحب الدار غدوت على عمر رضوان الله عليه فقال : كيف أصبح الناس ؟ قلت : بخير قال : هل سمعت من شئ ؟ قال : ماسمعت إلا خيراً .

وقال عطاء الخرسانى : دخل فتى شاب على عمر رضوان الله عليه فقال له عمر : ما رأيت منى ؟ رأيتك أزارك وفيه ملبس .

فى ذكر بكائه

عن علقمة بن وقاص قال : كيف عمر يقرأ فى العشاء الآخرة يوسف وأنا فى مؤخرة الصف حتى إذا ذكر يوسف عليه السلام سمعت نشيجه (1).

عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال : سمعت عمر رضوان الله عليه يقرأ فى صلاة الصبح سورة يوسف فسمعت نشيجه وإنى لفى آخر الصفوف وهو يقرأ. ﴿إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله﴾ (2).

عن عبد الله بن عيسى قال : كان فى وجه عمر رضوان الله عليه خطان أسودان من البكاء وفى رواية خطان مثل الشراك من البكاء (3).

---

(1) أخرجه عبد الرزاق (٣/٢١) وابن أبى شيبة (١٤/٨) والبيهقى فى «الشعب» (١٨٩٦).

(2) أخرجه عبد الرزاق (٢٧١٦) وابن أبى شيبة (١٤/٧) وابن سعد (٦/١٢٦).

(3) أخرجه أحمد فى «الزهد» (ص ١٥٠) وأبو نعيم فى «الحلية» (١/٥١) منقطع.

عن الحسن رحمه الله قال : كان عمر رضوان الله عليه يمر بالآية من ورده بالليل فيبكى حتى يسقط ويبقى فى البيت حتى يعاد للمرض [1].

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : رأيت عمر رضوان الله عليه ينشج حتى اختلفت أضلاعه .

عن أبى عثمان النهدى أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه كان يطوف بالبيت وهو يبكى ويقول : اللهم إن كنت كتبتنا عندك فى شقوة وذنب فإنك تمحو ماتشاء وتثبت وعندك أم الكتاب فاجعلها سعادة ومغفرة .

عن ابن عمر رضوان الله عنه قال : غلب على عمر رضوان الله عليه البكاء وهو يصلى بالناس صلاة الصبح فسمعت حنينه من وراء ثلاثة صفوف[2] .

روى عمر بن شبية باسناده أن عمر زار أبا الدرداء رضى الله عنهما فقال له أبو الدرداء : أتذكر حديثاً حدثناه رسول الله ﷺ قال : أى حديث ؟ قال : ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الركب قال : نعم قال : فماذا فعلنا بعده ياعمر ؟ قال : فمازال يتجاوبان بالبكاء حتى أصبحا[3].

---

(١) مرسل ـ أخرجه ابن أبى شيبة (٢٦٩/١٣) وأحمد فى «الزهد» (ص١٤٩) وأبو نعيم فى «الحلية» (٥١/١) ، والبيهقى فى الشعب» (١٨٩٤).

(٢) أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» (٥٢/١) اسناده ضعيف .

(٣) روى الحديث أحمد (ص ١٥٢) زه ، وابن المبارك «زهد» (٩٦٦ ـ ٩٦٧) وابن أبى عاصم «زهد» (١٦٩) وأبو نعيم فى «الحلية» (١٩٦/١) عن سلمان وصححه الشيخ الألبانى فى «صحيح الجامع» (٥٤٦٥) وزاد نسبته إلى ابن ماجه وابن حبان.

تعبده واجتهاده

عن أسلم قال : كان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يصوم الدهر .

عن ابن عباس قال : مامات عمر رضوان الله عليه حتى أسود من الصوم.

عن ابن عمر رضى الله عنه أن عمر سرد الصيام قبل أن يموت بسنتين وعنه قال كان عمر رضى الله عنه يسرد الصيام إلا يوم الأضحى ويوم الفطر أو فى السفر[1] .

عن سعيد بن المسيب قال : كان عمر يحب الصلاة فى كبد الليل - يعنى وسط الليل[2].

وعن ابن عمر رضى الله عنه قال : ولى عمر فاستعمل عبد الرحمن يعنى على الحاج ثم كان هو يحج سنينه كلها حتى مات .

عن أسلم أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه كان يصلى ماشاء حتى إذا كان من آخر الليل يعظ أهله يقول : الصلاة الصلاة : ويتلو هذه الآية ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر ﴾ الآية [3].

عن ابن عمر قال : خرج عمر رضوان الله عليه إلى حائط له فرجع وقد صلى الناس العصر قال : إنما خرجت إلى حائطى فرجعت وقد صلى الناس حائطى[4] صدقة على المساكين قال ليث : إنما فاتته الجماعة .

---

(١) أخرجه البيهقى .

(٢) مرسل أخرجه ابن سعد (٣/٢١٧).

(٣) إسناده صحيح - رواه مالك (١/١١٩/٥) وعبد الرزاق (٣/٤٩) وأبو داود فى «الزهد».

(٤) الحائط : البستان .

عن أبى مسلم أنه صلى مع عمر بن الخطاب رضوان الله عليه أو حدثه من صلى مع عمر رضى الله عنه المغرب فتمسى بها أو شغله بعض الأمر حتى طلع نجمان فلما فرغ من صلاته أعتق رقبتين [1].

كتمانه التعبد وستره

عن نافع قال : كان أكثرنا لا يعرف لعمر ولا ابنه البر حتى يقولا أو يعملا[2].

دعائه ومناجاته

عن سالم بن عبد الله بن عمر قال : كان أول خطبة خطبها عمر الليلة التى دفن فيها أبو بكر رضوان الله عليهما فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله نهج سبيله وكفانا برسوله فلم يبق إلا الدعاء والاقتداء فالحمد لله الذى ابتلانى بكم وابتلاكم بى والحمد لله الذى أبقانى فيكم بعد صاحبى كنفر ثلاثة اغتربوا الطية[3] فأخذ أحدهم مهلة إلى داره وقراره فسلك أرضاً مضلة متشابهة الأسباب الأعلام فلم يزل على السبيل ولم يخرم[4] عنه حتى أسلمه إلى أهله فأفضى إليهم سالماً ثم تلاه الآخر فسلك سبيله واتبع أثره فأفضى إليه سالماً ولقى صاحبه ثم تلاه الثالث فإن سلك سبيلهما واتبع أثرهما أفضى إليهما سالماً ولاقاها وإن هو زل يميناً أو شمالاً لم يجامعهما أبداً ألا إن العرب جمل أنف[5]

(١) رواه ابن المبارك فى «زهده» (٥٢٩) وهو مرسل .

(٢) اسناده ضعيف أخرجه ابن سعد (٣/٢١١) وأبو داود فى «الزهد» (٩٣) وأبو نعيم فى «الحلية» (١/٥٣) .

(٣) الطية : النية .

(٤) يخرم عنه : يعدل عنه .

(٥) المأنوف العاقر .

فلا عطيت بخطامه ألا وإنى حامله على المحجة مستعين بالله ألا وإنى داع فأمنوا اللهم أنى شحيح فسخِّنى ، اللهم إنى غليظ فليِّنى إنى ضعيف فقونى ، اللهم أوجب لي موالاتك وموالاة أوليائك وولايتك ومعونتك وأبرنى بمعاداة عدوك من الآفات [1].

عن الأسود بن هلال المحاربى قال : لما ولى عمر قام على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : «أيها الناس إنى داع فهيمنوا[2] اللهم إنى غليظ فلينى وشحيح فسخنى وضعيف فقونى»[3].

عن عمرو بن ميمون الأودى عن عمر أنه كان فيما يدعو : «اللهم توفنى مع الأبرار ولا تخلفنى فى الأشرار والحقنى بالأخيار»[4].

عن أبى عبد الرحمن قال : كان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يقول : «اللهم لا تكثر لى من الدنيا فأطغى ، ولا تُقِلَّ لى منها فإننى أند ماقل وكفى خير مما كثر وألهى».

عن الشعبى قال : خرج عمر رضوان الله عليه يستسقى بالناس فمازاد على الاستغفار حتى رجع قالوا : «يا أمير المؤمنين ، مانراك استسقيت قال : «لقد طلبت المطر بمجاديح السماء[5] التى يستنزل بها المطر[6] ثم قرأ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٦٦٦) وأبو نعيم فى «الحلية» (٥٤/١) مختصراً.

(٢) فهيمنوا : أى قولوا آمين .

(٣) أخرجه ابن سعد (٢٧٥/٣) وأبو نعيم فى «الحلية» (٥٣/١).

(٤) أخرجه البخارى فى «الأدب المفرد» وابن سعد وإسناده ضعيف .

(٥) مجاديح ـ الأنواء .

(٦) أخرجه عبد الرزاق (٤٩٠٢) والبيهقى وفيه انقطاع .

﴿ واستغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدارا ﴾[1] ثم قرأ ﴿ استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ﴾ [2].

عن أسلم أنه سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : «اللهم لا تجعل قتلى على يد عبد قد سجد لك سجدة يُحاجنى بها يوم القيامة[3].

عن سليمان بن حنظلة عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يقول : «اللهم إنى أعوذ بك أن تأخذنى على غرة أو تذرنى فى غفلة أو تجعلنى من الغافلين.

عن عبد الله بن خراش عن عمه قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول فى خطبته : «اللهم اعصمنا بحفظك وثبتنا على أمرك»[4].

بناء البصرة

سنة ١٧هـ ٦٣٨م

معنى البصرة فى اللغة الأرض الغليظة ذات الحجارة الصلبة وقيل الأرض ذات الحصى وقيل الحجارة الرخوة البيضاء والبصرة مدينة عند ملتقى دجلة والفرات ويعرف ملتقاها بشط العرب.

وحكاية بنائها أن عتبة كتب إلى عمر يستأذنه فى تمصير البصرة وقال إنه لا بد للمسلمين من منزل إذا أشتا شتوا فيه وإذا رجعوا من غزوهم لجئوا إليه

---

(١) سورة نوح الآية ١٠، وسورة هود الآية ٥٢.

(٢) أخرجه مالك والبخارى وأبو نعيم فى «الحلية» (١/٥٢).

(٣) أخرجه ابن أبى شيبة وأبو نعيم (١/٥٤).

(٤) اسناده ضعيف.

فكتب إليه عمر أن ارتد لهم منزلا قريباً من المراعى والماء واكتب إلىّ بصفته ، فكتب إلى عمر إنى قد وجدت أرضاً كثيرة القضة (الحجارة المجتمعة المتشققة) فى طرف البر إلى الريف ودونها منافع فيها ماء وفيها قصباء ، فلما وصلت الرسالة إلى عمر قال هذه الأرض «بصرة» قريبة من المشارب والمرعى والمحتطب فكتب إليه أن انزلها فنزلها وبنى مسجدها من قصب لكثرته هناك وبنى دار إمارتها دون المسجد فى الرحبة التى يقال لها رحبة بنى هاشم وكانت تسمى الدهناء وفيها السجن والديوان وحمام الاسراء بعد ذلك لقربها من الماء.

فكانوا إذا غزوا نزعوا ذلك القصب ثم حزموه ووضعوه حتى يعودوا من الغزو فيعيدوا بناءها كما كان ، ثم أن البصرة احترقت فبنوها باللبن ، وأول من غرس النخل فيها أبو بكرة ثم غرس الناس بعده ثم استعمل عمر عليها المغيرة بن شعبة ثم أبا موسى الأشعرى سنة ١٧ هـ ، فبنى الجامع باللبن وكذلك دار الامارة .

أما الأبلة فهى أقدم من البصرة لأن البصرة مصرت فى أيام عمر بن الخطاب وكانت الأبلة حينئذ مدينة فيها مسالح من قبل كسرى .

بناء الكوفة

سنة ١٧هـ ٦٣٨م

الكوفة المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ويسميها قوم «خد العذراء» وقد مصرت الكوفة فى السنة التى مصرت فيها البصرة ، وكان سبب بنائها أن سعداً أرسل وفداً إلى عمر بالفتوح فلما رآهم عمر سألهم عن تغير ألوانهم وحالهم فقالوا وخومة البلاد غيرتنا فأمرهم عمر أن يرتادوا منزلا ينزله الناس وكتب إلى سعد أن ابعث سلمان وحذيفة رائدين فليرتادا منزلا برياً بحرياً

ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر ، فأرسلهما سعد فاختارا الكوفة بالقرب من الحيرة على شاطئ الفرات الغربي فنزلا فصليا ودعوا الله تعالى أن يجعلها منزل الثبات ونزل سعد الكوفة وكتب إلى عمر أني قد نزلت بالكوفة فيما بين الحيرة والفرات بريا بحريا ينبت الحلفاء والنَّصِيّ[1] وخير المسلمون بينها وبين المدائن فمن أعجبه المقام بالمدائن تركته فيها كالمسلحة ، ولما استقروا بها رجع إليهم ماكانوا فقدوا من قوتهم وبناها بالقصب كالبصرة ولما أصابها الحريق[2] بناها باللبن وكان على تنزيل الكوفة أبو هياج بن مالك وعلى تنزيل البصرة عاصم بن دلف أبو الحرباء وقدرا المناهج أربعين ذراعاً وما بين ذلك عشرين ذراعا والأزقة سبع أذرع والقطائع ستين ذراعاً وأول شئ خطه فيهما وبنى مسجداهما وقام فى وسطها رجل شديد النزع فرمى فى كل جهة بسهم وأمر أن يبنى ما وراء ذلك وبنى ظلة فى مقدمة مسجد الكوفة على أساطين رخام من بناء الأكاسرة فى الحيرة وجعلوا على الصحن خندقاً لئلا يقتحمه أحد ببنيان وبنوا لسعد داراً بحياله وهى قصر الكوفة من آجر الأكاسرة فى الحيرة وجعل الأسواق على شبه المساجد من سبق إلى مقعد فهو له حتى يقدم منه إلى بيته ويفرغ من معه .

وبلغ عمر أن سعداً قال وقد سمع أصوات الناس من الأسواق «سكنوا عنى السويط» وأن الناس يسمونه قصر سعد فبعث محمد ابن مسلمة إلى الكوفة وأمره أن يحرق باب القصر ثم يرجع ففعل فبلغ سعداً ذلك فقال هذا رسول أرسل لهذا فاستدعاه سعد فأبى أن يدخل عليه فخرج إليه سعد وعرض

---

(١) النصى نبت سبط من أفضل المراعى مادام رطباً فإذا أبيض فهو (الطريفة) فإذا ضخم وييس فهو (الحلي) الواحدة نصية .

(٢) وقع الحريق بالكوفة والبصرة وكان أشدهما حريقا الكوفة فاحترق ثمانون عريشاً ولم يبق فيها قصبة .

عليه نفقة فلم يأخذ وأبلغه كتاب عمر إليه : «بلغنى أنك اتخذت قصراً جعلته حصنا ويسمى قصر سعد بينك وبين الناس باب فليس بقصرك ولكنه قصر الخبال ، أنزل منه مما يلى بيوت الأموال وأغلقه وألا تجعل على القصر باباً يمنع الناس من دخوله » فحلف له سعد ما قال الذى قالوا فرجع محمد فأبلغ عمر قول سعد فصدقه :

وكانت ثغور الكوفة أربعة وهى :

١ - حلوان وعليها القعقاع .

٢ - ماسبذان وعليها ضرار بن الخطاب .

٣ - قرقيسياء وعليها عمر بن مالك أو عمرو بن عتبة بن نوفل .

٤ - الموصل وعليها عبد الله بن المعتم وكان بها خلفاؤهم إذا غابوا عنها وولى سعد الكوفة بعد ما اختطت ثلاث سنين ونصفا سوى ما كان بالمدائن قبلها .

وقد كان لبناء الكوفة والبصرة أثر عظيم فى الخلافة وقد كان السواد الأعظم من السكان من أصل عربى ، وقد كانت الكوفة مسكنا للقبائل العربية الوافدة من الجنوب وهؤلاء كانوا العنصر السائد فيها ، أما البصرة فقد كانت سكنا للوافدين من الشمال وترواح سكان كل منهما بين ١٥٠,٠٠٠ و ٢٠٠,٠٠٠ عربى .

وفاة أبى عبيدة بن الجراح

١٨ هـ - ٦٣٩ م

أحد أبطال الإسلام ، وفاتح الشام

كان طاعون عمواس نكبة على المسلمين والظاهر أنه نشأ عقب الحروب التى حدثت فى الشام من كثرة القتلى الذين تركوا فى ميادين القتال من غير أن يدفنوا ، أما المسلمون فقد كانوا يدفنون قتلاهم كما هى عادتهم وكما يأمر بذلك دينهم ، أما الجيوش المنهزمة فلا تتمكن عادة من دفن قتلاهم لذلك بقيت جثث الروم كما بقيت جثث الفرس فى العراق من غير أن تدفن ولذلك أصاب الطاعون العراق كما أصاب الشام[١].

وقد استشهد بطاعون عمواس جماعة من كبار القواد والصحابة منهم أبو عبيدة بن الجراح رحمه الله تعالى ، وقد خسر المسلمون بوفاته رجلا صالحاً تقياً عفيفا متواضعاً محبوباً من الخليفة ومن جميع القواد وفاتحا من أكبر الفاتحين الذين كان لهم أثر عظيم فى تاريخ الفتح الإسلامى ،

فهو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة ابن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة أبو عبيدة اشتهر بكنيته ونسبه إلى جده فيقال أبو عبيدة بن الجراح .

كان إسلامه هو وعثمان بن مظعون وعبيدة بن الجون بن المطلب وعبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة بن عبد الأسد فى ساعة واحدة قبل دخول النبى ﷺ دار الأرقم ، أحد العشرة السابقين إلى الإسلام ومن المشهود لهم بالجنة . شهد بدراً وأحد والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وهو الذى نزع الحلقتين من

(١) كان الفرس يدينون بديانه زرادشت وهى تحرم حرق الموتى أو دفنهم .

وجه رسول الله ﷺ فسقطت ثنيتا أبى عبيدة وقال فيه النبى ﷺ : «لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» .

ولما وفد أهل اليمن (نجران) على رسول الله ﷺ ، قالوا ابعث معنا رجلا يعلمنا السنة والإسلام فأخذ بيد أبى عبيدة فقال «هذا أمين هذه الأمة» وقال له أبو بكر الصديق يوم السقيفة قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين عمر بن الخطاب وأبى عبيدة بن الجراح .

وكان أحد الأمراء المسيرين إلى الشام والذين فتحوا دمشق، ولما ولى عمر بن الخطاب الخلافة عزل خالد بن الوليد واستعمل أبا عبيدة فقال خالد ولى عليكم أمين هذه الأمة ، وقال أبو عبيدة سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن خالداً لسيف من سيوف الله». وهو الذى قال لعمر لما أراد الرجوع إلى المدينة بعد مانصحه الصحابة بالرجوع لتفشى الوباء: «اتفر من قدر الله ؟ قال عمر: «لو غيرك قالها يا أبا عبيدة . نعم من قدر الله إلى قدر الله» وذلك دال على جلالة قدر أبى عبيدة عند عمر.

ولما كان أبو عبيدة ببدر يوم الوقعة جعل أبوه يتصدى له وجعل أبو عبيدة يحيد عنه فلما أكثر أبوه قصده ، قتله أبو عبيدة ، فانزل الله تعالى ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم ﴾ [سورة التوبة] .

ولما هاجر إلى المدينة آخى رسول الله بينه وبين أبى طلحة الأنصارى وكان عمره عند وفاته ٥٨ عاماً وكان يخضب بالحناء والكتم وقد انقرض ولد أبى عبيدة وكان رجلا نحيفا معروق الوجه خفيف اللحية طوالا.

وأشهر أعمال أبى عبيدة ظهرت فى فتوح الشام فإنه كان أمير الجيوش

وقائدها فأول ما استعمله أبو بكر على جيش إلى حمص فسار إلى باب البلقاء فقاتله أهلها ثم صالحوه فكان أول صلح فى الشام . ثم سار الجابية ثم حضر وقعة اليرموك ووقعة أجنادين ونجح فيها نجاحا عجيباً ثم فتح دمشق وفحلا ثم قصد حمص وفتحت بأمره بيسان وطبرية وغيرها من البلاد الشرقية وكانت له مع الروم فى تلك الفتوح مواقع وأخبار ظهرت فيها شهامته وجسارته وخبرته بأمر الحروب وبقى مجاهداً إلى أن مات ، وكان أبو عبيدة هينا لينا حليماً رءوفا كريم الأخلاق غير متعصب ولا محب لسفك الدماء واشتهر عندالروم بحسن الشمائل وصدق المقال ولذلك قصدوا فى دمشق صلحه فصالحهم ،

وقد مدحه المؤرخون على مروءته حتى قال من وقف على هذه الموقعة من مؤرخى الأفرنج «لو كانت أوصاف هذا الصحابى الجليل الذى كان أمير الجيش الإسلامى فى لذاك العصرمجتمعة فى أمراء جيوش العصور الجديدة المشهورة بالتمدن والتقدم لأفادتهم غاية المجد والشرف ونفت عنهم مثالب الجور . فأجل أمراء الجيوش العظيمة المتمدنة فى عهدنا هذا لم يبلغوا درجة ذلك الأمير الخطير الذى هو بين الفاتحين عديم النظير ، فكل منقبة من مناقب عدله وحلمه ووفائه تخجل أكابر رؤساء كل جيش من جيوش الدول المتأخرة وتزدرى بأمرائه».

وقبر أبى عبيدة بغور بيسان عند قرية تسمى عمتا[1] وعلى قبره أشياء تشير إلى جلالة قدره[2].

---

(١) صحتها عمتا لا عمياء كما ذكرت خطأ فى دائرة المعارف العربية وهى قرية بالأردن.

(٢) أسد الغابة ، الاصابة ، دائرة المعارف العربية للبستانى .

وفاة معاذ بن جبل

كان من ضحايا طاعون عمواس معاذ بن جبل الأنصارى الخزرجي وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وآخى رسول الله بينه وبين عبد الله بن مسعود وكان عمره لما أسلم ١٨ سنة . قال رسول الله ﷺ : «خذوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبى حذيفة».

وقال رسول الله ﷺ : «أرحم أمتى بأمتى أبو بكر» وقال «وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل» .

وعن سلمة بن وردان قال سمعت أنس بن مالك قال أتانى معاذ ابن جبل من عند رسول الله ﷺ فقال : «من شهد أن لا إله إلا الله مخلصا بها قلبه دخل الجنة» فذهبت إلى رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله حدثنى معاذ أنك قلت من شهد أن لا إله إلا الله مخلصا بها قلبه دخل الجنة ، قال : «صدق معاذ، صدق معاذ».

وكان الذين يفتون على عهد رسول الله ﷺ من المهاجرين عمر وعثمان وعلى وثلاثة من الأنصار أبىٌ بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت ، وقال جابر بن عبد الله كان معاذ من أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقاً وأسمحهم كفاً فادّان دينا كثيراً فلزمه غرماؤه حتى تغيب عنهم أياما فى بيته فطلب غرماؤه من رسول الله ﷺ أن يحضره فأرسل إليه فحضر ومعه غرماؤه فقالوا يا رسول الله خذ لنا حقنا . فقال رسول الله ﷺ : «رحم الله من تصدق عليه» فتصدق عليه ناس وأبى آخرون فخلعه رسول الله ﷺ من ماله فاقتسموه بينهم فأصابهم خمسة أسباع حقوقهم فقال لهم رسول الله ﷺ : «ليس لكم إلا ذلك»

فأرسله رسول الله ﷺ إلى اليمن وقال «لعل الله يجبرك ويؤدى عنك دينك » فلم يزل باليمن حتى توفى رسول الله .

وكان معاذ إذا تهجد من الليل قال : « اللهم نامت العيون وغارت النجوم وأنت حى قيوم ، اللهم طلبى الجنة بطئ وهربى من النار ضعيف ، اللهم اجعل لى من عندك هدى ترده إلىّ يوم القيامة ، إنك لا تخلفُ الميعاد » .

وطعنت له فى الطاعون امرأتان فماتتا ثم طعن ابنه عبد الرحمن فمات ثم طعن معاذ بن جبل فجعل يغشى عليه فإذا أفاق اللهم غمنى غمك فوعزتك لتعلم أنى أحبك ، ثم يغشى عليه فإذا أفاق قال مثل ذلك .

وقال عمرو بن قيس إن معاذ بن جبل لما حضره الموت قال : انظروا أصبحنا ، فقيل لم نصبح حتى أتى فقيل أصبحنا فقال : « أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار ، مرحباً بالموت ، مرحباً زائر حبيب جاء على فاقة ، اللهم تعلم أنى كنت أخافك وأنا اليوم ارجوك ، إنى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكرى الأنهار ولا لغرس الأشجار ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكرة » .

وقال الحسن لما حضر معاذ الموت جعل يبكى فقيل له اتبكى وأنت صاحب رسول الله ﷺ وأنت ، وأنت فقال : « ما أبكى جزعا من الموت إن حل بى ولا دنيا تركتها بعدى إنما القبضتان فلا أدرى من أىّ القبضتين أنا » .

قيل كان معاذ ممن يكسر أصنام بنى سلمة وقال النبى ﷺ : «معاذ إمام العلماء يوم القيامة برتوة أو رتوتين[1] ».

---

(١) الرتوة : الخطوة يقال دنوت منه رتوة . ورتوة قدر مد البصر تقول بيننا وبينهم رتوة أى مسافة بعيدة قدر مد البصر

وكان عمره عند وفاته ٣٨ عاماً[1] وقبره بغور بيسان .

قال أبو إدريس الخولانى كان معاذ أبيض وضيئ الوجه براق الثنايا اكحل العينين . وقال كعب بن مالك : كان شاباً جميلاً سمحا من خير شباب قومه .

وفاة يزيد بن أبى سفيان

هو ثالث القواد المشهورين الذين أصيبوا بطاعون عمواس وكان أفضل بنى سفيان وكان يقال له يزيد الخير يكنى أبا خالد أسلم يوم فتح مكة وشهد حنينا وأعطاه النبى ﷺ من الغنائم بها مائة بعير وأربعين أوقية وزنها له بلال واستعمله أبو بكر على جيش وسيره إلى الشام وخرج معه يشيعه راجلا .

قال ابن اسحاق لما قفل أبو بكر من الحج سنة اثنتى عشرة بعث عمرو بن العاص ويزيد بن أبى سفيان وأبا عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة إلى فلسطين وأمرهم أن يسلكوا على البلقاء وكتب إلى خالد بن الوليد وهو بالعراق يأمره بالمسير إلى الشام فسار على السماوة[2] وأغار على غسان بمرج راهط من أرض دمشق ثم سار فنزل على قناة بصرى وقدم عليه يزيد بن أبى سفيان وأبو عبيدة وشرحبيل فصالحت بصرى وكانت أول المدائن الشام فتحت ثم ساروا نحو فلسطين فالتقوا مع الروم بأجنادين بين الرملة وبيت جبرين فهزم الله الروم فى جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ، فلما ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولى أبا عبيدة وفتح الله عليه الشامات ولى يزيد بن أبى سفيان فلسطين

---

(١) أسد الغابة .

(٢) قال ياقوت السماوة ماءة بالبادية وكانت أم النعمان سميت بها فكان اسمها ماء فسمتها العرب ماء السماء وبادية السماوة التى هى بين الكوفة والشام فقرى أظنها مسماة بهذا الماء .

ولما مات أبو عبيدة استخلف معاذ بن جبل ومات معاذ ومات يزيد فاستخلف أخاه معاوية وكان موت هؤلاء كلهم فى طاعون عمواس .

واستعمله رسول الله على صدقات بنى فراس وكانوا أخواله .

وفاة شرحبيل ابن حسنة

أحد القواد العظام الذين استشهدوا فى الطاعون الجارف ، حَسنَة أمه واسم أبيه عبد الله بن المطاع وكان شرحبيل حليفا لبنى زهرة حالفهم بعد موت أخويه لأمه جنادة وجابر ابنى سفيان بن معمر بن حبيب ولما مات عبد الله والد شرحبيل تزوج أمه حسنه أم شرحبيل رجل من الأنصار من بنى زريق اسمه سفيان .

أسلم شرحبيل قديما وأخواه وهاجر إلى الحبشة هو وأخواه فلما قدموا من الحبشة نزلوا فى بنى زريق فى ربعهم ونزل شرحبيل مع أخويه لأمه ثم مات سفيان وابناه فى خلافة عمر رضى الله عنه ولم يتركوا عقباً فتحول شرحبيل إلى بنى زهرة .

وكان شرحبيل من مهاجرة الحبشة ومن وجوه قريش ، سيره أبو بكر وعمر على جيش إلى الشام ولم يزل واليا على بعض نواحى الشام لعمر إلى أن مات فى طاعون عمواس وله ٦٧ سنة ، طعن هو وأبو عبيدة بن الجراح فى يوم واحد .

خروج عمر إلى الشام

بعد طاعون عمواس سنة ١٨ هـ

كثرت وفيات المسلمين بالطاعون وحار أمراء الجند فيما لديهم من المواريث فكتبوا إلى عمر بذلك فجمع الناس واستشارهم وقال لهم « قد بدا لى أن أطوف على المسلمين فى بلدانهم لأنظر فى آثارهم فأشيروا علىَّ » ومن هذا يتبين أنه كان يريد الطواف فى البلاد التى فتحها المسلمون ولم تكن مسألة المواريث هى السبب الوحيد لعزمه على الخروج ، وكان فى القوم كعب الأحبار الذى قيل إنه أسلم فى تلك السنة[1] ، فقال كعب : يا أمير المؤمنين بأيها تريد أن تبدأ ؟ قال بالعراق ، قال : فلا تفعل فإن الشر عشرة أجزاء : تسعة بالمشرق وجزء بالمغرب وبها قرن الشيطان وكل داء عضال ، فقال على يا أمير المؤمنين إن الكوفة للهجرة بعد الهجرة وإنها لقبة الإسلام ليأتينها يوم لا يبقى مسلم إلا وحن إليها ، لينتصرن بأهلها كما انتصر بالحجارة من قوم لوط .

فقال عمر إن مواريث أهل عمواس قد ضاعن فأبدأ بالشام فاقسم المواريث وأقيم لهم ما فى نفسى ثم أرجع فأتقلب فى البلاد وأبدى لهم أمرى.

فسار عن المدينة واستخلف عليها على بن أبى طالب واتخذ إيلة طريقا

---

(١) هو كعب بن ماتع الحميرى أو إسحاق المعروف بكعب الأحبار وهو الراوية المشهورة ، كان يهوديا وأسلم ويقال اسمه بالعبرية عقيبا او يعقوب فتغير إلى كعب حبر بفتح الحاء أو بكسرها والجمع أحبار ، قال الخوارزمى فى كتاب مفاتيح العلوم «الحبر العالم» وإن حياة كعب ليست معروفة تماماً وقد كان مع عمر عند بيت المقدس وأسلم سنة ١٧ هـ (٦٣٨م) ، وقد أدرك النبى ولم يره وكان مجيئة من اليمن إلى المدينة فى خلافة عمر وسار منها إلى حمص فى خلافة عثمان بن عفان وتوفى بها سنة ٣٢ هـ ، وقيل سنة ٣٤هـ (٦٥٢ ـ ٦٥٤م) وبها دفن وقال ابن بطوطة وياقوت فى معجمه إنه مات بدمشق .

فلما دنا منها ركب بعيره وعلى رحله فرو مقلوب وأعطى غلامه مركبة ، فلما تلقاه الناس ، قالوا أين أمير المؤمنين ؟ قال أمامهم يعنى نفسه فساروا أمامهم فنزلها وقيل للمتلقين قد دخل أمير المؤمنين إليها ونزلها فرجعوا وأعطى عمر الأسقف بها قميصه وقد تخرق ظهره ليغسله ففعل واخذه ولبسه وخاط له الأسقف قميصا غيره فلم يأخذه .

فلما قدم الشام قسم الأرزاق وسمى الشواتى والصوائف وسد فروج الشام ومسالحها (ثغورها) واخذ يدورها واستعمل عبد الله ابن قيس على السواحل من كل كورة واستعمل معاوية وقسم مواريث أهل عمواس فورث بعض الورثة من بعض وأخرجها إلى الأحياء من ورثة كل منهم وخرج الحارث بن هشام فى سبعين من أهل بيته فلم يرجع منهم إلا أربعة .

ولما حضرت الصلاة قال له الناس لو أمرت بلالا فأذن فأمره فأذن فما بقى أحد أدرك النبى ﷺ وبلال يؤذن إلا بكى حتى بل لحيته عمر أشدهم بكاء وبكى من لم يدركه ببكائهم ولذكرهم رسول الله ﷺ .

وفى هذه السنة فى ذى الحجة حول عمر المقام إلى موضعه اليوم كان ملصقا بالبيت وفيها استقصى عمر شريح بن الحارث الكندى على الكوفة وعلى البصرة كعب بن سور الأزدى وكانت الولاة على الأمصار الولاة فى السنة قبلها وحج الناس عمر بن الخطاب .

أسباب انتصار المسلمين

بالشام والعراق

انتصر المسلمون فى مدة قصيرة لا تزيد عن أربع سنوات على امبراطوريتين عظيمتين هما الفرس والامبراطورية الرومانية الشرقية بعد أن

نشبت بينهما حروب طاحنة فقد كان الفرس احتلوا الشام ومصر ووصلت جيوشهم سنة ٦١٦ م إلى شواطئ القسطنطينية أى بعد تولية هرقل ملك الروم الحكم بست سنوات فتملكه اليأس وعوّل على التخلى عن عرشه والرحيل إلى قرطاجنة ، غير أن البطارقة منعوه وشجعوه على الاحتفاظ بمركزه فبقى واستطاع محاربة الفرس لكنه سنة ٦٢٢ م اخفق فى الاستيلاء على أرمينية ثم عاد ففتحها سنة ٦٢٤ - ٦٢٦م وهزم الفرس فى ميدان القتال وتغلب على قائدهم شهر بزار .

ولما بلغت جيوش الروم قرب المدائن صالحه كسرى ثم عاد إلى القسطنطينية بعد أن أخذ منهم الصليب الذى يظن أن المسيح صلب عليه ورده إلى بيت المقدس فى احتفال باهر فى سبتمبر سنة ٦٢٩م بعد أن سار على قدميه من القسطنطينية إلى بيت المقدس براً بيمينه ، وفى هذا الوقت وصل هرقل كتاب من رسول الله ﷺ يدعوه فيه إلى الإسلام كما وصل كسرى إلا أن كسرى مزق الكتاب ، وعلى كل حال لم يكترث واحد منهما ما بصاحب الكتاب ولا بدعوته لأنه لم يكن له وقتئذ شأن يذكر ولم يخطر ببال هرقل ولا كسرى أن المسلمين بعد سنوات معدودات سيفتحون بلادهما .

أنهكت الحروب الطويلة قوى الفرس والروم وقد انتهت الحروب فى أوائل خلافة أبى بكر الصديق بعد أن استمرت ستة وعشرين عاماً ، ثم نهض المسلمون وأخذوا يحاربون الفرس والروم جميعاً فى آن واحد فانتصروا عليهما انتصاراً باهراً لم يكن بالحسبان مع أنهم فى جميع المواقع كانوا أقل منهم عدداً وعدة ، فلم تتجاوز جيوش المسلمين فى خلافة عمر بن الخطاب ٤٠٠٠٠ مقاتل فى العراق أو الشام .

أما أسباب الانتصار الذى حير الألباب فهى :

١ - أن الفرس والروم سئموا الحروب الطويلة التى كسرت من شوكتهم وقد استمرت ستة وعشرين عاماً .

٢ - الاضطرابات الداخلية فقد كانت الفرس فى قلاقل مستمرة ودسائس وفتن فلا يتولى ملك حتى يقتل أ يخلع واشتغل الروم بالمباحثات الدينية والمجادلات اللاهوائية كذلك شغلتهم الاضطهادات الدينية والاضطرابات السياسية وتنازع القواد وانقسامهم .

٣ - انغمس الأمتين فى الملاهى والترف وفقدان الروح الحربية فيهم .

٤ - كان الفرس والروم يعتمدون فى محاربة المسلمين على جيوش من البدو الموالين لهم فى الحدود وكان العرب المتنصرون الخاضعون للروم يعانون كثيراً من المظالم كفداحة الضرائب وغطرسة الحكام وانتشار الفوضى ، فلما زحف المسلمون على الشام لم ينهضوا لمقاومتهم لما بينهم من التجانس فإنهم عرب مثلهم ولما لاقوا من مظالم الروم ولأنهم كانوا يعلمون أن المسلمين يعدلون ولا يجورون فى أحكامهم ويعاملونهم بالرفق .

أما البدو الذين كانوا موالين للفرس فكانوا مزارعين لا يعنيهم أدفعوا الضرائب للفرس أم دفعوا الجزية للمسلمين بل كانوا يميلون إليهم لأنهم عرب مثلهم ومن انضم منهم إليهم كان يحارب دفاعاً عن العربية .

٥ - كان المسلمون حديثوا عهد بالإسلام فكانوا يقاتلون بحمية دفاعاً عن دينهم وتعزيزاً له وتثبيتاً لدعائمه بعقيدة ثابتة فهم يحاربون لذلك ولأن من يقتل فى سبيل الله فهو شهيد مخلد فى جنة الفردوس ومن يولى الدبر فجزاؤه جهنم ، هذا وقد كانت الغنائم توزع بينهم بالتساوى بلا محاباة ، فالروح الحربية عندهم

كانت بالغة منتهاها وفى عنفوانها لم يطرأ عليها الوهن ولم يفسدها النعيم والترف فقد كانوا متقشفين لا يبالون بالموت ويتسابقون إليه طمعاً فى نعيم الآخرة .

٦ - كان نساء المسلمين يصحبون الجيش ويشجعونهم بأصواتهم ويحثونهم على القتال وكن يحاربن مع الرجال فى عدة مواقع ويضمدن جراحهم.

كل هذه الأسباب هيأت للمسلمين الانتصار وبذلك انتشر الإسلام الذى كان خير نظام اجتماعى وسياسى وخير عقيدة دينية وقد قضى على الخرفات والاضطهادات الدينية والنهب والسلب والفوضى والرقيق كما قضى على الفجور والخمور وسوى بين السيد والمسود ونشر العدل ووط الأمن وبث روح التعاون والأخوة والتسامح وأمن الذميين على أرواحهم وأموالهم وحافظ على معابدهم ونها عن هدمها والتعرض لها بسوء وأطلق لهم حرية الأديان فعاشوا فى صفاء وأمان .

فتح مصر

سنة ١٩ - ٢٠ هـ (٦٤٠ - ٦٤١م)

كان عمرو بن العاص يرحل إلى مصر للتجارة قبل الإسلام فلما زار عمر بن الخطاب الشام لقسمة المواريث بعد الطاعون عمواس اختلى به عمرو ائذن لى أن أسير إلى مصر فأنا إن فتحناها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم وهى أكثر الأرض أموالاً وأعجزهم عن القتال والحرب .

فتخوف عمر من ذلك وقال هذا تغرير بالمسلمين لأن قدمهم لم تكن رسخت فى بلاد التى فتحوها حديثاً ، كانت جيوشهم موزعة فى الشام والعراق وأرمينيا وغيرها ، وقد مات بالطاعون عدد عظيم ، ومازال عمر بن العاص

يحرضه على فتح مصر ويعظم أمرها لديه ويهون فتحها عايه حتى ركن إلى قوله وأذن له فى المسير .

وقد كانت مشورة عمرو حسنة لأن مصر كانت تموّن روما بالغلال وكانت الاسكندرية آهله بالسكان ويقصدها الناس من كل فج للإقامة بها حتى صارت المدينة الثانيةُ فى الإمبراطورية الرومانية ومركزاً للتجارة والعلوم واختلف إليها الروم والأرمن والعرب والقبط والمسيحيون واليهود والشوام غير أنها كانت مركزاً للقلاقل والثورات الداخلية ضد حكامها الأجانب ، وبلغ عدد سكانها من الذكور فقد ٦٠٠٠٠٠ منهم ٤٠٠٠٠ يهودى يدفعون الضرائب و ٢٠٠٠٠٠ رومى منهم ٣٠٠٠٠ قبل الحصار وكان بها ٤٠٠٠ حمام و ٤٠٠ ملهى و ١٢٠٠ سفينة وأن كان هذا العدد به شئ من المبالغة ، وكانت السفن ترسو فى مينائها للإتجار مع جميع موانئ الدنيا وعلى ذلك كانت مدينة الاسكندرية مدينة أوربية أكثر منها مصرية .

وكانت مصر تعانى أشد أنواع الفقر ، أما حاصلاتها فكانت ترسل إلى مدن الامبراطورية الرومانية وتبقى هى محرومة منها ولذلك كان الأهالى مستعدين على الدوام للقيام بثورة ض حكام البلاد وعدا ذلك كان حكام الروم يبذلون المجهودات كى يعتنق الأهالى المذهب الأرثوذكسى وفر بطريق الأقباط بنيامين إلى الصعيد واختفى فى أحد الأديرة من جراء الاضطهاد الدينى ونصح لأتباعه أن يقتفوا أثره ، ولم يعد فى وسع الأهالى احتمال الحكم البيزنطى بسبب الاضطهادات الدينية وقد كان الروم أنفسهم منقسمين إلى أحزاب[1] هذه هى الحالة التى كانت عليها مصر قبل الفتح الإسلامى .

---

(١) راجع فتح مصر فى كتاب الخلافة للاستاذ موير ص ١٥٨ ، طبعة سنة ١٩٢٤ .

ولما استوثق عمر بن الخطاب رضى الله عنه من قول عمرو بن العاص عقد له على ٤٠٠٠ رجل كلهم من قبيلة عك[1] وقال له : سر وأنا مستخير الله فى مسيرك وسيأتيك كتابى سريعاً إن شاء الله تعالى فإن أدرك كتابى آمرك بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو شيئاً من أرضها ، وإن دخلتها قبل أن يأتيك كتابى فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره ، فسار عمرو بن العاص فى جوف الليل ولم يشعر به أحد من الناس ، إلا أن عمر تخوف على المسلمين إذ لابد أنه قدر أنه سيحارب أمة عددها عشرة ملايين ، فكتب إلى عمرو بن العاص أن ينصرف بمن معه من المسلمين فأدرك الكتاب عمراً وهو بقرية قال لها رفح على تخوم سوريا ومصر إلى جنوبى غزة فتخوف عمرو بن العاص إن هو أخذ الكتاب وفتحه يجد فيه الانصراف كما عهد إليه فلم يستلم من الرسول الكتاب وصار يدافعه حتى نزل العريش عنها وعن أى أرض تكون فقيل له إنها من مصر فدعا بالرسول وقرأ الكتاب على المسلمين ثم قال هيا بنا إطاعة لأمر أمير المؤمنين وقد فتح عمرو العريش بلا كبير عناء لأن حصونها لم تكن منيعة ولقلة الحامية التى كانت بها وكان فتحها فى آخر ديسمبر سنة ٦٣٩م ذى الحجة سنة ١٨ هـ ، ثم جدوا فى المسير حتى بلغوا الفرما[2] فحاصرها المسلمون شهراً وهم يقاتلون الروم ثم افتتحوها فى ٢٠ يناير سنة ٦٤٠م وواصلوا زحفهم إلى سنهور وتنيس (صان) ثم إلى بلبيس[3] وكانت حصينة كان بها ابنة المقوقس فأرسلها عمرو إلى أبيها معززة مكرمة فوقع ذلك لديه أحسن

---

(١) ذكر أيرفنج أن عدد الجيش كان ٥٠٠٠ مقاتل .

(٢) الفرما مدينة وميناء بمصر شرقى بورسعيد على بعد عشرين ميلا منها ، وقد كانت مفتاح مصر من جهة الشام وكان لها شأن كبير فى الحرب التى نشبت بين الفرس ومصر .

(٣) بلبيس بمديرية الشرقية وكان نابليون وهم حصونها لما قدم مصر .

موقع وكانت خسارة الروم ببلبيس عظيمة والذى تعرض لجيش المسلمين هناك أرطبون الذى فر من الشام وظلت بلبيس تقاوم شهراً .

ذكر الواقدى أن المقوقس زوج ابنته أرومانوسة قسطنطين بن هرقل (وهو قسطنطين الثالث تولى بعد موت أبيه سنة ٦٤١) وجهزها بأموالها وجواريها وغلمانها وحشمها لتسير إليه حتى يبنى عليها فى مدينة قيسارية وهم محاصرون لها فخرجت إلى بلبيس وأقامت بها حاجبها الكبير فى ألفى فارس إلى الفرما ليحفظ الطريق ولا يدع أحداً من الروم ولا غيرهم يعبر إلى مصر وبعث المقوقس رسله إلى أطراف بلاده مما يلى الشام أن لا يتركوا أحداً يدخل أرض مصر مخافة أن يتحدثوا بغلبة المسلمين على الشام فيدخل الرعب فى قلوب عساكرهم ، فلما قدم عمر بن الخطاب الجابية وسار عمرو بن العاص إلى مصر نزل على بلبيس وبها أرمانوسة ابنة المقوقس فقاتل من بها وقتل منهم زهاء ألف فارس وأسر ثلاثة آلاف وانهزم من بقى إلى المقوقس وأخذت أرمانوسة وجميع مالها وسائر ما كان للقبط فى بلبيس فأحب عمرو ملاطفة المقوقس فسير إليه ابنته أرمانوسة مكرمة فى جميع مالها مع قيس بن أبى العاص السهمى فسر بقدومها .

موقعة عين شمس

شعبان سنة ١٩ هـ (يولية سنة ٦٤٠ م)

اغفل كثير من المؤرخين موقعة عين شمس على أهميتها كما أنهم أغفلوا تفاصيل الزحف على الفيوم .

كانت مدينة عين شمس من أشهر مدن القطر المصرى بيد أنه لم تكن لها أهمية حربية عند الفتح الإسلامى غير أنها كانت صالحة للقتال فالمياه واصلة

إليها ومن السهل تموين الجيش فيها وكانت ممتدة إلى المطرية ولذلك اهتم بها عمرو بن العاص .

بلغ عدد جيوش المسلمون فى موقعة عين شمس ١٥٠٠٠ مقاتل ، أما الروم فقد جمع القائد تيودور جنوده لطرد المسلمين من عين شمس وقد بلغ عددهم ٢٠٠٠٠ عدا جند الحصون وعلى ذلك كانوا يفوقون عدد جنود المسلمين بكثير .

وكان عمرو بن يقصد بنزوله عين شمس محاربة الروم فى العراء بعيداً عن الحصون ، ولما أيقن تيودور أنه أصبح قادراً على الهجوم ، سار نحو عين شمس ومعه الفرسان والمشاة وكان على الفرسان تيودسيوس واناستاسيوس وبث عمرو العيون فأخبروه بخطة العدو ومسيرة فقسم جيشه إلى ثلاث أقسام ، قسم عسكر بعين شمس تحت قيادته وقسم بأم دنين (جهة الأزبكية) وقسم بالتلال الواقعة جهة القلعة الآن تحت قيادة خارجه بن حذافة وبذلك انحصر الجيش الرومانى بين قوتين من جيش العرب وذلك للاطباق عليه عند صدور الأوامر وهذه الخطة لم يكن يعلمها الجيش الرومانى وغاية ما عرفوه أن جيش المسلمين زاحف من عين شمس للقائهم وعلى ذلك التقى الجيشان فى العباسية فى منتصف المسافة بين معسكر عين شمس وأم دنين فاقتتلا قتالا شديداً علما منهما أن نتيجة هذه الموقعة تقرير مصير مصر .

وبينما كانت رحى القتال دائرة بشدة هجمت الفرقة التى تحت قيادة خارجة جهة التلال وانقضت كالصاعقة على الجيش الرومانى الذى وقع بين القوتين فاختل نظامه واضطرب واتجه نحو أم دنين فالتقى بجيش العرب هناك حيث وقعت الكارثة فالتجأ بعضهم إلى الحصن بطريق البر وفر البعض الآخر بقوارب إلى حصن بابليون لكن أكثرهم قتل واستولى المسلمون على أم دنين

مرة أخرى وقتلت حاميتها عن آخرها عدا ٣٠٠ نجوا وتمكنوا من دخول حصن بابليون واغلقوا الأبواب عليهم ولكنهم لما سمعوا بما آل إليه أمر جيشهم من القتل فروا من الحصن فى القوارب حتى وصلوا نقيوس[1] ثم استولى المسلمون على ضفاف النهر شمالى الحصن وجنوبه ونقلوا معسكرهم من عين شمس إلى الفسطاط .

ولما شاع خبر انتصار المسلمين أخلى الجيش الرومانى الفيوم ليلاً وساروا إلى أبواط ومن هناك إلى كريون بالقوارب من غير أن يخبروا أهل أبواط بأنهم اخلوا الفيوم للعدو ، ولما علم عمرو بذلك أرسل جيشاً فعبر النيل واحتل الفيوم وأبواط .

وكانت موقعة عين شمس فى شهر يولية سنة ٦٤٠م واستمرت حتى فتح الفيوم خمسة عشر يوماً .

فتح حصن بابليون

٢١ ربيع الثانى سنة ٢٠ هـ (٩ أبريل سنة ٦٤١م)

كتب عمرو بن العاص إلى عمر يخبره بالفتح ويطلب منه المدد والحقيقة أن عمراً لما سار إلى مصر كان يعلم أن جيشه لم يكن كافياً لفتحها وأنه إذا طلب المدد من الخليفة أمده ، وعلى ذلك أمده بأربعة آلاف وصار يمده حتى بلغ عدد جيشه ١٢٠٠٠ .

وكان قائد حامية بابليون رجلا يسمى الأعيرج أجمع مؤرخو العرب أن المقوقس كان بالحصن وقت الحصار ويقدر الأستاذ بتلر عدد جنود الحامية من ٥٠٠٠ إلى ٦٠٠٠ مجهزين بكل ما يلزم من المؤن .

(١) نيقوس قرية بين الفسطاط والاسكندرية .

بدأ عمرو يحاصر حصن بابليون أو قصر الشمع[1] فى سبتمبر سنة ٦٤٠م وهو أقوى حصن بعد الاسكندرية بناه الفرس وقت استيلائهم على مصر وكان أمام مدينة منف التى كانت مقراً للمقوقس على شاطئ النيل أمام جزيرة الروضة[2] .

توجد بقايا هذا الحصن فى مصر القديمة وهو مبنى بالطوب والحجر يبلغ سمك جدرانه نحو ثمانية أقدام وقد كشف الباب العمومى ماكس هرتز باشا حتى ظهر للعيان وهو بالجنوب ويُرى فى جنوب الحصن وشرقيه برجان وسطهما ذلك الباب الحديدى العظيم وليس فى الجانب الغربى برج ، ويوجد باب للحصن من جهة النيل ، أما ارتفاع الحيطان فيبلغ ٦٠ قدما حسب ما دل عليه الحفر وإن كان الحصن الآن تحت الردم على عمق ٣٠ قدما لكن البروج مرتفعة.

لم يكن العرب مجهزين بالمعدات اللازمة لمهاجمة هذا الحصن المنيع فأمده عمر بأربعة آلاف رجل وكتب إليه «إنى قد وجهت معك جماعة من فرسان العرب كل واحد منهم مقوّم بمائة فارس فإذا أتاك كتابى هذا فخطب الناس وحضهم

(١) ذكر الواقدى أن الذى بنى قصر الشمع اسمه الريان بن أرسلان وكان هذا القصر يوقد عليه الشمع فى رأس كل شهر وذلك أنه إذا حلت الشمس فى برج من البروج أوقد فى تلك الليلة الشمع على رأس ذلك القصر فيعلم الناس بوقود الشمع أن الشمس انتقلت من البرج الذى كانت فيه إلى برج آخر غيره .

(٢) لجلال الدين السيوطى كتاب سماه كوكب الروضة اطال فيه القول على هذه الجزيرة ، ويؤخذ من قول المقريزى أن هذه الجزيرة كانت تجاه قصر الشمع وإليها التجأ المقوقس وماء النيل يحيط بها وسبب استحكامها قربها من العاصمة وبها من الآثار القديمة مقياس النيل وقد تحصن بها الروم ، وأقاموا بها مدة طويلة وبعد ذلك تركوها فخرب عمرو بعض أبراجها وأسوارها وكانت عامرة بالناس والمزارع .

على القتال ورغبهم فى الصبر والبراز للقتال عند زوال الشمس من يوم الجمعة فإنها ساعة إجابة» .

وكان على رأس كل ألف من الأربعة آلاف الذين أرسلهم عمر رجل وهم الزبير بن العوام والمقداد بن الأسد وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد وقال له عمر «اعلم أنه صار معك اثنا عشر ألفا ولا تُغلب الاثنا عشر ألفا من قلة» .

وهنا نلاحظ اختلاف المؤرخين فبعضهم يقول إن فتح بابليون كان قبل موقعة عين شمس وبعضهم يذكرهم بعده ، كذلك هم مختلفون فى تاريخ وصول المدد الذى كان فيه الزبير وهل وصل إلى حصن بابليون أو كان أول وصوله إلى عين شمس .

فلما أتى كتاب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص جمع المؤمنين وقرأ عليهم كتاب الخليفة فبرزوا للقتال وتسلق الزبير الحصن بواسطة سلم على حين غفلة من الروم فلم يشعروا إلا وقد دهمهم المسلمون فأخذوا فى الفرار وعمد الزبير وأصحابه إلى باب الحصن ففتحوا الحصن(١) .

مفاوضات الصلح

أكتوبر سنة ٦٤٠ م

لما حاصر المسلمون حصن بابليون وقاتلوهم شهراً وعليهم المقوقس ورأوا الجد من العرب على فتحه حادث المقوقس جماعة من الرؤساء وتم الاتفاق على الخروج من الحصن فخرجوا والمقوقس معهم وتركوا القائد ويطلق عليه مؤرخوا العرب اسم الأعيرج ويقول الاستاذ بتلر ولعله تحريف جورج ولحقوا بالروضة

(١) قال الأستاذ بتلر : أما ما كان يعمله قواد الروم طول فصل الشتاء ولماذا سمحوا للمسلمين بالتغلب شيئا فشيئا على مقاومة حصن بابليون فهذا ما لا يمكن الإجابة عليه.

فأرسل المقوقس إلى عمرو إنكم قد ولجتم فى بلادنا والححتم على قتالنا وطال مقامكم فى أرضنا وإنما أنتم عصبة يسيرة وقد أظلتكم الروم وجهزوا إليكم ومعهم من العدة والسلاح وقد أحاط بكم هذا النيل وإنما أنتم أسارى فى أيدينا فابعثوا إلينا رجالا منكم نسمع من كلامهم فلعله أن يأتى الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون نحب وينقطع عنا وعنكم القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه ولعلكم إن تندموا إن كان الأمر مخالفا لطلبتكم ورجائكم فابعثوا إلينا رجالا من أصحابكم نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شئ .

فلما أتت عمرو بن العاص رسل المقوقس حبسهم عنده يومين وليلتين حتى خاف عليهم المقوقس ، فقال لأصحابه أترون أنهم يقتلون الرسل ويستحلون ذلك فى دينهم ! وإنما أراد عمرو بذلك أن يروا حالة المسلمين فرد عليهم عمرو مع رسله أنه ليس بينى وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال إما أن دخلتم فى الإسلام وكنتم إخواننا وكان لكم ما لنا، وإن أبيتم فاعطيتم الجزية عن يد وأنتم صاغرون، وإما أن جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين . فلما جاءت رسل المقوقس إليه قال كيف رأيتم هؤلاء ؟ قالوا رأينا قوما الموت أحب إلى أحدهم من الحياة والتواضع أحب إلى أحدهم من الرفعة ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة إنما جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم وأميرهم كواحد منهم ما يعرف رفيعهم من وضيعهم لا السيد منهم من العبد ، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد . يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون فى صلاتهم ، فقال عند ذلك المقوقس والذى يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها وما يقوى على قتال هؤلاء أحد ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبوا بعد اليوم إذا مكنتهم الأرض وقووا

على الخروج من موضعهم ، فرد إليهم المقوقس رسله ابعثوا إلينا رسلا منكم نعاملهم ونتداعى نحن وهم إلى ماعساه أن يكون فيه صلاح لنا ولكم .

فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر أحدهم عبادة بن الصامت[1] وكان طوله عشرة أشبار ، وأمره أن يكون متكلم القوم ولا يجيبهم إلى شئ دعوه إليه إلا إحدى هذه الثلاث خصال فإن أمير المؤمنين قد تقدم إلى فى ذلك وأمرنى أن لا أقبل شيئاً سوى خصلة من هذه الثلاث خصال ، وكان عباد أسود . فلما ركبوا السفن إلى المقوقس ودخلوا عليه تقدم عبادة فهابه المقوقس لسواده وقال نحوا عنى هذا الأسود وقدموا غيره يكلمنى ، فقالوا جميعا إن هذا الأسود أفضلنا رأياً وعلماً وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا وإنما نرجع جميعا إلى قوله ورأيه ، وقد أمره الأمير دوننا بما أمره وأمرنا أن لا نخالف رأيه وقوله . وقال وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم وإنما ينبغى أن يكون هو دونكم. قالوا كلا إنه وإن كان أسود كما ترى فإنه أفضلنا موضعاً وأفضلنا سابقة وعقلا ورأياً وليس ينكر السواد فينا .

فقال المقوقس لعبادة تقدم يا أسود وكلمنى برفق فإنى أهاب سوادك وإن اشتد كلامك علىّ ازددت هيبة ، فتقدم عبادة فقال سمعت مقالتك وإن فيمن خلفت من أصحابى ألف رجل أسود كلهم أشد سواداً منى وأفظع منظراً ولو

---

(١) عبادة بن الصامت الأنصارى الخزرجى شهد العقبة الأولى والثانية وكان نقيباً على قوافل بنى عوف بن الخزرج وآخى رسول الله وبينه وبين أبى مرثد الغنوى وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله واستعمله النبى ﷺ على بعض الصدقات وكان يعلم أهل الصفة القرآن ، ولما فتح المسلمون الشام أرسله عمر بن الخطاب وأرسل معه معاذ بن جبل وأبا الدرداء ليعلموا الناس القرآن يفقهوهم فى الدين وأقام عبادة بحمص وكان طويلا جسيما جميلا .

رأيتهم لكنت أهيب لهم منك لى وأنا قد وليت وأدبر شبابى مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوى لو استقبلونى جميعاً وكذلك أصحابى . وذلك إنما رغبتنا وهمتنا الجهاد فى الله واتباع رضوانه وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة فى الدنيا ولا طلب لاستكثار منها إلا أن الله عز وجل قد أحل لنا ذلك وجعل ما غنمنا من ذلك حلالا وما يبالى أحدنا إن كان له قنطار من ذهب أم كان لا يملك إلا درهما لأن غاية أحدنا من الدنيا أكله يأكلها يسد بها جوعه لليلة ونهاره وشملة يلتحفها فإن أحدنا لو لم لا يملك إلا ذلك كفاه ، وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه فى طاعة الله واقتصر على هذا الذى بيده ، ويبلغه ما كان فى الدنيا لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ورخاءها ليس برخاء وإنما النعيم والرخاء فى الآخرة وبذلك أمرنا الله وأمرنا به نبينا وعهد إلينا أن لا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا ما يمسك جوعته ؛ ويستر عورته وتكون همته وشغله فى مرضاته وجهاد عدوه .

فلما سمع المقوقس ذلك منه ، قال لمن حوله ، هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط ؟ لقد هبت منظره وإن كلامه لأهيب عندى من منظره . إن هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض . ما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها ثم أقبل المقوقس على عبادة بن الصامت فقال له : أيها الرجل الصالح قد سمعت مقالتك وما ذكرت عنك وعن أصحابك ولعمرى ما بلغتم إلا بما ذكرت وما ظهرتم على ظهرتم عليه إلا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها وقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده ، قوم معروفون بالنجدة والشدة ما يبالى أحدهم من لقى ، وإنا لنعلم أنكم لم تقدروا عليهم ولم تطيقوهم لضعفكم ولقلتكم وقد أقمتم بين أظهرنا أشهراً وأنتم فى ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ونحن نرق عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بين أيديكم ونحب لطيب أنفسنا أن

نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين ولأميركم مائة دينار ولخليفتكم ألف دينار فتقبضونها وتنصرفون إلى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قبل لكم به . فقال عبادة بن الصامت : « يا هذا لا تغرن نفسك ولا أصحابك ، أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لا نقوى عليهم فلعمرى ما هذا بالذى تخوفنا بالذى يكسرنا عما نحن فيه وإن كان ما قلتم حقا فذلك والله أرغب ما يكون فى قتالهم وأشد لحرصنا عليهم لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا إذا قدمنا عليه إن قتلنا عن آخرنا كان أمكن لنا فى رضوانه وجنته وما شئ أقر لأعيننا ولا أحب لنا من ذلك . وأنا منكم حينئذ لعلى احدى الحسنين إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم أو غنيمة الأخرى إن ظفرتم بنا ولأنها أحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منا وإن الله عز وجل قال لنا فى كتابه ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ﴾ وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحا ومساء إن يرزقه الشهادة وإن لا يرده إلى بلده ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده وليس لأحد منا هم فيم خلفه وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده وإنما همنا ما أمامنا .

وأما قولك أنا فى ضيق وشدة من معاشنا وحالنا ، فنحن فى أوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن عليه فانظر الذى تريد فبينه لنا فليس بيننا وبينك خصلة نقبلها منك ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث فاختر أيتها شئت ولا تطمع نفسك فى الباطل . بذلك أمرنى الأمير وبها أمره أمير المؤمنين وهو عهد رسول الله ﷺ من قبل إلينا . أما إن أجبتم إلى الإسلام الذى هو الدين القيم الذى لا يقبل الله غيره وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته أمرنا الله تعالى أن نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه ، فإن فعل كان له ما لنا وعليه ما علينا وكان أخانا فى دين الله . فإن قبلت ذلك أنت

وأصحابك فقد سعدتم فى الدنيا والآخرة ورجعنا عن قتالكم ولم نستحل إذاكم ولا التعرض لكم وإن أبيتم إلا الجزية فأدوا إلينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون وأن نعاملكم على شئ نرضى به نحن وأنتم فى كل عام أبداً بقينا وبقيتم ونقاتل عنكم من ناوأكم وعرض لكم فى شئ من أرضكم ودمائكم وأموالكم ونقوم بذلك عنكم إذا كنتم فى ذمتنا وكان لكم به عهداً علينا . وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت عن آخرنا أو نصيب منكم ما نريد ، هذا ديننا الذى ندين الله تعالى به ولا يجوز لنا بيننا وبينه غيره فانظروا لأنفسكم» .

فقال المقوقس : هذا ما لا يكون أبداً ، ما تريدون إلا أن تتخذونا عبيداً ما كانت الدنيا ، فقال له عبادة : هو ذاك فاختر لنفسك ما شئت . فقال المقوقس : ألا تجيبونا إلى خصلة غير هذه الثلاث خصال ؟ فرفع عبادة يديه إلى السماء ، فقال لا ورب هذه السماء ورب هذه الأرض . ورب كل شئ ما لكم عندنا خصلة غيرها فاختاروا لأنفسكم .

فالتفت المقوقس عند ذلك إلى أصحابه فقال : قد فرغ القوم ، فما ترون ؟ فقالوا : أو يرضى أحد بهذا الذل . أما ما أرادوا من دخولنا فى دينهم فهذا لا يكون أبداً إن نترك دين المسيح ابن مريم وندخل فى دين غيره لا نعرفه ، وأما ما أرادوا أن يسبونا ويجعلونا عبيداً فالموت أيسر من ذلك لو رضوا منا أن نضعف لهم ما أعطيناهم مراراً كان أهون علينا .

فقال المقوقس لعبادة : قد أبى القوم فما ترى ؟ فراجع صاحبك على أن نعطيكم فى مرتكم هذه ما تمنيتم وتنصرفون ، فقال عبادة وأصحابه : لا ، فقال المقوقس عند ذلك لأصحابه ـ أطيعونى وأجيبوا إلى خصلة من هذه الثلاث فوالله ما لكم بهم طاقة ولئن لم تجيبوا إليها طائعين لتجيبنهم إلى ما هو أعظم كارهين. فقالوا وأى خصلة نجيبهم إليها ؟ قال إذن أخبركم . أما دخولكم فى

غير دينكم فلا آمر به . وأما قتالهم فانا أعلم أنكم لن تقووا عليهم ولن تصبروا صبرهم ولابد من الثالثة ، قالوا فنكون لهم عبيداً أبداً ، قال نعم ، تكونون عبيداً مسلطين فى بلادكم آمنين على أنفسكم وأموالكم وذراريكم خير لكم من أن تموتوا عن آخركم وتكونوا عبيداً تباعوا وتمزقوا فى البلاد مستبعدين أبداً أنتم وأهليكم وذراريكم قالوا فالموت أهون علينا.

لما يئس المقوقس ومن فر معه إلى الروضة من الاتفاق على الصلح ورفض جنود الروم التسليم رفضاً باتاً ، أمروا بقطع الجسر الذى بين الروضة والحصن وكان من سفن متلاصقة بجانب بعضها واستمر المسلمون يحاصرون الحصن سبعة أشهر حتى فتحوه ويقال أن الذين قتلوا من المسلمين دفنوا فى أصل الحصن ثم اضطر المقوقس والروم أن يمضوا شروط الصلح التى بقيت على ماهى عليه ولم يغيرها عمرو بن العاص ورضوا بالجزية ثم رحل المقوقس إلى الاسكندرية تاركاً بابليون وأرسل إلى الامبراطور بما تم آسفاً على اضطراره إلى عقد الصلح مع العرب والتمس منه الموافقة على الصلح حتى تخلص البلاد من شرور الحرب فأرسل إليه هرقل يوبخه على ما كان منه وقال فى كتابه (إنما أتاك من العرب اثنا عشر ألفا وبمصر من بها من كثرة عدد القبط ما لا يحصى فإن كان القبط كرهوا القتال وأحبوا أداء الجزية إلى العرب واختاروهم علينا فإن عندك بمصر من الروم وبالاسكندرية ومن معك أكثر من مائة ألف معهم العدة والقوة والعرب حالهم وضعفهم على ما قد رأيت فعجزت عن قتالهم ورضيت أن تكون ومن معك من الروم فى الحال القبط أن لا تقاتلهم أنت ومن معك من الروم حتى تموت أتظفر عليهم ... إلخ).

فلما ورد كتاب الامبراطور إلى المقوقس لم يرض أن يخرج مما دخل فيه من الصلح وقال لعمرو إنما سلطانى على نفسى ومن أطاعنى وقد تم الصلح

فيما بيننا وأنا متم لك على نفسى والقبط متمون لك على الصلح الذى صالحتهم عليه ثم طلب من عمرو وبعض أمور منها أنه إن مات يأمر بدفنه فى كنيسة أبى خنش بالاسكندرية فأجابه عمرو إلى ما طلب .

هذا ما كان من الفتوح فى عهد عمر بن الخطاب - ومدته لا تزيد عن عشر سنوات ، ففتحت فارس كلها ووقف المسلمون من جهة الشرق على نهر السند ونهر جيحون فلم يتعدوهما فى عصره، وفتحت بلاد الشام ومصر وأديرت هذه البلاد على مقتضى العدل الإسلامى فتقبل الناس حكمه مسرورين لأنه قد أزال عنهم جبروت الملوك وعسف الجبابرة .

وكانت حياة عمر ممتازة بكثير من الميزات التى جعلتها أساساً عظيماً لكثير من المدنية الإسلامية هذا الرجل العظيم الذى ساس العرب سياسة لم تعرف لغيره من سائر الناس متأسياً فى ذلك برسول الله ﷺ وصاحبه أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

نبذة من مسانيده

قد روى عمر بن الخطاب رضوان الله عليه عن النبى ﷺ تحريه امتناعه من الرواية حدثنا كثيراً فذكر له نقى بن مخلد خمسمائة حديث وسبعة وثلاثين حديثاً .

وقال أبو نعيم الأصبهانى : أسند عمر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ من المتون سوى الطرق مائتى حديث ونيفاً ، فأما الذى أخرج له فى الصحاح فإنه أخرج له فى الصحيحين أحد وثمانون حديثاً المتفق عليه من ذلك ستة وعشرون حديثاً .

وانفرد البخارى بأربعة وثلاثين ومسلم بأحد وعشرين[١] .

بعض أحاديث عمر

الحديث الأول :

عن علقمة بن وقاص الليثى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنهُ قال : «سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوىَ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ماهاجر إليه» .

أخرجاه فى الصحيحين ولا يعرف هذا الحديث إلا من حديث يحيى بن سعيد ولا يثبت عن أحد من الصحابة إلا عن عمر [٢].

الحديث الثانى :

عن ابن عمر رضى الله عنه أنه قال للنبى ﷺ : «أرأيت مانعمل فيه أقد فرغ منه أو فى شئ مبتدأ أو أمر مبتدع ؟» قال : (فيما فُرغ منه) فقال عمر :

---

(١) جاء فى ترجمة عمر بن الخطاب فى كتاب «الرياض المستطابة» (ص ١٥٢) : «أخرج له الشيخان واحداً وثمانين حديثاً ، اتفقا فى ستة وعشرين ، وانفرد البخارى بأربعة وثلاثين ، ومسلم بواحد وعشرين ، خرج عنه الأربعة وغيرهم ، وروى عنه بنوه عبد الله ، وعاصم ، وحفصة ، ومولاه أسلم ، وابن عباس وغيرهم» وراجع الاصابة ترجمة رقم (٥٧٣٢) وجامع المسانيد (٥٣٨,٤) لعبد الباقى .

(٢) صحيح : أخرجه البخارى فى «بدء الوحى» (١) وفى «الإيمان» وفى «العتق» وفى «الطلاق» وفى «المناقب» وفى «النكاح» وفى «الأيمان والنذور» وفى «الحيل» ومسلم (١٩٠٧) وأبو داود (٢١٨٦) والترمذى (١٦٩٨) والنسائى (١/٦٠٠٨) وابن ماجة (٤٢٢٧) وابن خزيمة (١٤٢) وأحمد (١/٢٥) والدارقطنى (١/٥١) والبيهقى (١/٥٩٨ و٢/١٤ و٤/١١٢ و٥/٣٩) والبغوى (١) .

«ألا نتكلُ؟» فقال : (اعمل يابن الخطاب فكل ميسرٌ لما خلق له ، أما من كان من أهل السعادة فيعمل للسعادة وأما من كان من أهل الشقاء فيعمل للشقاء)[1].

الحديث الثالث :

عن أحد بنى العباس رضى الله عنهم[2] قال : حدثنى عمر بن الخطاب رضوان الله عليه لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : «فلان شهيد وفلان شهيد وفلان شهيد» حتى مروا برجل فقالوا : «فلان شهيد» فقال رسول الله ﷺ : (كلا إنى رأيته يجر إلى النار فى عباءة غلّها أخرج يا عمر فناد فى الناس لا يدخل الجنة إلا المؤمنون) فخرجت فناديت إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون[3] .

الحديث الرابع :

عن أبى تميم أنه سمع عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتعود بطانا)[4].

---

(١) إسناده صحيح أخرجه أحمد (١٩٦) وعبد الرزاق (٢٠٠٦٣) وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر رحمه الله وانظر «الفتح» (٤٢١/١١) ، وقد رواه البخارى (٥٧٥/٨) و (٤٢٠/١١) فتح ومسلم (٢٦٤٧) والترمذى (٢٣٤٤) وأحمد (١٣٧/١) والبغوى (٧٢) عن على بن أبى طالب ، ورواه مسلم (٢٦٤٨) والبغوى (٧٤) عن سراقة بن مالك .

(٢) هو عبد الله بن عباس .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (١١٤) والدرامى وأحمد (٢٠/١ ـ ٤٧) والبيهقى فى «الشعب» (٤٠٢٢) وفى «السنن» (١٠٠/٩ ـ ١٠١) ، وأخرجه المتن البخارى (٤٣٦/١١) ومسلم (١١١) عن أبى هريرة .

(٤) صحيح : أخرجه أحمد (٢٠٥ ، ٣٧٠) والترمذى (٢٤٤٧) وابن ماجة (٤١٦٤) وابن

الحديث الخامس :

عن أبي سنان الدؤلي أنه دخل على عمر بن الخطاب رضوان الله عليه وعنده نفير من المهاجرين الأولين رضى الله عنهم فأرسل عمر سفط أتى به من قلعة من العراق وكان فيه خاتم فأخذه بعض بنيه فأدخله فى فيه فانتزعه عمر منه ثم بكى عمر فقال له من عنده : لم تبكى وقد فتح الله عليك وأظهرك على عدوك وأقر عينك.

فقال عمر : «إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا تفتح الدنيا على أحد إلا ألقى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة» وأنا أشفق من ذلك[1].

الحديث السادس :

عن النعمان بن بشير عن عمر رضوان الله عليه قال : «رأيت رسول الله ﷺ يلتوى مايجد ما يملأ بطنه من الدَّقَل»[2] .

الحديث السابع :

عن عبد الرحمن بن عبد القارئ قال : سمعت عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال : «كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحى يُسمَع عند وجهه دوىٌ

المبارك فى «الزهد» (٥٥٩) والقضاعى فى «مسند الشهاب» (١٤٤٤) وابن حبان (٧١٩) والحاكم (٣١٨/٤) وأبو نعيم فى «الحلية» (٦٩/١٠) وصححه الشيخ الألبانى فى «الصحيحة» (٣١٠).

(١) إسناده حسن : أخرجه أحمد (١٦/١) وابن أبى عاصم فى «الزهد» (٢٧٦) وقال الهيثمى فى «المجمع» (١٢٢/٣) - ٢٣٦/١٠) رواه البزار وأبو يعلى وإسناده حسن.

(٢) صحيح : أخرجه أحمد (١٥٩ - ٣٥٣) ومسلم (٢٩٧٨) وابن ماجة (٤١٤٦) والدقل : الردئ من التمر ويابسه .

كدويّ النحل ، فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة فرفع يديه فقال : (اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تُهنَّا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تُؤثر علينا وارضَ عنَّا وأرضنا) ثم قال (لقد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة) ثم قرأ : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ حتى ختم العشر (١).

الحديث الثامن :

عن أبى العلاء الشامى قال : لبس أبو أمامة ثوباً جديداً فلم يبلغ ترقوته قال : «الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى واتجمل به فى حياتى» ثم قال : «سمعت عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يقول : قال رسول الله ﷺ : (من استجد ثوباً فلبسه فقال حين يبلغ ترقوته الحمد لله كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى حياتى ثم عمد إلى الثوب الذى خلق أو قال ألقى فتصدق به كان فى ذمة الله وفى جوار الله وفى كنف الله حياً أو ميتاً) (٢).

الحديث التاسع :

عن سالم عن أبيه عن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : «من قال فى سوق لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك، وله الحمد بيده الخير، يحى ويميت، وهو على كل شئ قدير، كتب الله بها ألف ألف حسنة ومحى عنه بها

---

(١) إسناده ضعيف : أخرجه عبد الرزاق (٦٠٣٨) وأحمد (٢٤/١) وعبد بن حميد (١٥) والترمذى (٣١٧٣) والحاكم (٣٩٢/٢) والبغوى (١٢٧٦) وقال الحاكم : صحيح الاسناد، وتعقبه الذهبى بقوله : سئل عبد الرزاق عن شيخه فقال : أظنه لاشئ .

(٢) ضعيف : أخرجه أحمد (٤٤/١) والترمذى (٢٧٥/٤) وابن ماجة (٣٥٥٧) والحاكم (١٩٣/٤) وضعفه الشيخ أحمد شاكر (٣٠٥) والشيخ الألبانى فى «ضعيف ابن ماجه» (٧٨٢) و«المشكاة» (٤٣٧٤).

ألف ألف سيئة بنى له بيتاً فى الجنة»[1].

الحديث العاشر :

عن عثمان بن عبد الله بن سراقة العدوى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : «من أظلَّ رأس غاز أظله الله يوم القيامة ومن جهز غازياً حتى يستقلَّ بجهازه ، كان له مثلُ أجر. ومن بنى مسجداً يُذكر فيه اسم الله تعالى بنى الله عز وجل له بيتاً فى الجنة»[2].

كلامه فى الزهد والرقائق

عن ثابت بن الحجاج قال : قال عمر رضوان الله عليه : «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا نفوسكم قبل أن توزنوا ، أهون عليكم فى الحساب غداً أن تحاسبوا نفوسكم اليوم وتزينوا للعرض الأكبر ﴿ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾ [3].

عن جابر بن عبد الله قال : رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى يدى لحماً . معلقاً قال : «ماهذا يا جابر ؟ قلت : اشتهيت لحماً فاشتريته فقال عمر : «كلما اشتهيت اشتريت ! أما تخاف هذه الآية : ﴿ أذهبتم طيباتكم فى

---

(١) حسن : والاسناد ضعيف . أخرجه أحمد (٤٧/١) والترمذى (٣٤٢٨) وابن ماجة (٢٢٣٥) وابن السنى (١٨٢) وعبد بن حميد (٢٨) ، وحسنه الألبانى بطرقه فى «صحيح الجامع» (٦٢٣١).

(٢) ضعيف : أخرجه أحمد (٥٣/١) وعبد بن حميد (٣٤) ابن حبان (٧٠/٧) إحسان و (١٦٥٤) موارد - والحاكم (٨٩/٢) والبيهقى فى «السنن» (١٧٢/٩) وفى «الشعب» (٣٩٧١) وضعفه الشيخ الألبانى فى «ضعيف الجامع» (٥٥٥٧) .

(٣) أخرجه ابن المبارك فى «الزهد» (٣٠٦) وابن أبى شيبة وأحمد فى «الزهد» (ص ١٤٩) وسعيد بن منصور كما فى «الكنز» (٢٠٨/٨) .

حياتكم الدنيا ﴾ (١).

عن الحسن قال دخل عمر رضوان الله عليه على ابنه عبد الله وإذا عنده لحم فقال : ما هذا اللحم ! ؟ قال : اشتهيته قال : وكلما اشتهيت شيئاً أكلته كفى بالمرء شراً أن يأكل كل ما اشتهى»(٢) .

عن الحسن قال : مر عمر رضوان الله عليه على مزبلة فاحتبس عندها فكأن أصحابه تأذوا بها فقال : «هذه دنياكم التى تحرصون عليها» (٣).

عن الأحنف بن قيس قال : قال عمر : «يا أحنف من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن كثر من شئ عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه»(٤).

عن عبد الله الشيبانى قال : قال عمر لابنه : «يابنى اتق الله يقك واقرض الله يجزك ، واشكره يزدك ، واعلم أنه لا مال لمن لا رفق له ولا جديد لمن لا خلق له ولا عمل لمن لانية له ».

عن يزيد قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن ومن كتم سره كانت الخيرة فى يده وضع

(١) أخرجه مالك (ص ٩٣٦) وأحمد فى «الزهد» (١٥٣) والبيهقى فى «الشعب» (٥٢٨٤).

(٢) أخرجه أحمد فى «الزهد» (ص ١٥٢) وهو مرسل .

(٣) أخرجه أحمد فى «الزهد» (ص ١٤٧) وأبو نعيم فى «الحلية» (٤٨/١) وهو مرسل.

(٤) أخرجه الطبرانى فى «الأوسط» (٢٢٨٠) وابن أبى الدنيا فى «العلم» (١٢٦) وفى «الصمت» (٥٣ - ٢٩٤) وابن حبان فى «العقلاء» (ص ٤٤) والبيهقى فى «الشعب» (٤٦٤٠ و ٤٦٦٤) والخطيب فى «الجامع» (٩٥٣) وقال الهيثمى فى «المجمع» (٣٠٢/١٠) فيه داود بن مجاشع لا أعرفه وبقية رجاله ثقات .

أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغليك ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك المسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً وما كافأت به من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه ، وعليك باخوان الصدق فكثر في اكتسابهم فانهم زين في الرخاء وعُدة عند عظيم البلاء ولاتهاون في الحلف فيهتك الله سترك»[١].

عن مجاهد قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «ثلاثة يصفين لك وُدّ أخيك أن تسلم عليه إذا لقيته وأن توسع له المجلس وأن تدعوه بأحب أسمائه إليه وثلاثة من الغي أن تجد على الناس فيما تأتي وأن ترى من أخيك أو من الناس ما يخفى عليك من نفسك وأن تؤذى جليسك فيما لا يعنيك واعزل عدوك واحتفظ من خليلك إلا الأمين فإن الأمين من القوم لا يعادله أي شئ ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره ولا تفش إليه سرك واستشر في أمرك، الذين يخشون الله عز وجل»[٢].

وعن وديعة الأنصاري قال : قال سمعت عمر بن الخطاب رضوان الله عليه وهو يعظ رجلا وهو يقول : لا تتكلم فيما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين ولا أمين إلا من يخشى الله عز وجل ولا تمشى مع الفاجر فيعلمك ولا تطلعه على سرك ولا تشاور في أمرك إلا الذين يخشون الله عز وجل[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود في «الزهد» (٨٩) واسناده ضعيف .

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٣٩٩) وابن أبي عاصم في «الزهد» (٩١) وابن الدنيا في «الصمت» (١٢١) وابن حبان في «العقلاء» (ص ٩٠) وأبو نعيم في «الحلية» (٥٥/١) والبيهقي في «الشعب» (٤٦٤١) وهو مرسل .

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في «الزهد» (٤٦) ابن أبي شيبة (١٥٢/٨) عن وديعة ، وأخرجه ابن أبي شيبة (١٤٦/٨) وأبو داود في «الزهد» (١٠٤) وأبو نعيم (٥٥/١) عن ابن شهاب وهو مرسل .

عن أبى حازم قال : قال أبو عبيدة : كان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يقول :«كفى بك عيباً أن يبدو لك من أخيك ما يخفى عليك من نفسك وأن تؤذى جليسك بما تأتى مثله» .

عن أبى نجيح عن أبيه قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «إنى أحب أن يكون الرجل فى أهله كالصبى فإذا احتيج إليه كان رجلاً».

عن ابن سلام قال : بينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذات يوم يمشى وبين يديه رجل يخطر ويقول : «أنا ابن بطحاء مكة كديها وكدائها[1] فوقف عليه عمر رضوان الله عليه فقال : «إن يكن لك دين فلك كرم وإن يكن لك عقل فلك مروءة وإن يكن لك مال فلك شرف وإلا فأنت والحمار سواء» .

عن عبد الله بن عبيد قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «يا معشر المهاجرين ، لا تكثروا الدخول على أهل الدنيا فإنها مسخطة للرزق»[2].

عن مجاهد قال : قال عمر رضوان الله عليه : «أيها الناس ، إياكم والبطنة من الطعام ، فإنها مكسلة عن الصلاة ، مفسدة للجسد ، مورثة للسقم ، وإن الله عز وجل ، يبغض الحبر السمين ، ولكن عليكم بالقصد فى قوتكم ، فإنه أدنى من الاصلاح وأبعد من السرف وأقوى على عبادة الله عز وجل ، ولن يهلك عبد حتى يؤثر شهوته على دينه[3].

عن مالك بن الحارث قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «التؤدة فى كل شئ خير ، إلا ماكان من أمر الآخرة»[4].

---

(١) جبالها وسهولها .

(٢) أخرجه ابن المبارك فى «الزهد» (٧٦٠) .

(٣) مرسل .

(٤) سيأتى قريبا إن شاء الله .

عن هشام عن أبيه قال عمر رضوان الله عليه : «تعلموا أن الطمع فقر ، وأن اليأس غنى ، وأن المرء إذا يئس من شئ ، استغنى عنه[1].

عن عون بن عبد الله قال : «جالسوا التوابين ، فإنهم أرق أفئدة»[2].

عن عمير بن واصل قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : «إذا كان الرجل مقصراً فى العمل ابتلى بالهم ليكفر عنه».

عن عبيد الله بن عمير عن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال : «لا ينبغى لمن أخذ بالتقوى ووزن بالورع أن يذل لصاحب الدنيا .

عن عمران بن عبد الرحمن قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه: «عليكم بذكر الله فإنه شفاء وإياكم وذكر الناس فإنه داء[3].

عن سعيد بن المسيب قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «مامن امرئ مسلم يأتى فضاء من الأرض فيصلى فى الضحى ثم يقول «اللهم لك الحمد، أصبحت عبدك على عهدك ووعدك خلقتنى ولم أك شيئاً استغفرك لدينى فإنى قد أرهقتنى ذنوبى وأحاطت بى إلا أن تغفرها فاغفرها يا أرحم الراحمين إلا غفر الله له فى ذلك المقعد ذنبه وإن كان مثل زبد البحر[4].

عن حفص بن عاصم قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : خذوا بحظكم من العزلة[5].

(١) أخرجه ابن المبارك فى «الزهد» (٩٩٨) وأحمد (١/٥٠) .

(٢) أخرجه وكيع (٢٧٩) وابن المبارك (١٣٢) وهناد (٨٩٤) وأحمد (ص ١٤٩) كلهم فى «الزهد» ، وابن حبان فى «العقلاء» (ص ٣١) وأبو نعيم (١/٥١) وفيه انقطاع .

(٣) ابن أبى الدنيا فى «الصمت» (٦٥٤) وأحمد فى «الزهد» (ص ١٢٢).

(٤) مرسل .

(٥) أخرجه ابن المبارك (١١) فى «زوائد الزهد» وابن أبى عاصم فى «الزهد» (٨٤) وابن حبان فى «العقلاء» (ص ٨١) وفيه انقطاع.

وعن محمد بن سيرين رحمه الله قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «احذر أن تجعل لك كثير حظ من أمرك دنياك إذا كنت ذا رغبة فى أمر آخرتك»(١).

عن أبى عبد الله الخراسانى قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه: «من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون(٢) .

عن على بن حسين قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه «ماجرع عبد جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ .

عن الأجلح قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «إنى لأعلم أجود الناس وأحلم الناس ، أجود الناس من أعطى من حرمه وأحلم الناس من عفى عمن ظلمه .

عن إسماعيل بن خالد قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «كونوا أوعية للكتاب وينابيع للعلم ، وسلو الله رزق يوم بيوم وعدوا أنفسكم فى الموتى ، ولا يضركم أن لا يكثر لكم»(٣).

عن نافع قال : سمعت ابن عمر يحدث قال : بلغ عمر بن الخطاب رضوان الله عليه أن يزيد بن أبى سفيان يأكل ألوان الطعام فقال لغلام له يقال له يرفأ : «إذا حضر طعامه فاعلمنى» ، فلما حضر طعامه جاء فأعلمه فأتى عمر رضوان الله عليه واستأذن فأذن له فدخل فجاء بلحم فأكل عمر رضى الله

---

(١) مرسل .

(٢) أخرجه أبو داود فى «الزهد» (١٠٥) واسناده ضعيف .

(٣) اسناده منقطع .

عنه معه منه ثم قرب شواء فبسط يده فكف عمر يده ثم قال : «يا يزيد بن أبى سفيان ، أطعام بعد طعام ! والذى نفس محمد بيده لئن خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم[1] .

عن عبد الرحمن بن غنم قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «ويل لديان من فى الأرض من ديان من فى السماء يوم يلقونه إلا من أمر بالعدل وقضى بالحق ولم يقض على هوى ولا قرابة ولا رغب ولا رهب وجعل كتاب الله مرآة بين عينيه[2].

عن هشام بن عروة قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «إذا رأيتم الرجل يضيع من الصلاة فهو لغيرها من حق الله أشد تضيعاً».

عن عبد الله بن سليمان أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال : «أى الناس أفضل ؟ » قالوا : «المصلون» قال : «إن المصلى يكون براً وفاجراً» قالوا : «الصائمون» قال : «إن الصائم يكون براً وفاجراً» قالوا : «المجاهدون فى سبيل الله» قال : «إن المجاهد يكون براً وفاجراً» قال عمر رضوان الله عليه : «لكن الورع فى دين الله يستكمل طاعة الله عز وجل» .

عن مجاهد قال : كتب إلى عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ، يا أمير المؤمنين رجل لا يشتهى المعصية ولا يعمل بها أفضل أم رجل يشتهى المعصية ولا يعمل بها ؟ فكتب عمر رضوان الله عليه : «إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها ، أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر كريم»[3].

---

(١) أخرجه ابن المبارك فى «الزهد» (٥٧٨) وفيه انقطاع .

(١) أخرجه البيهقى فى «سننه» (١١٧/١٠).

(٢) مرسل .

وعن عطارد بن عجلان قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «أوشك أن يقبض هذا العلم قبضاً سريعاً فمن كان عنده منه شئ فلينشره غير الغالى فيه ولا الجافى عنه»(١).

عن عدى بن سهيل الأنصارى قال قام عمر فى الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وقال : أما بعد فإنى أوصيكم بتقوى الله الذى يبقى ويفنى سواه والذى بطاعته ينفع أولياءه ويضر بمعصيته أعداءه فإنه ليس لهالك هلك عذر فى بعض ضلالة حسبها هدى ولا ترك حق حسبة ضلالة قد ثبتت الحجة وانقطع العذر ولا حجة لأحد على الله عز وجل إلا أن أحق ماتعاهد الراعى رعيته أن يتعاهدهم بالذى لله عز وجل عليهم من وظائف دينهم الذى هداهم به وإنما علينا أن نأمركم بالذى أمركم الله من طاعته وأن ننهاكم عما نهاكم الله عنه من معصيته وأن نقيم أمر الله فى قريب الناس وبعيدهم لا نبالى على من مال الحق ليتعلم الجاهل ويتعظ المفرط وليقتدى المقتدى وقد علمت أن أقواماً منهم من يقول بما أمر به وفعله متولٍ عن ذلك .

وأن أقواماً يتمنون فى أنفسهم ويقولون نحن نصلى مع المصلين ونجاهد مع المجاهدين وننتحل الهجرة ونقاتل العدو وكل ذلك يفعله أقوام لا يحتملونه بحقه فإن الإيمان ليس بالتمنى ولكنه بالحقائق فمن قام على الفرائض وسدد نيته وخشيته فذالكم الناجى ومن ازداد اجتهاداً وجد عند الله مزيداً وأن الجهاد سنام العمل وإنما المهاجرون الذين يهجرون السيئات ومن يأتى بها ويقول أقوام جاهدوا وإنما الجهاد فى سبيل الله اجتناب المحارم مع مجاهدة العدو وأن الأمر جد فجدوا .

---

(١) منقطع .

وقد تقاتل أقوام لا يريدون غير الأجر وآخرون لا يريدون غير الذكر وأن الله عز وجل رضى منكم باليسير وأثابكم على اليسير الكثير ، الوظائف الوظائف أدوها تؤد بكم إلى الجنة ، ألسنّة السنّة ، أكرموها تُنجكم من البدعة تعلموا ولا تعجزوا فإنه من عجز تكلف وأن شرار الأمور محدثاتها وأن الاقتصاد فى السنة خير من الاجتهاد فى الضلالة فافهموا ماتوعظون به فإن الحريب[1] من حرب دينه وأن السعيد من وعظ بغيره وأن الشقى من شقى فى بطن أمه وعليكم بالسمع والطاعة فإن الله قضى لهما بالعز وإياكم والمعصية والتفرق فإن الله قضى لهما بالذل وأن الناس نفرة عن سلطانهم فعائذ بالله أن تدركنى»[2].

عن الأعمش ابن إبراهيم قال : سمع عمر بن الخطاب رضوان الله عليه رجلاً يقول : «اللهم إنى استنفق نفسى ومالى فى سبيل الله عز وجل قال عمر : أفلا يسكت أحدكم فإن ابتلى صبر وإن عوفى شكر»[3].

عن عبد الله بن عبيد قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : لا تدخلوا على أهل الدنيا فإنه مسخطة فى الرزق[4].

عن محمد بن مرة البسرى قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : الزهد فى الدنيا راحة القلب والبدن[5].

(١) الحريب : أى السليب ـ من سُلب دينه .

(٢) أخرجه الطبرى.

(٣) أخرجه فى «الحلية» (١/٥١) وهو منقطع .

(٤) أخرجه ابن المبارك (٧٦٠) وسبق فى (ص ١٨٠).

(٥) أخرجه ابن المبارك فى «الزهد» (٥٩٣) عن بقية بن الوليد ، وهو منقطع وأخرجه الطبرى فى «الأوسط» عن أبى هريرة مرفوعاً ، وقال الهيثمى فى «المجمع» (١٠/٢٨٦) فيه أشعث بن نزار لم أعرفه وبقية رجاله وثقوا على ضعف فى بعضهم .

عن حبيب بن أبى ثابت قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : عليكم بالغنيمة الباردة والصوم فى الشتاء وقيام الليل فى الصيف.

وعن عمر رضوان الله عليه قال : تعاهدوا الرجال فى الصلاة فإن كانوا مرضى فعودوهم وإن كانوا غير ذلك فعاتبوهم .

عن أبى فراس قال : قال عمر رضوان الله عليه : أيها الناس إنما كنا نعرفكم إذ بين أظهرنا رسول الله ﷺ وإذ ينزل الوحى وينبئنا الله من أخباركم فقد ذهب رسول الله ﷺ وانقطع الوحى وإنما نعرفكم بها فأقول لكم : «من أظهر منكم خيراً ظننا به خيراً وأحببناه عليه ومن أظهر منكم شراً ظننا به شراً وأبغضناه عليه سرائركم بينكم وبين ربكم ألا وأنه قد أتى على حين وأنا من قرأ القرآن إنم يريد الله وماعنده وقد خيل إلى باخرة أن رجالاً يقرأونه يريدون به ماعند الناس فأريدوا الله بقراءتكم وأعمالكم(١).

عن عبد الله بن حكيم قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : إنه لحلم أحب إلى الله من حلم إمام ورفقه ولا جهل أبغض إلى الله من جهل إمام وخرقه ومن يعمل بالعفو بين ظهرانيه تأته العافية من فوقه ومن ينصف الناس من نفسه يعطى الظفر فى أمره والذل فى الطاعة أقرب إلى البر من التعزز فى المعصية(٢).

عن سلمة بن شهاب العبدى قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أيها الرعية إن لنا عليكم حقاً النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير وأنه ليس شئ

---

(١) أخرجه هناد فى «الزهد» (٨٧٧) وأبو نعيم (٢٥١/٩) والحاكم (٤٣٩/٤) والبيهقى (٤٢/٩) وأخرجه البخارى (٢٥١/٥) .

(٢) أخرجه هناد فى «الزهد» (١٢٧٩) .

أحب إلى الله تعالى وأعم نفعاً من حلم إمام ورفقه وليس شئ أبغض إلى الله تعالى من جهل إمام وخرقه(١).

عن سفيان رضى الله عنه قال : «كتب عمر رضوان الله عليه إلى أبى موسى : أن الحكمة ليست من كبر السن ولكنه عطاء الله يعطيه من يشاء فإياك ودناءة الأمور»(٢).

عن عروة عن أبيه قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فى خطبته: الطمع فقر وأن المرء إذا أيس من شئ استغنى عنه ، وفى رواية : عليكم باليأس مما فى أيدى الناس فما ييئس عبد من شئ إلا استغنى عنه وإياكم والطمع فإن الطمع فقر»(٣).

عن العلاء بن المسيب قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون وتواضعوا لمن تعلمون منه ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم(٤).

وعن مجاهد قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «يا أهل العلم القرآن ، لا تأخذوا للعلم والقرآن ثمناً فتسبقكم الدناءة إلى الجنة»(٥).

---

(١) مرسل .

(٢) ابن أبى الدنيا والدينورى كما فى «الكنز» (٨/٢٣٥) وهو منقطع .

(٣) أخرجه ابن المبارك فى «الزهد» (٦٣١) وأبو نعيم (١/٥٠) .

(٤) أخرجه وكيع (٧٥) وأحمد (ص ١٤٩) كلاهما فى «الزهد» وابن أبى شيبة ، وأبو نعيم (٦/٣٤٢) والخطيب فى «الجامع» (١/٩٢) وابن عبد البر فى «العلم» (ص ٢١٤) قال الألبانى : ضعيف جداً .

(٥) أخرجه الخطيب فى «الجامع» .

عن قيس بن أبى حازم قال : قدمنا على عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فقال : «من مؤذنكم ؟ فقلنا : عبيدنا وموالينا بيده يقبلها عبيدنا وموالينا إن لكم بكم لنقص شديد لو أطقت الأذان مع الخلافة لأذنت»(١).

عن أبى عثمان النهدى قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الشتاء غنيمة العابدين(٢).

عن الحسن رحمه الله قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «إن خفق النعال خلق الأحمق قلما يبقى من دينه» (٣).

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : كان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يأمرنا أن نعلق نعالنا بشمائلنا ونمشى حفاة ، قال : وكان يعلق نعليه ويمشى من القرية إلى القرية حافياً .

عن النعمان بن بشير قال : سئل عمر رضوان الله عليه عن التوبة النصوح فقال : «التوبة النصوح ، أن يتوب الرجل من العمل السئ ، ثم لا يعود أبداً»(٤).

عن زيد بن الأصم قال سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يقول: «أستغفر الله وأتوب إليه ، فقال : ويحك اتبعها أختها فاغفر لى وارحمنى»(٥).

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٨٦٩ - ١/٤٨٦) وابن أبى شيبة (١/١٥١) والبيهقى (١/٤٣٢).

(٢) أخرجه أبو نعيم (١/٥١).

(٣) مرسل .

(٤) أخرجه هناد (٩٠١) وابن جرير (٢٨/١٠٧) وابن أبى شيبة (١٣/٢٧٩) وأبو داود فى «الزهد»(٦١) والحاكم (٢/٤٩٥) والبيهقى فى «الشعب» (٧٠٣٤) ورجاله ثقات .

(٥) أخرجه أحمد فى «الزهد» .

ما تمثل به من الشعر

عن سفيان الثورى رحمه الله قال : بلغنى أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه كان يتمثل :

لا يغرنـك عِشـاء سـاكن قد يوافى بالمسيات السحر[1]

عن معاذ بن جبل عن أبيه قال : قلما خطبنا عمر بن الخطاب رضوان الله عليه إلا قال : إنَّ شرخ الشباب والشعر الأسود مالم يُعاص كان جنوناً.

عن مسروق قال : خرج علينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذات يوم وعليه قطر فنظر إليه الناس نظراً شديداً فقال :

لا شئ فيما تـرى إلا بشاشـته يبقى الإله ويودى المـال والولـد

لم تغن عن هُرمُز يومـاً خزائنه والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولا سليمان إذ تجرى الرياح له والأنس والجن فيما بينـها تـرد

أين الملوك التى كانـت نوافلهـا من كل أوب إليهـا راكـب يفـد

حوضا هنالك مروداً بلا كـذب لابد من ورده يومـا كمـا وردوا[2]

عن عمر المدينى قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ماوجدت لأبى بكر مثلا إلا ما قاله أو تمثله السلمى :

من يسـع كى يدرك أفعالـه يجتهـد السـد بأرض فضـاء

والـلـه لا يـدرك أفعالـه نو منزر رضـاف ولا نو رداء

---

(١) منقطع .

(٢) مرسل ـ رواه ابن جرير فى «التاريخ» (٥/٢٩).

عن أبى عبيدة قال بلغنى عن ثابت البنانى رحمه الله عن أنس أن عمر رضوان الله عليه كان يتمثل :

لا تأخـذوا عقـلاً من القـوم إننى أرى الجرح يبقى والمعاقل تذهب

عن الأصمعى قال : ما قطع عمر أمراً إلا تمثل ببيت من الشعر .

عن الشعبى قال : كان عمر شاعراً .

فى فنون من أخباره

عن محمد بن سيرين رحمه الله قال : كان عمر رضوان الله عليه قد اعتراه نسيان فى الصلاة فجعل رجل خلفه يلقنه فإذا أومأ إليه أن يسجد أو يقوم فعل[1] .

عن يحيى بن جعدة قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : «لولا أنى أسير فى سبيل الله أو أضع جنبى لله فى التراب أو أجالس أو أجاور قوماً يلتقطون طيب القول كالملتقط طيب الثمر لأحببت أن أكون قد لحقت بالله[2].

عن ابن سعد قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : «والله ما أدرى أنا خليفة أم ملك ؟ فإن كنت مهلكاً فهذا أمر عظيم ! » فقال قائل : يا أمير المؤمنين إن بينهما فرقاً : قال : «ماهو ؟ » قال : الخليفة لا يأخذ إلا حقاً ولا يضعه إلا فى حق وأنت بحمد الله كذلك والملك يعسف الناس فيأخذ من هذا ويعطى هذا فسكت عمر [3].

---

(١) أخرجه ابن سعد (٣/٢١٧) وهو مرسل .

(٢) أخرجه أبو نعيم (١/٥١) وهو مرسل .

(٣) أخرجه ابن سعد (١/٢٢٢) منقطع .

عن الزهرى قال : كنا جلساء عمر أهل القرآن كهولا كانوا أو شباناً[1].

عن محمد بن المنكدر قال : مر عمر بن الخطاب رضوان الله عليه بحفارين يحفرون قبر زينب بنت جحش رضى الله عنها فى يوم صائف فضرب عليهم فسطاطاً فكان أول فسطاط ضرب على قبر .

عن عبد الله بن بريدة قال : ربما أخذ عمر بن الخطاب رضى الله عنه بيد الصبى فيجئ به فيقول له : «ادع لى فإنك لم تذنب بعد» .

عن محمد قال : كان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يشاور حتى المرأة[2].

عن يحيى بن سعيد قال : أمر عمر بن الخطاب رضوان الله عليه حسين بن على رضوان الله عليهم أن يأتيه فى بعض الحاجة قال حسين فلقيت عبد الله بن عمر فقلت له : من أين جئت ؟ قال استأذنت على عمر رضى الله عنه فلم يأذن لى فرجع حسين فلقيه عمر فقال : «مامنعك يا حسين أن تأتينى ؟ قال : قد أتيتك ولكن أخبرنى عبد الله بن عمر أنه لم يؤذن له عليك فرجعت فقال عمر رضوان الله عليه : «أنت عندى مثله ! وهل أنبت الشعر على الرأس غيركم»[3].

عن إبراهيم بن سعد قال : سمعت أبى يحدث عن أبيه قال : رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه أحرق بيت خمّار يقال له رشيد قال : وكان يقدم إليه فكأنى أنظر إلى بيته فحمة حمراء .

عن أبى مجلز قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «ما أبالى

---

(١) منقطع .

(٢) أخرجه البيهقى (١٠/١١٣) مرسلاً .

(٣) منقطع .

على ما أصبحت على ما أحب أو على ما أكره لأنى لا أدرى الخيرة لى فيما أحب أو ما أكره»[(١)].

عن أبى عمران الجونى قال : مر عمر بن الخطاب رضوان الله عليه بدير راهب فناداه : «ياراهب» قال : فأشرف عليه فجعل عمر رضوان الله عليه ينظر إليه .

عن أبى عمران الجونى قال : مر عمر بن الخطاب رضوان الله عليه بدير راهب فناداه : «ياراهب» قال : فأشرف عليه فجعل عمر رضوان الله عليه ينظر إليه ويبكى فقيل : «يا أمير المؤمنين ما يبكيك من هذا ؟ قال : ذكرت قول الله عز وجل ﴿ عاملة ناصبة تصلى نارا حامية ﴾ فذلك الذى أبكانى[(٢)].

عن ابن عمر أن عمر رضوان الله عليه لم يكن يكبر حتى يسوى الصفوف ويوكل رجلا بذلك [(٣)].

عن أبى عثمان النهدى قال : رأيت عمر بن الخطاب رضوان الله عليه إذا أقيمت الصلاة يستدبر القبلة ثم يقول ، تقدم يا فلان تأخر يا فلان ، سووا صفوفكم فإذا استوى الصف أقبل على القبلة وكبر .

عن ابن عمر قال : تعلم عمر بن الخطاب رضوان الله عليه سورة البقرة فى ثنتى عشرة سنة فلما ختمها نحر جزوراً [(٤)].

---

(١) أخرجه ابن أبى الدنيا فى «الفرج بعد الشدة» (١٥) وفى «الرضا عن الله» (ص ٦٨) وابن المبارك فى «الزهد» (١٤٣) وأبو داود فى «الزهد» (١٠٧) واسناده ضعيف .

(٢) أخرجه هناد فى «الزهد» (١٢٤٣) واسناده منقطع .

(٣) أخرجه الترمذى تعليقا وعبد الرزاق (٢٤٣٩) موصولا .

(٤) أخرجه ابن سعد (١٢١/٤).

عن أنس قال : كان يُطرح لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه الصاع من التمر فيأكله حتى حشفه [1].

عن سويد بن غفلة قال : كان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يغلس بالفجر وينور[2] ويصلي بين ذلك ويقرأ سورة هود وسورة يوسف ومن قصار المثاني من المفصل [3].

عن سالم عن أبيه أن رجلاً قال لرجل : والله فما أنا بزان ولا ابن زان فرفع ذلك إلى عمر رضوان الله عليه فضربه الحد تاماً [4].

قال معمر عامة علم ابن عباس من ثلاثة عمر وعلى وأبى بن كعب .

عن يوسف بن يعقوب الماجشون قال : قال لى ابن شهاب ولأخ لى وابن عمر لى ونحن صبيان أحداث : «لا تحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم فإن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا نزل به الأمر دعا الصبيان فاستشارهم يبتغى حدة عقولهم [5].

عن الحسن قال : كان رجل لا يزال يأخذ من لحية عمر بن الخطاب الشئ قال فأخذ يوماً من لحيته فقبض عمر رضوان الله عليه على يده فإذا ليس فى يده شئ فقال : «إن الملق من الكذب من أخذ من لحية أخيه المؤمن شيئاً

---

(١) مالك (٩٣٣) وابن أبى شيبة (١٣/٢٧٩) وابن سعد (٣/٢٤٢) والبيهقى فى «الشعب» (٥٢٨٧).

(٢) بنور أى يُسفر بالفجر حتى نور الصباح .

(٣) أخرجه البيهقى .

(٤) أخرجه عبد الرزاق والبيهقى .

(٥) أخرجه ابن عبد البر فى «العلم» (ص ٢٥١).

فليره إياه»(1).

عن الحسن أن عمر رضوان الله عليه كان يذكر الأخ من إخوانه بالليل فيقول يا طولها من ليلة فإذا صلى الغداة غدا إليه فإذا لقيه التزمه أو اعتنقه (2).

عن عبد الله بن خليفة عن عمر رضوان الله عليه أنه انقطع شِسع نعله فاسترجع وقال : كل ما ساءك مصيبة .

عن أبى بكرة قال : وقف أعرابى على عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فقال :

يا عمر الخير جزيت الجنة   أكس بنياتى وأمهنه

أقسمت بالله لتفعلنه

قال : فإن لم أفعل يكون ماذا» ؟ قال :

إذا أبا حفص لأذهبنه

قال : «فإذا ذهبت يكون ماذا ؟» قال :

يكون على حالى لتسألنه   يوم يكون الأعطيات هنه

إما إلى نار وإما جنة

قال فبكى عمر رضوان الله عليه حتى أخضل(3) لحيته وقال لغلامه «يا غلام أعطه قميصى هذا لذلك اليوم لا لشعره» ثم قال : «والله ما أملك غيره» .

عن الأوزاعى قال : بلغنى أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه سمع صوت بكاء فى بيت فدخل ومعه غيره فمال عليهم ضرباً حتى بلغ النائحة

(1 ، 2) مرسل .

(3) أخضل لحيته أى ابتلت .

فضربها حتى سقط خمارها وقال : «اضرب فإنها نائحة لا حرمة لها إنها لا تبكى لشجوكم إنما تهريق دموعها على أخذ دراهمكم إنها تؤذى أمواتكم فى قبوركم وأحياءكم فى دورهم إنها تنهى عن الصبر الذى أمر الله به وتأمر بالجزع الذى نهى الله عنه» (١).

فى ذكر كلامه

عن يحيى بن عبد الملك أن عمر رضوان الله عليه قال : «لا مال لمن لا رفق له ولا جديد لمن لا خلق له ».

عن محمد بن سيرين عن أبيه قال : «شهدت مع عمر بن الخطاب رضوان الله عليه المغرب فأتى على ومعى رُزيمة لى فقال : «ما هذا معك ؟ فقلت : رزيمة لى أقوم فى هذا السوق فأشترى وأبيع فقال : يا معشر قريش لا يغلبنكم هذا وأصحابه على التجارة فإنها ثلث الملك» ، وفى حديث آخر : «لا يغلبنكم هذا وأشباهه على التجارة فإن التجارة ثلث الإمارة».

عن جوّاب التيمى عن المعرور بن سويد قال : عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم فقد وضح الطريق فاستبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالاً على المسلمين (٢).

عن الحسن قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : من اتجر فى شئ ثلاث مرات فلم يصب فيه شيئاً فليتحول إلى غيره(٣).

---

(١) منقطع .

(٢) أخرجه البيهقى فى «الشعب» (١١٦٣) وابن عبد البر فى «العلم» (٢٩٩) واسناده حسن وأخرجه أبو نعيم (٦/٢٨٢) نحوه من قول سفيان الثورى .

(٣) مرسل .

عن شيخ من قريش قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه لو كنت تاجراً ما اخترت على العطر شيئاً إن فاتنى ربحه لم تفتنى ريحه[1] .

عن سعيد بن المسيب قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «نعم الرجل فلان لولا بيعه ، فقيل لسعيد بن المسيب : وما كان يبيع ؟ قال الطعام قال : ويبيع الطعام ناس ؟ قال : فلما باعه الرجل إلا ودّ للناس الغلاء»[2].

عن الأكدر العارض قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «تعلموا المهنة فإنه يوشك أن يحتاج أحدكم إلى مهنة .

عن أبى بكر بن عبد الله قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «مكسبة فيها بعض الدناءة خير من مسألة الناس.

عن ذكوان قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : إذا اشترى أحدكم جملاً فليشتر عظيماً سميناً طويلا فإن أخطاه خيره لم يخطئه سوقه».

عن الأحنف بن قيس قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «تفقهوا قبل أن تسودوا»[3].

عن الأحنف بن جحادة قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : «أعقل الناس أعذرهم لهم ».

عن كهمس بن الحسن أن رجلاً تنفس عند عمر رضوان الله عليه كأنه

---

(١) اسناده ضعيف .

(٢) مرسل .

(٣) أخرجه البخارى (١/١٣٥) معلقاً ووصله الدرامى (٢٥٠) والبيهقى فى «الشعب» (١٥٤٩) وابن عبد البر (ص ١٤١) والخطيب فى «الفقيه» (٢/٧٨) وقال الحافظ فى «الفتح» (١/١٣٥) ووصله ابن أبى شيبة بإسناده صحيح .

يتحارن فلكزه أو قال : فلكمه .

عن زيد بن وهب قال رأى عمر رضوان الله عليه قوماً يتبعون أناساً قال : فرفع عليهم الدرة فقال : «يا أمير المؤمنين اتق الله فقال : أما علمت أنها فتنة للمتبوع مذلة للتابع(١).

عن مجاهد قال : كان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ينهى أن يعرض الحادى بذكر النساء وهو محرم (٢).

عن سالم عن أبيه أن غيلان بن سلمة الثقفى أسلم وتحته عشر نسوة فقال له النبى ﷺ (أختر منهن أربعاً) فلما كان فى عهد عمر رضوان الله عليه طلق نساءه وفرق ماله بين بنيه فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فقال: إنى لأظن الشيطان فيما يسترق السمع سمع بموتك فقذفه فى نفسك وأجلك أن لا تمكث إلا قليلاً وأيم الله لتراجعن نساءك ولترجعن فى مالك أو لأورثهن منك أو لآمرن بقبرك فيرجم كما رجم قبر أبى رغال(٣).

عن أبى عثمان قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يأتى على الناس زمان يكون صالح الحى من لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إن غضبوا غضبوا لأنفسهم وإن رضوا رضوا لأنفسهم لا يغضبون لله ولا يرضون لله عز وجل .

عن النعمان بن بشير قال : سمعت عمر بن الخطاب رضوان الله عليه

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى «زوائد الزهد» (٤٨) والدرامى (٥٢٣) والخطيب فى «الجامع» (٣٩٥/١/٩٢٤).

(٢) منقطع .

(٣) أخرجه النسائى ورواته ثقات ، والدارقطنى (١٠٤/٢٧١/٣) والبيهقى (١٨٣/٧).

يقول : ﴿وإذا النفوس زوجت﴾ قال : «الفاجر مع الفاجر والصالح مع الصالح»[1].

وسمعت عمر يقول : «التوبة النصوح أن يخشى الرجل العمل السوء كان يعمله فيتوب إلى الله ثم لا يعود إليه أبداً فتلك التوبة النصوح[2].

عن إبراهيم قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : إياكم والمعاذير فإن كثيراً منها كذب[3].

عن الشعبى قال : أتى عمر بن الخطاب رجل فقال : إن ابنة لى قد كنت وأدتها فى الجاهلية فاستخرجناها قبل أن تموت فأدركت معنا الإسلام فأسلمت فأصابها حد من حدود الله فأخذت الشفرة لتذبح نفسها وأدركناها وقد قطعت بعض أوداجها فداويناها حتى برأت ثم أقبلت بعد توبة حسنة وهى تُخطب إلى قوم[3] أفأخبرهم بالذى كان ؟ فقال عمر رضوان الله عليه : أتعمد إلى ماستره الله فتبديه والله لئن أخبرت بشأنها أحداً من الناس لأجعلنك نكالاً لأهل الأمصار انكحها نكاح العفيفة المسلمة»[4].

عن سعيد بن إبراهيم قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للخرق فى المعيشة أخوف عندى عليكم مع القول أنه لا يبقى مع الفساد شئ ولا يقل

---

(١) أخرجه الطبرى (٣٠/٤٤) والحاكم (٢/٥١) وأخرجه أبو داود ونحوه (٦٣) وأخرجه البخارى معلقاً .

(٢) أخرجه هناد فى «الزهد» (١٣٧٩) وفيه انقطاع .

(٣) أخرجه وكيع (٤٦٥) وهناد (١٤٣٦) وهو مرسل .

(٤) أخرجه هناد فى «الزهد» (١٤٠٩) وسعيد بن منصور (٨٦٦) والبيهقى (٧/١٥٥) وفيه انقطاع .

مع الصلاح شئ[1].

عن حبش بن الحارث النخعى عن أبيه وكان شهد القادسية قال : رجعنا من القادسية فكان أحدنا تنتج فرسه من الليل فإذا أصبح ذبحُ مهرها فبلغ ذلك عمر رضوان الله عليه فكتب إلينا : أن أصلحوا مارزقكم الله فإن فى الأمر نفساً[2].

عن أبى العالية قال : قال عمر رضوان الله عليه يكتب للصغير حسناته ولا يكتب عليه سيئاته .

عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «أدنوا الخيل وتسوكوا وانتضلوا واقعدوا فى الشمس ولا يجاورنكم الخنازير ولا يرفع صليب ولا تاكلوا فى مائدة يشرب عليها الخمر وإياكم وأخلاق العجم ولا يحل لمؤمن أن يدخل الحمام إلا بمئزر ولا يحل لامرأة تدخل الحمام إلا من سقم فإن عائشة حدثتنى قالت : «حدثنى خليلى رسول الله ﷺ على مفرشى هذا قالت : إذا وضعت المرأة خمارها فى غير بيت زوجها هتكت ستر ما بينها وبين الله قال : وكان يكره أن يصور الرجل نفسه كما تصور المرأة نفسها وأن لا يزال كل يوم مكتحلا وأن يحف[3] لحيته وشاربه كما تحف المرأة[4].

---

(١) أخرجه الطبرى (٢٨/١٠٧) وابن أبى شيبة (١٣/٢٧٩) وهناد فى «الزهد» (٩٠١) والحاكم (٢/٤٩٥) ورجاله ثقات .

(٢) أخرجه هناد فى «الزهد» (١٤٤١) ووكيع (٤٧٠)

(٣) يحف أى يأخذ من لحيته أو يزيلها كلها .

(٤) أخرجه عبد الرزاق (٢١٠١٢) والحديث رواه أحمد وابن ماجه والحاكم عن عائشة وهو صحيح ـ انظر «صحيح الجامع» (٢٧١٠).

عن المسيب بن دارم قال : سمع عمر رضى الله عنه سائلا وهو يقول : من يعشى السائل يرحمه الله قال : قال عمر : من يعشى السائل ؟ ثم دار إلى دار الإبل فسمع صوته وهو يقول : من يعشى السائل يرحمه الله، قال عمر رضوان الله عليه : ألم آمر أن تعشوا السائل قالوا : قد عشيناه قال : فأرسل إليه فإذا معه جراب مملوء خبزاً فقال : إنك لست سائلا أنت تاجر تجمع لأهلك قال: فأخذ بطرف الجراب ثم نبذه بين الإبل قال: وأحسبها كانت إبل الصدقة(١).

عن الأحنف عن قيس قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «من مزح استخف به»(٢).

عن ليث بن سعد أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال : هل تدرون لم سمى المزاح ؟ قالوا : لا قال : لأنه زاح عن الحق (٣).

عن معاوية بن قرة عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال : لن يُعطى أحد بعد كفر بالله عز وجل شيئاً شراً من امرأة حديدة اللسان سيئة الخلق لا ودود ولا ولود» ، وقال رسول الله ﷺ : أن منهن غنماً لا يجدى منه وأن منهن غلالاً يفادى منه.

عن أبى عثمان النهدى قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : أما فى المعاريض ما يغنى المؤمن عن الكذب! »(٤).

---

(١) مرسل .

(٢) أخرجه ابن أبى الدنيا فى «الصمت» (٣٩٢) وابن حبان فى «العقلاء» (ص ٦٤).

(٣) ابن الدنيا فى «الصمت» (٣٩٦) وهو منقطع .

(٤) أخرجه هناد فى «الزهد» (١٣٧٧) وابن أبى شيبة (٨/٧٢٣) والبيهقى فى «السنن» (١٠/١٩٩) وفى «الشعب» (٤٤٥٧) واسناده صحيح .

عن معاوية بن قرة أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال : «مايسرني بما أعلم من معاريض القول مثل أهلي ومالي ومثل أهلي ومالي»[1].

وعن أنس بن مالك [رضي الله عنه] قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «إن شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان»[2].

عن حفص بن عثمان قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : لاتشغلوا أنفسكم بذكر الناس فإنه بلاء وعليكم بذكر الله تعالى فإنه رحمة [3].

عن جعفر بن محمد عن أبيه رضي الله عنه قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «إنه ليعجبني الشاب الناسك نظيف الثوب طيب الريح».

عن محمد بن عبد الله القرشي عن أبيه قال : نظر عمر بن الخطاب إلى شاب قد نكّس رأسه فقال له : يا هذا إرفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على مافي القلب فمن أظهر للناس خشوعاً فوق ما في القلب فإنما أظهر للناس نفاقاً على نفاق .

عن عدى بن ثابت قال : قال عمر بن الخطاب : «أحبكم إلينا مالم نركم أحسنكم أسماء فإذا رأيناكم فأحبكم إلينا أحسنكم أخلاقاً فإذا اختبرناكم فأحبكم إلينا أصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة»[4].

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (ص ٢٥٨) وقال الشيخ الألباني في «صحيح الأدب» (٦٧٩) : صحيح الاسناد موقوفاً .

(٢) ابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٥٢) والبخاري في «الأدب المفرد» (ص ٢٥٦) وابن عبد البر في «العلم» (ص ٤٤٤) وقال الشيخ الألباني في «صحيح الأدب» (٦٧٢) : صحيح الاسناد .

(٣) أخرجه هناد في «الزهد» (١١١٠) وكذا أحمد (ص ١٢٢).

(٤) أخرجه ابن الدنيا في «الصمت» (٤٨٤).

عن عبد الرحمن بن عطية بن ولاف عن أبيه قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : «لا تنظروا إلى صيام امرئ ولا إلى صلاته ولكن انظروا إلى صدق حديثه إذا حدث وإلى ورعه إذا أشفى وإلى أمانته إذا أؤتمن[1].

عن عروة عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : «لا تنكحوا المرأة الرجل الذميم القبيح فإنهن يحببن لأنفسهن ما تحبون لأنفسكم.

عن أسلم قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «إذا تم لون المرأة شعرها فقد تم حسنها والغيرة احدى الوجهين .

عن عبد الله بن عدى الخيار قال : سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: «إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكمته[2] يقال له: انتعش أنعشك الله فهو فى نفسه صغير وفى أعين الناس عظيم وإذا تكبر وعتى وهصه الله إلى الأرض وقال: أخسأ خسأك الله فهو فى نفسه عظيم وفى أعين الناس حقير حتى يكون عندهم أحقر من الخنازير.«أخسأ بمعنى أبعد ووهصه بمعنى كسره»

عن أسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : «لا يتعلم العلم لثلاث ولا يترك لثلاث لا يتعلم ليمارى به ، ولا يباهى به ولا يرأى به ، ولا يترك حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضى بالجهل منه .

عن هشام عن أبيه قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «تعلموا أنسابكم لتصلوا أرحامكم»[3].

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» (٥٧/٣) والبيهقى فى «الشعب» (٤٥٤٦) وفى «السنن» (٢٨٨/٦) وسنده ضعيف .

(٢) حكمته أى قدره .

(٣) أخرجه البخارى فى «الأدب المفرد» (٧٢) وقال الشيخ الألبانى فى «صحيح الأدب» (٥٣) : حسن الاسناد وقد صح مرفوعا انظر «الصحيحة» (٢٧٧) .

وعن عمارة القعقاع قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «تعلموا من النجوم ما تهتدون بها وتعلموا من الأنساب ماتواصلون بها»(١).

عن عبد الله بن حنطب قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : «ما أخاف عليكم أحد رجلين مؤمن قد تبين إيمانه وكافر قد تبين كفره إنما أخاف عليكم منافقاً يتعوذ بالإيمان ويعمل بغيره »(٢).

عن زيد بن حدير قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «يهدم الإسلام زلة عالم وجدال منافق بالقرآن وائمة مضلون»(٣).

وعن هشام قال : قال عمر بن الخطاب رضى عنه « إن أخوف ما أخاف عليكم ثلاثة : منافق يقرأ القرآن لا يخطئ منه واواً ، يجادل الناس إنه أعلم منهم ليضلهم عن الهدى وزلة عالم ، وائمة مضلون(٤).

عن ابن عباس رضى الله عنه قال خطبنا عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فقال : «إن أخوف ما أخاف عليكم تغير الزمان وزيغة عالم وجدال منافق بالقرآن وأئمة مضلون ، يضلون الناس بغير علم(٥).

عن مسعود [رضى الله عنه] أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه خطب الناس بالجابية فقال : إن الله تعالى يضل من يشاء ويهدى من يشاء» فقال القس : الله أعدل أن يضل أحداً فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فبعث إليه : «بل الله أضلك ولولا عهدك لضربت عنقك».

(١) أخرجه هناد فى «الزهد» (٩٩٧) وابن عبد البر وفيه انقطاع .

(٢) أخرجه ابن عبد البر فى «العلم» (١٩٤/٢) .

(٣) أخرجه ابن المبارك (١٤٧٥) وأبو نعيم (١٩٦/٤) .

(٤) أخرجه ابن عبد البر فى «العلم» (ص ٤٣٩).

(٥) أخرجه أحمد (٣١) مرفوعاً وإسناده صحيح .

عن أبي وائل قال : كنا لخائفين فأهلّنا هلال شوال - يعني نهاراً - فمنا من صام ومنا من فطر فأتانا كتاب عمر رضوان الله عليه : «إن الأهلة بعضها أكبر من بعض فإذا رأيتم الهلال نهاراً فلا تفطروا إلا أن يشهد رجلان أنهما أهلاه بالأمس(١).

عن إبراهيم قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه لعتبة بن فرقد : «إذا رأيتم الهلال أول النهار فافطروا فإنه من الليلة الماضية وإذا رأيتموه من آخر النهار فأتموا صومكم فإنه لليلة المقبلة(٢).

عن إبراهيم قال : قال بلغ عمر بن الخطاب رضوان الله عليه أن قوماً رأوا الهلال بعد زوال الشمس فأفطروا فكتب إليهم عمر يلومهم وقال : «إذا رأيتم الهلال قبل زوال الشمس فافطروا وإذا رأيتموه بعد زوال الشمس فلا تفطروا»(٣).

عن أنس بن مالك [رضى الله عنه] قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «إن الرجف من كثرة الزنا وإن قحوط المطر من قضاة السوء وأئمة الجور.

عن حارثة بن مضرب قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : استعينوا على النساء بالعرى فإن احداهن إذا كثرت ثيابها وحسنت زينتها أعجبها الخروج».

عن حسان العبسى قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «إن الجبت السحر والطاغوت الشيطان والشجاعة والجبن تكن غرائز فى الرجال

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٧٣٣١) والبيهقى (٢٤٨/٤) وابن حزم فى «المحلى» (٢٣٨/٢) .

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٧٣٣٢) والبيهقى (٢١٣/٤) وابن حزم (٢٣٩/٢) فى المحلى .

(٣) منقطع .

ويقاتل الشجاع عن من لا يعرف ويفر الجبان عن أمه وإن كرم الرجل دينه وحسبه خلقه وإن كان فارسياً أو نبطياً (1).

عن مورّق العجلى رحمه الله قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «تعلموا السنن والفرائض واللحن كما تتعلمون القرآن» (2).

عن الحسن قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «عليكم بالتفقه فى الدين وحسن العبادة والتفهم فى العربية»(3).

عن أبى عمرو بن العلاء قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه «تعلموا العربية فإنها تثبت القلوب وتزيد فى المروءة»(4).

عن زيد بن عقبة عن أبيه قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «الرجال ثلاثة والنساء ثلاثة امرأة هينة لينة عفيفة مسلمة ودود ولود تعين أهلها على الدهر ولا تعين الدهر على أهلها وقلما تجدها وأخرى وعاء للولد لاتزيد على ذلك شيئاً وأخرى تغل غلا يجعلها الله فى عنق من يشاء وينزعه إذا شاء والرجال ثلاثة رجل عاقل إذا الأمور أقبلت وتشعبت يأتمر فيها أمره وينزل عند رأيه وآخر حائر بائر لا يأتمر رشداً ولا يطيع مرشداً (5).

---

(1) أخرجه سعيد بن منصور فى «سننه» (2524) والبيهقى (171/9) وأخرجه مالك نحوه (19/2) مرسلاً.

(2) أخرجه ابن شيبة (236/11) والبيهقى فى «سننه» (209/6) وفى «الشعب» (1554) وفى «المدخل» (ص 276) وابن عبد البر فى «العلم» (34/2) وهو مرسل ضعيف.

(3) أخرجه البيهقى (18/2) وهو مرسلا.

(4) أخرجه البيهقى فى «الشعب» (1556 91 والسنن (18/2) والخطيب فى «الجامع» (25/2/ رقم 1067) وهو ضعيف فيه مجهول.

(5) أخرجه ابن ابى شيبة وابن أبى الدنيا والخرائطى والبيهقى وابن عساكر انظر «الكنز» (525/8).

عن حفص بن عمر قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : «من رق وجهه رق علمه»(١).

عن أبى عمرو الشيبانى قال : خبر عمر بن الخطاب رضوان الله عليه برجل يصوم الدهر فجعل يضربه بمخفقته(٢) ويقول : كل يا دهر يا دهر»(٣) .

عن أبى وائل أن عمر رضوان الله عليه قال : ما يمنعكم إذا رأيتم السفينة يخرق أعرض النساء من أن تعربوا عليه(٤) قالوا : نخاف لسانه قال : ذلك أدنى أن لا تكونوا شهداء .

عن سعيد بن المسيب عن عمر أنه كان يقول : أن الناس لن يزالوا مستقيمين ما استقام أئمتهم وهداتهم(٥) .

وعن سعيد بن المسيب رحمه الله أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال : عجلوا الفطر ولا تنطعوا تنطع أهل العراق (٦) .

عن ابن المسيب عن أبيه قال : كنت جالساً عند عمر رضوان الله عليه إذ جاءه راكب من أهل الشام فطفق عمر يسأله عن حالهم فقال : هل يعجل أهل الشام الإفطار ؟ قال نعم قال : لن يزالوا بخير مافعلوا ذلك ولم ينتظروا النجوم انتظار أهل العراق(٧).

---

(١) أخرجه الدرامى فى «سننه» (٥٥٠) .

(٢) المخفقة : الدرة .

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٧٨٧١) .

(٤) لا تقبحوه .

(٥، ٦) من مراسيل ابن المسيب وفيها نظر.

(٧) أخرجه عبد الرزاق فى «مصنفه».

عن سعيد بن المسيب رحمه الله أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال : كل من الحائط ولا تتخذ جنة[1].

وعن سعيد بن المسيب رحمه الله قال : كان عمر رضوان الله عليه ينهى الصائم أن يقبل ويقول : ليس لأحدكم من الحفظ والعفة ما كان لرسول الله ﷺ[2].

عن حُميد بن نعيم أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه وعثمان بن عفان رضى الله عنه دعيا إلى طعام فأجابا فلما خرجا قال عمر لعثمان رضوان الله عليهما : لقد شهدت طعاماً وددت أنى لم أشهده قال : وما ذاك ؟ قال : خشيت أن يكون جعل مباهاة .

عن أنس قال : سمعت عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، سلّم عليه رجل فرد عليه السلام فقال له عمر للرجل : كيف أنت ؟ قال : أحمد الله إليك قال عمر رضوان الله عليه هذا ما أردت منك[3].

عن أسلم قال : سمع عمر رضوان الله عليه ضوضاء فى دار فقال : «ماهذه الضوضاء ؟» فقالوا: «عرس» فقال: «فهلا حركوا غرابيلهم ! يعنى الدفوف».

عن الحسن أن عمر رضوان الله عليه رأى رجلاً عظيم البطن فقال : «ما

---

(١) من مراسيل ابن المسيب وفيها نظر .

(٢) من مرسيل ابن المسيب وفيها نظر .

(٣) أخرجه مالك (١٣٣/٢) وابن المبارك (٢٠٥) والبخارى فى «الأدب المفرد» (١١٣٢) والبيهقى فى «الشعب» (٤١٣٦) وقال الشيخ الألبانى فى «صحيح الأدب» (٨٦٢) صحيح موقوف .

هذه ؟ ، قال : بركة من الله فقال : بل عذاب من الله »(1).

عن على بن نديمة قال : سمعت عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يقول : رد القضاء يورث الشنآن .

وعن أبى حصين قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «إذا رزقك الله مودة امرئ مسلم فتشبث بها ما استطعت» .

عن مصعب بن سعد قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم .

عن ابن عمر قال : خطبنا عمر رضوان الله عليه فقال : أيها الناس إن الله جعل ما أخطأت أيديكم رحمة لفقرائكم فلا تعدوا فيه بقية ما أخطأ المنجل .

عن كعب القرظى عن بن الخطاب رضوان الله عليه أنه قال : ما ظهرت نعمة علىّ إلا وجدت لها حاسداً ولو أن أمرأ كان أقوم من قدح لوجدت له غامزاً(2).

عن محمد بن سيرين أن عمر الخطاب رضوان الله عليه خرج من الخلاء يقرأ القرآن فقال له أبو مريم : يا أمير المؤمنين أتقرأ القرآن وأنت غير طاهر ! فقال له : مسيلمة أمرك بهذا ؟ .

عن جبير بن مطعم أنه سمع عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يقول على المنبر : تعلموا أنسابكم ثم صلوا أرحامكم والله أنه ليكون بين الرجل وبين أخيه الشئ ولو يعلم الذى بينه وبينه من داخل الرحم لوزعه ذلك عن انتهاكه(3).

(1 ، 2) مرسل .

(3) كان له وازعا أى مانعا .

عن إبراهيم التيمى عن أبيه قال : كنا جلوساً عنه عمر فأثنى رجل على رجل فى وجهه فقال : «عقرت الرجل عقرك الله»(1).

عن قبيصة بن جابر عن عمر قال : «لا يرحم من لا يرحم ولا يغفر لمن لا يغفر ولا يتاب على من لا يتوب ولا يوقى من لا يتوق»(2).

عن عبد الرحمن بن عجلان قال : مر عمر بن الخطاب رضى الله عنه برجلين يرميان فقال أحدهما للآخر : أسبت فقال عمر سوء اللحن أشد من سوء الرمى»(3).

عن عمار بن سعد التجيبى قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه من ملأ عينيه من قاعة بيت قبل أن يؤذن له فقد فسق (4).

عن زيد بن ثابت [رضى الله عنه] أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه جاءه يستأذن عليه يوماً فأذن له ورأسه فى يد جارية له ترجله فنزع رأسه فقال له : دعها ترجلك فقال : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى جئتك فقال عمر : إنما الحاجة لى»(5).

---

(1) حسن الاسناد ، أخرجه البخارى فى «الأدب المفرد» (335) وقال الألبانى فى «صحيح الأدب» (255) حسن الاسناد .

(2) أخرجه البخارى فى «الأدب» وابن خزيمة وجعفر الفريابى كما فى «الكنز» (8/208) وهو ضعيف .

(3) أخرجه ابن سعد (3/215) والبخارى فى «الأدب المفرد» (ص 258) وقال الألبانى فى «ضعيف الأدب» (139) ضعيف الاسناد .

(4) أخرجه البخارى فى «لأدب» (1092) وقال الألبانى فى «ضعف الأدب» (171) ضعيف الاسناد موقوف ، والسبب الانقطاع .

(5) أخرجه البخارى فى «الأدب المفرد» (1302) والدارقطنى (4/33/80) والبيهقى (6/247) وقال الألبانى فى «صحيح الأدب» (978) : حسن الاسناد.

قال الأحنف بن قيس لنا عمر : «تفقهوا قبل أن تسودوا».

قال سفيان رحمه الله : لأن الرجل إذا فقه لم يطلب السؤدد .

عن قبيصة أن جابر قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «إنك رجل حدث السن فصيح اللسان فسيح الصدر وأنه يكون فى الرجل عشر خصلات تسعة أخلاق حسنة وخلق سئ ئيغلب الخلق السيئ التسعة الأخلاق الحسنة فاتقوا عثرات اللسان».

وعن يونس بن عبيد أن عمر رضوان الله عليه قال : بحسب امرئ من الغى أن يؤذى جليسه فيما لا يعنيه أو يجد على الناس فيما يأتى وأن يظهر له من الناس مايخفى من نفسه .

وعن أبى عثمان النهدى قال إن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال : احترسوا من الناس بسوء الظن .

عن البراء بن عازب [رضى الله عنه] قال : كنت مع سليمان بن ربيعة فى بعث وإنه بعثنى إلى عمر فى حاجة له فى الأشهر الحرام فقال عمر : أيصوم سلمان ؟ فقلت : نعم فقال : لا يصوم فإن تقوى له على الجهاد أفضل من الصوم».

عن عبد بن أم كلاب أنه سمع عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يخطب الناس يقول : لا يعجبنكم من الرجل طنطنته ولكن من أدّى الأمانة إلى من ائتمنه ومن سلم الناس من يده ولسانه (١).

عن أبى قلابة أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال : لا تنظروا إلى صيام أحد ولا صلاته ولكن انظروا إلى صدق حديثه إذا حدث وأمانته إذا ائتمن

(١) أخرجه ابن المبارك فى «الزهد» (٦٩٥) والبيهقى (٦/٢٨٨).

وورعه إذا أشفى[1].

عن أبى صالح قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : «الراحة فى ترك خلطاء السوء»[2].

عن مسروق بن أمية قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «إن فى العزلة راحة من خلطاء السوء»[3].

عن مسروق قال : تذاكرنا عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه الحسب فقال : حسب المرء دينه وأصله عقله ومروءته خلقه .

وعن الحسن قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : الكرم التقوى والحسب المال[4].

عن محمد بن عاصم قال : بلغنى أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه كان إذا رأى فتى فأعجبه حاله سأل عنه هل له حرفة ؟ فإن قيل له لا سقط من عينه[5].

---

(١) أخرجه ابن المبارك (١٠١٠) وأبو نعيم (٢/٣٧٢) والبيهقى (٦/٢٨٨) عن بلال بن الحارث وليس من ذكره الجوزى وقوله «أشفى» أى إذا أشرف على الدنيا وأقبلت عليه تورع .

(٢) أخرجه ابن عاصم فى «الزهد» (٨٧) عن الأعمش وإسناده نقطع .

(٣) أخرجه ابن المبارك (١٠٥٩) وابن أبى عاصم (٨٥) عن وديعة الأنصارى وقد ذكره البخارى فى كتاب «الرقائق» باب «العزلة» راحة من خلاط السوء . وقال الحافظ ابن أبى شيبة بسند رجاله ثقات ـ انظر «الفتح» (١٤/١١٤) .

(٤) مرسل .

(٥) منقطع .

عن إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال : لؤم الرجل أن يرفع يديه من الطعام قبل أصحابه (١).

عن المسور أن رجلا أثنى على رجل عند عمر رضوان الله عليه فقال له : «أصحبته فى السفر» ؟ قال لا : قال : فعاملته ؟ قال : لا قال : فأنت القائل ما لاتعلم .

وسمع عمر بن الخطاب رضوان الله عليه رجلاً يثنى على رجل فقال : أسافرت معه ؟ قال : لا قال : أخالطته ؟ قال : لا قال : والله الذى لا إله إلا الله هو ماتعرفه .

عن عطاء قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «لأن أموت بين شعبتى رحل أسعى فى الأرض أبتغى من فضل الله كفاف وجهى أحب إلىّ من أن أموت غازيا»(٢).

عن الحسن رحمه الله قال : كان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قاعداً ومعه الدرة والناس حوله إذ أقبل الجارود فقال رجل : هذا سيد ربيّة فسمعه ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال : مالى ولك يا أمير المؤمنين » . أما لقد سمعتها قال : سمعتها فمة» قال : خشيت أن يخالط قلبك منها شئ فأحببت أن أطاطئ منك(٣).

عن ثابت البنانى رحمه الله قال : بلغنا أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال : «من أحب أن يصل أباه فى قبره فليصل إخوان أبيه من بعده»(٤).

---

(١) منقطع .

(٢) ذكره الشيبانى فى كتاب «الاكتساب» (١/٦٠) وهو منقطع .

(٣) سبق .

(٤) منقطع .

عن عبيد الله بن كريز قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «إن أخوف ما أخاف عليكم إعجاب المرء برأيه فمن قال أنه عالم فهو جاهل ومن قال أنه في الجنة فهو في النار .

عن كعب بن علقمة قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : «ما أنعم الله على عبد نعمة إلا وجد له من الناس حاسداً ولو أنُ امرءاً أقوم من القدح وجد له من الناس من يغمز[1] عليه فمن حفظ لسانه ستر الله عليه عورته .

عن سعيد بن المسيب قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : الدعاء يحجب دون السماء حتى يصلى على محمد فإذا صلى على محمد صعد الدعاء إلى الله[2].

وعن عمر رضى الله عنه أنه كان يقول : «إياكم وكثرة الحمّام وكثرة إطلاء النورة والتوطى عى الفراش فإن عباد الله ليسوا من المتنعمين»[3].

عن عكرمة قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : «من كتم سره كانت الخيرة في يده ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن.

عن صفوان بن عمرو قال : سمعت ايفع بن عبد يقول : لما قدم خراج العراق على عمر بن الخطاب رضوان الله عليه خرج عمر ومولى له فجعل عمر يعد الإبل وإذا هى أكثر من ذلك وجعل عمر يقول : الحمد لله وجعل مولاه يقول : «يا أمير المؤمنين هذا والله من فضل الله ورحمته» فقال عمر : كذبت ليس هذا

---

(١) الغمز الاستضعاف والعيب .

(٢) أخرجه الرهاوى فى «الأربعين» وأخرجه الديلمى والرهاوى مرفوعاً ، وأخرجه الترمذى موقوفاً، وهو مرسل .

(٣) أخرجه ابن المبارك (٧٥١) وابن سعد (٢/٢٢٠) نحوه .

الذى يقول الله تعالى : ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ (١). وهذا مما يجمعون .

عن محمد بن سيرين أن عمر كان إذا سمع صوت دف أنكر فإذا قالوا : «عرس أو ختان» سكت (٢).

عن أسامة بن زيد عن أبيه رضى الله عنهما قال : خرجنا مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه للحج فسمع رجلاً يغنى فقيل : «يا أمير المؤمنين إن هذا يغنى وهو محرم فقال عمر رضوان الله عليه دعوة فإن الغناء زاد الراكب .

عن زيد بن أسلم قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه زوجوا أولادكم إذا بلغوا ولا تحملوا آثامهم »(٣).

عن إبراهيم قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يثغر(٤) الغلام لسبع سنين ويحتلم لأربع عشر سنة ويتلقى طوله لأحد وعشرين سنة وينتهى عقله إلى ثمان وعشرين سنة ويكمل ابن أربعين سنة»(٥).

عن ليث قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه «ثلاث يصفين لك ود أخيك أن تسلم عليه إذا لقيته وتوسع له إذا جلس إليك وأن تدعوه بأحب اسمائه إليه وكفى بالمرء من الغى أن يبدو له من أخيه ما يخفى عليه من نفسه مما يأتى وأن يؤذى جليسه بما لا يعنيه (٦).

---

(١) مرسل .

(٢) أخرجه عبد الرزاق (١٩٧٣٨) وهو مرسل .

(٣) أخرجه عبد الرزاق وهو مرسل .

(٤) يثغر : الغلام ألقى ثغره .

(٥) منقطع .

(٦) أخرجه ابن المبارك (٣٥٢) عن الحسن مرسلاً ، وأخرجه عبد الرزاق (١٩٨٦٥) عن رجل مرفوعاً وفيه ضعف انظر الزوائد (٨/٨٢) .

صدقاته ووقوفه وعتقه

عن نافع قال : قال ابن عمر رضى الله عنه : أصاب عمر رضوان الله عليه أرضاً بخيبر فأتى رسول الله ﷺ فقال : «إنى أصبت أرضاً بخيبر والله ما أصبت مالاً قط هو أنفس عندى منه فما تأمرنى ؟ فقال : إن شئت تصدقت بها وحبست أصلها فجعلها عمر صدقة لا تُباع ولا تُوهب ولا تُورث صدقة للفقراء والمساكين والغزاة فى سبيل الله عز وجل والرقاب وابن السبيل والضعيف لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم صديقا غير متمول منها قال : وأوصى بهـا إلى أم المؤمنـين حفصة رضى الله عنها ثم إلى الأكابر من آل عمر[1].

عن ابن عمر قال : أصاب عمر رضوان الله عليه أرضاً بخيبر فأتى النبى ﷺ فاستأمره فيها قال : أصبت أرضاً بخيبر لم أصب مالاً قط أنفس عندى منه فما تأمر به قال : إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها قال فتصدق بها عمر أن لا تباع ولا تورث صدقة للفقراء والمساكين وفى سبيل الله تعالى وابن السبيل والضعيف لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقاً غير متأثل[2] فيه مالاً [3].

عن الحسن رحمه الله قال : أوصى عمر بن الخطاب رضوان الله عليه بأربعين ألفاً يرونها يومئذ ربع ماله»[4].

---

(١) أخرجه البخارى (٥/١٠) فتح ومسلم (١٥٥١) ويحيى بن آدم فى «لخراج» (٩٧) والبيهقى(١٥٩/٦).

(٢) فى الأصل «متأمل».

(٣) أخرجه البخارى فى «غزوة خيبر» وابن سعد (٢٧٢/٣).

(٤) مرسل.

عن وسق الرومى قال : كنت مملوكا لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه وكان يقول لى : «اسلم فإن اسلمت استعنت بك على أمانة المسلمين فإنه لا ينبغى لى أن أستعين على أمانتهم من ليس منهم قال : فأبيت فقال : «لا إكراه فى الدين» فلما حضرته الوفاة أعتقنى وقال : «اذهب حيث شئت».

عن القاسم قال : أول من استشهد من المسلمين يوم بدر مهجع مولى عمر رحمة الله تعالى .

طلبه الموت

خوف العجز عن الرعية

عن سعيد بن المسيب رحمه الله أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه كوم كومة من بطحاء وألقى عليها طرف ثوبه ثم استلقى عليها ورفع يديه إلى السماء ثم قال : « اللهم كبرت سنى وضعفت قوتى وانتشرت رعيتى فاقبضنى إليك غير مضيع ولا مفرط وفى رواية فما انسلخ ذو الحجة حتى طُعن فمات[1].

عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه لما نفر من منى أناخ بالأبطح ثم كوم كومة من بطحاء فألقى عليها طرف ردائه ثم استبقى ورفع يديه إلى السماء كما تقدم فما انسلخ ذو الحجة حتى طُعن فمات رحمه الله»[2].

---

(١) أخرجه مالك (٢/٨٢٤/١٠) وابن أبى الدنيا فى «مجابو الدعوة» (٩) وأبو نعيم (١/٥٤) والحاكم (٣/٩١) .

(٢) رواه مسدد كما فى «المطالب العالية» (٣٩٢٤) وقال البوصيرى اسناده صحيح قلت : وهو مرسل .

وعن سعيد بن المسيب أن عمر لما أفاض من منى ثم ذكر الحديث كما تقدم وزاد فلما قدم المدينة خطب الناس فقال : أيها الناس قد فرضت لكم فرائض وسننت لكم السنن وتركتكم على الواضحة ثم طفق بيمينه على شماله إلا أن تضلوا بالناس يميناً وشمالاً ثم إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم وأن يقول قائل لا نجد حدين فى كتاب الله فقد رأيت رسول الله ﷺ رجم ورجمنا بعده فوالله لولا أن يقول الناس أحدث فى كتاب الله لكتبتها فى الصحف فقد قرأناها (والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما) قال سعيد فما انسلخ ذو الحجة حتى طعن»(١).

عن كعب قال : كان فى بنى إسرائيل رجل إذا ذكرناه ذكرنا عمر وإذا ذكرنا عمر ذكرناه وكان إلى جنبه نبى يوحى إليه فأوحى الله إلى النبى أن يقول له : إعهد عهدك واكتب وصيتك فإنك ميت إلى ثلاثة أيام فأخبره النبى بذلك فلما كان اليوم الثالث وقع بين الخدر والسرير ثم جاء إلى ربه وقال : اللهم إن كنت تعلم أنى عدلت فى الحكم وإذا اختلفت الأمور اتبعت هداك وكنت وكنت فزدنى فى عمرى حتى يكبر طفلى وتربو أمتى فأوحى الله تعالى إلى النبى أن قد قال كذا وكذا وقد صدق وقد زدته فى عمره خمس عشرة سنة وفى ذلك ما يكبر طفله وتربو أمته فلما طعن عمر رضوان الله عليه قال كعب : لئن سأل الله عمر ليبقينه ربه فأخبر بذلك عمر فقال : اللهم اقبضنى إليك غير عاجز ولا ملوم (٢).

عن ابن مليكة قال : لما طعن عمر رضوان الله عليه جاء كعب وبقى يبكى بالباب ويقول : والله لو أن أمير المؤمنين يقسم على الله أن يؤخره لأخره فدخل ابن عباس عليه فقال : يا أمير المؤمنين هذا كعب يقول كذا وكذا قال : إذاً والله

---

(١) أخرجه ابن سعد (٣/٢٥٥) وهو مرسل .

(٢) أخرجه ابن سع (٣/٢٦٩ ـ ٢٧٠) .

لا أسأله ثم قال : ويل لى ولأمى إن لم يغفر الله لى [1].

طلبه للشهادة وحبه لها

عن حفصة رضى الله عنها قالت : سمعت عمر رضوان الله عليه يقول : اللهم قتلاً فى سبيلك ووفاة فى بلد نبيك قلت : وأنى يكون ذلك ! قال : يأتى الله به إذا شاء [2].

عن صالح قال كعب هو كعب الأحبار لعمر رضى الله أجدك فى التوراة كذا وكذا وأجدك تقتل شهيداً قال عمر : وأنى الشهادة وأنا فى جزيرة العرب !.

عن أبى قال كعب لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه : إنا نجدك شهيداً وإنا نجدك إماماً عادلاً ونجدك لا تخاف فى الله لومة لائم قال : هذا لا أخاف فى الله لومة لائم فأنى لى الشهادة ! .

نعى الجن
لعمر رضوان الله عليه

عن عائشة رضى الله عنها قالت : «لما آخر حجة حجها عمر بأمهات المؤمنين قالت : لما صدّرنا عن عرفة مررت بالمحصب سمعت رجلاً على راحلة يقول : «أين عمر أمير المؤمنين !» فسمعت رجلاً آخر يقول «ههنا» قال فأناخ راحلته ثم رفع عقيرته فقال :

عليك سلام من إمام باركت يد الله فى ذاك الأديم الممزق

(١) أخرجه ابن سعد (٣/٢٧٥) وعبد الرزاق (٢٠٣٨٦).

(٢) صحيح : أخرجه مالك (٢/٤٦٢/٣٤) وفيه انقطاع ، ورواه فى (١٨٩٠) موصولاً والطبرانى فى «الأوسط» (٢٨١٦) وأبو نعيم (١/٢٥٣) .

فمن يسع أو يركب جناحي نعامة ليدرك ما قدمت بالأمـس يسبق

قضيت أموراً ثم غادرت بعدهـا بوائـق فـى أكمامـها لـم تفتـق[1]

فلم ندر ذلك الراكب من هو ؟ فكنا نتحدث أنه من الجن فقدم عمر رضوان الله عليه من تلك الحجة فطعن فمات[2].

عن حيرة بنت دجاجة قالت : حدثتنا عائشة رضى الله عنها قالت : إنى أسير بين مكة والمدينة فى ليلة مقمرة إذ أنا بهاتف يهتف ويقول :

لبيك على الإسلام من كان باكياً فقد أحدثوا هلكاً وما قدم العهد

وقد ولت الدنيا وأدبر خيرهـا وقد ذمها من كان يوقن بالوعد

فقلت : «انظروا ! من هذا !» فنظروا فلم يروا أحداً فوالله ما أتت على ذلك إلا أيام حتى قتل عمر رضوان الله عليه[3].

وعنها رضى الله عنها قالت : «إنا لوقوف عند عمر رضوان الله عليه بالمحصب إذ أقبل راكب حتى إذا كان قدر مايسمعنا صوته هتف ثم قال :

أبعد قتيـل بالمدينـة أظـلمت له الأرض واهتز العضاه بأسـوق

جزى الله خيراً من إمام وبـاركت يـد اللـه فى ذاك الأديم الممـزق

قضيت أموراً ثم غـادرت بعدهـا بوائـق فى أكمامهـا لم تفتـق

وكنت تشـوب العـدل بالبر والتقى وحكم صليـب الدين غـير مزوق

(١ ، ٢) روه الخلال فى «السنة» (٢٩٤) وابن سعد (٣/٢٨٦) وأبو نعيم فى «الدلائل» (ص ٢١٠).

(٣) رواه ابن أبى الدنيا فى «الهواتف» (١٤٩) والحاكم (٣/٩٤) وأبو نعيم فى «الدلائل» (ص ٢١٠) وهو ضعيف جداً .

فمن يسـع أو يركب جناحي نعامة ... ليدرك ما قدمـت بالأمـس يسـبق

أمين النبي في وحيـه وصفيـه ... كسـاه المليك جبـة لم تمـزق

من الدين والإسلام والعدل والتقى ... وبابك من كل الفواحـش مغلـق

نرى الفقـرا من حـوله في مفازة ... سـباعا روا ليلهـم لـم تـورق

قال : «ثم انصرفت فلم تر شيئا» فقال الناس هذا مزرد فلما ولى ابن عفان رضي الله عنه لقي مزرداً فقال : «أنت صاحب الأبيات ؟ » قال لا ما قلتهن !» قالت : فروى أن بعض الجن رثاه»[1].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (ص ٢١٠) وابن أبي الدنيا «الهواتف» (٨١) وابن سعد (٢٨٦/٣) واسناده ضعيف.

مقتل عمر

رضى الله عنه

بينما المسلمون مغتبطون بما يفتح عليهم من الأمصار والمدن والممالك شرقى بلاد العرب وغربيها وشماليها إذ فوجئوا بأمير المؤمنين مضرجاً بدمه فى محرابه فتبدل صفوهم كدراً وسرورهم حزنا على هذا الخليفة الراشد العادل التقى .

إن رضا الخلائق غاية لا تدرك : فعمر وإن كان أرضى بعدله الخلاق سبحانه وتعالى وشمل عدله من قرب منه ومن نأى عنه من رعيته ، ولكن قلوباً من غير أهل الإسلام كانت مشتملة على بعض مطوية على حقد له ، مفعمة بالسخط منه .

كان بالمدينة ملك من ملوك الفرس قد أضاع ملكه وتاجه وعرب المسلمون فيه نكث العهود والخيس بالمواثيق والحنث بالإيمان . قد جمع إلى ذلك الخب والدهاء وقد أقام بالمدينة واحداً من الجمهور لا ميزة له على أحد من الناس بعد ذلك العز الباذخ والسلطان العظيم ، وهو يسمع بالفتح فى بلاده الفارسية يعقبه الفتح والنصر يحوزه المسلمون يتبعه النصر والغنائم يحوونها يمنة ويسرة فيودع ذلك قلبه حسرة . وكان المسلمون يسبون من أبناء فارس ويتخذون منهم الموالى وقد دفت منهم دافة إلى المدينة وأقاموا بها فى أكناف ساداتهم وخدمة مواليهم وقد كان كثير منهم يختلفون إلى ذلك الملك الذى كن فيهم وهو الهرمزان ، وقد كان من سبايا فارس رجل يقال له أبو لؤلؤة عبد المغيرة بن شعبة وكان حاقداً على المسلمين صنعهم ببلاده ويتمنى لو جعلهم الله فى نفس واحدة ليشفى منهم بالقتل دفعة واحدة . وكان لما ورد على المدينة سبايا جلولاء ، يمسح رؤوسهم ،

ويقول : أكل كبدى عمر . وذلك أن عمر هو الذى يزجى الجيوش إلى فارس ويصرفها إلى البلاد ، وأمرها إليه فى الإصدار والإيراد .

وبينما عمر يطوف يوماً فى السوق إذ جاءه فيروز الملقب بأبى لؤلؤة ، وكان نصرانيا ، فقال يا أمير المؤمنين أعنى على المغيرة بن شعبة فإن على خراجاً كثيراً . قال كم خراجك ؟ قال درهمان فى كل يوم . قال : وإيش صناعتك ، قال : نجار نقاش حداد . قال فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال . قد بلغنى أنك تقول : لو أردت أن أعمل رحى تطحن بالريح فعلت. قال : نعم . قال : فاعمل لى رحى . قال : لئن سلمت لأعملن لك رحى يتحدث بها من المشرق والمغرب . ثم انصرف عنه فقال عمر : لقد توعدنى العبد آنفا . ثم انطلق عمر إلى منزله . فلما كان من الغد جاءه كعب الأحبار فقال : يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت فى ثلاثة أيام ؟ قال : وما يدريك قال أجده فى كتاب الله التوراة . فقال عمر : الله إنك لتجد عمر بن الخطاب فى التوراة ؟ قال : اللهم لا ولكن أجد صفتك وحليتك وإنه قد فنى أجلك . وعمر لا يحس وجعاً ولا ألما . فلما كان من الغد غدا عليه كعب فقال : يا أمير المؤمنين ذهب يوم وبقى يومان . ثم جاءه من غد الغد وقال : ذهب يومان وبقى يوم وليلة وهى لك إلى صبيحتها .

وذلك أن كعباً رجل يهودى رأى الإسلام يعلو ويتزايد أمره ولم يقف فى سبيل نموه شئ ولا دين فى بلاد العرب وخرجها . فأسلم لشيئين أولهما : أنه رأى اليهودية تضؤل وتضمحل أمام الإسلام فى بلاد العرب والنصرانية ضاغطة عليها فى سورية وبقية المملكة الرومانية . والتظاهر بالإسلام يكسبه عزاً لم يكن له فى قومه . ثانيهما : أن الرجل من اليهود أهل الكتاب الأول والعلم أيام جاهلية العرب .

والتوراة بلسانه دون لسان العرب . وفى أسفارها من المعميات والألغاز ما لا يمكن أن يفقه العرب ولو لقنوا العبرية فهى إذن مجال فسيح للكذب يلقيه إلى المسلمين ليفسد عليهم أمرهم ويعمى عليهم سبيل الهدى ، فهو بذلك أراد أن يضرب عصفورين بحجر . وكذلك كان ، فإن لرجل نال بين المسلمين مركزاً عظيماً ، وقد كان كثير يُرون أن التوراة فيها علم كل شئ وإنه صادق فيما يخبر به ، وبخاصة بعد أن تحقق قوله فى عمر . والرجل قد أفاض على المسلمين ثروة واسعة من الإسرائيليات التى ندرى نحن حقيقتها وكان هو لا يدرى من حقيقتها شيئا سوى أنه مبتدعها ، وكان يسند كلامه إلى التوراة والتوراة خالية مما كان يموه به على الناس . وهذه التوراة بين أيدينا نقرؤها وليس فيها شئ مما كان يقوله هذا الرجل لمعاصريه وهو بالأساطير أشبه .

بعد أن تمهد هذا القول : إن حكاية إخباره بمصرعه على هذا الوجه المروى لو كانت صحيحة ، لم يبق عند الواقف عليها شك فى أن هذا الرجل كان واقفاً على ما دبره فيروز أبو لؤلؤة من اغتيال عمر ، وأن خطة السير للوصول إلى قتله كان كعب الأحبار عارفاً بها واقفاً عليها وقوفا تاماً . وإنما أراد بإخبار عمر على هذا الوجه ، أن تزيد منزلته عند المسلمين وينال الحظوة فيهم وتكون رواياته وحكاياته أكثر قبولا . ولو وجد محقق ذكى وعرض عليه أمر كعب الأحبار وما أخبر به عمر قبل القتل ما نجا كعب من النكال ولعد شريكا للجانى.

كان بالمدينة رجل من نصارى الأنبار أقدمه سعد بن أبى وقاص ليعلم أبناء المسلمين القراءة بالمدينة والكتابة اسمه جفينة ، وناحية الأنبار كان تابعة للفرس وللرجل بهم إلف ، فكان يجتمع بالهرمزان ، فيروز أبى لؤلؤة ، وقد روى أن عبد الرحمن بن أبى بكر مر بالهرمزان وأبى لؤلؤة وجفينة يتناجون وهم جلوس فلما رأوا عبد الرحمن قاموا وقوفاً فسقط بينهم خنجر له رأسان نصابه

في وسطه ، وهو الخنجر الذى قتل به عمر بعد ذلك .

المشاركون فى المؤامرة :

(١) الهرمزان .

(٢) فيروز أبى لؤلؤة عبد المغيرة بن شعبة .

(٣) جفينة الأنبارى .

(٤) كعب الأحبار اليهودى.

ولو كان المسلمون فى شريعتهم إيجاب العقوبة بالقرائن ووجد من يحقق مع من بقى منهم بعد مقتل عمر لكان من المحتمل جداً أن يعاقب كل منهم على ذلك الاتفاق الأثيم . لأنهم فى ذلك الوقت يعتبرون من الرعية المسالمين لا الأعداء المحاربين فليس لهم عذر ولا شبهة عذر فى تدبير ذلك الجرم الفظيع .

كيف قتل عمر ؟

قال الطبرى : فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجالا فإذا استوت جاء فكبر ودخل أبو لؤلؤة فى الناس فى يده خنجر له رأسان نصابه فى وسطه فضرب عمر ست ضربات إحداهن تحت سرته وهى التى قتلته وقتل معه كليب بن أبى بكير الليثى وكان خلفه . فلما وجد عمر حر السلاح سقط وقال : أفى الناس عبد الرحمن بن عوف ؟ قالوا : نعم هو ذا . قال تقدم فصل . فصلى عبد الرحمن بن عوف وعمر طريح . ثم احتمل فأدخل داره فدعا عبد الرحمن بن عوف.

ثم نادى عمر ابنه عبد الله وقال اخرج فانظر من قتلنى فقال : يا أمير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، فحمد الله تعالى أن لم يقتله رجل

سجد لله تعالى سجدة ثم قال : يا عبد الله ائذن للناس فجعل يدخل عليه المهاجرون والأنصار فيسلمون عليه فيقول : عن ملأ منكم كان هذا ؟ فيقولون : معاذ الله .

وقد دخل فى الناس كعب الأحبار فقال ﴿الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ قد أنبأتك أنك شهيد فقلت من أين لى الشهادة وأنا فى جزيرة العرب.

ويقال إنه لما نظر عمر إلى كعب قال :

فأوعدنى كعب ثلاثا أعدها ولا شك أن القول ما قال لى كعب

وما بى حذار الموت ، إنى لميت ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب

ثم دعى له الطبيب فقال : أى الشراب أحب إليه فجئ له بنقيع التمر فسقاه فخرج على حاله من الجراح ثم سقاه اللبن فخرج على حاله فأيقن أنه ميت ولم يجد للقضاء حيلة ، وقد توفى عمر ليلة الأربعاء لثلاث ليال بقين من ذى الحجة سنة ٢٣ ، ودفن بكرة يوم الأربعاء فى حجرة عائشة مع صاحبيه بعد أن استأذن عائشة فى ذلك عقيب أن طعن - ولما أدرج فى كفنه ابتدر على وعثمان الصلاة .

فقال عبد الرحمن بن عوف : إنكما حريصان على الإمارة ، ليس لكما ذلك وإنما هو لصهيب لأنه قد أمره أن يصلى بالناس ، فتقدم صهيب فصلى عليه ثم حمل إلى حجرة عائشة فوورى التراب .

وكانت مدة خلافته عشر سنوات وستة وأربعة أيام من ابتداء ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٣ إلى ٢٦ ذى الحجة سنة ٢٣ وكانت سنه حين قتل ٦٣ سنة كصاحبيه فى أشهر الأقوال .

أما أبو لؤلؤة فقد جهد الناس أن يقبضوا عليه فأصاب منهم ثلاثة عشر رجلا بجراحات وأعياهم أمره فجاء رجل من بنى تيم وألقى عليه رداء ، فلما علم أنهُ مأخوذ قتل نفسه .

رحم الله عمر بن الخطاب ، ولعن أبا لؤلؤة ومن وافقه على مقتل الفاروق عمر .

المراجع

١ – السيرة النبوية ـ لابن هشام .

٢ – البداية والنهاية ـ لابن كثير .

٣ – سيرة عمر بن الخطاب ـ لابن الجوزى .

٤ – الفاروق عمر بن الخطاب ـ محمد رضا .

٥ – الخلفاء الراشدون ـ النجار .

٦ – تاريخ الخلفاء ـ للسيوطى .

٧ ـ رجال حول الرسول ـ خالد محمد خالد .

٨ ـ خلفاء الرسول ـ خالد محمد خالد .

٩ – صفوة الصفوة ـ لابن الجوزى .

صدر عن المؤلف

١ – عجائب الكلام .

٢ – الإسراء والمداح لابن كثير ـ تحقيق .

٣ – عودة إلى طب الأعشاب .

٤ – الترغيب فى مكارم الأخلاق .

٥ – موعظة الموت .

٦ – الوجيز فى علم التجويد .

٧ – مخلوقات عجيبة .

٨ – خصال وأعمال يحبها الله ورسوله .

٩ – التحذير من الكبر وآفات اللسان .

١٠ – عجائب خلق السموات والأرض .

١١ – الأخبار الدقيقة فى بدء الخليقة .

تحت الطباعة :

١ – حقيقة الصوفية .

٢ – ٦٥ قصة من أخبار العظماء والظرفاء .

٣ – أركان الإسلام والأسرة

٤ – نوادر جحا وأشعث .

٥ – علامات الساعة الكبرى والصغر .

٦ – ثلاثة على الطريق .

٧ – الحيوان فى العلم والسنة والقرآن .

٨ – الاجماع لابن المنذر ـ تحقيق .

٩ – لزوم السنة .

١٠ – فتن إبليس .

١١ – هذا هو الإيمان .

الفهرست

الفهرست

الفهرست

الفهرست

الفهرست

الفهرست

الفهرست

الفهرست

الفهرست

